

الجامعة الإسلامية - غزة  
عمادة الدراسات العليا  
كلية أصول الدين  
قسم التفسير وعلوم القرآن

# تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

من سورة الزمر حتى نهاية سورة محمد

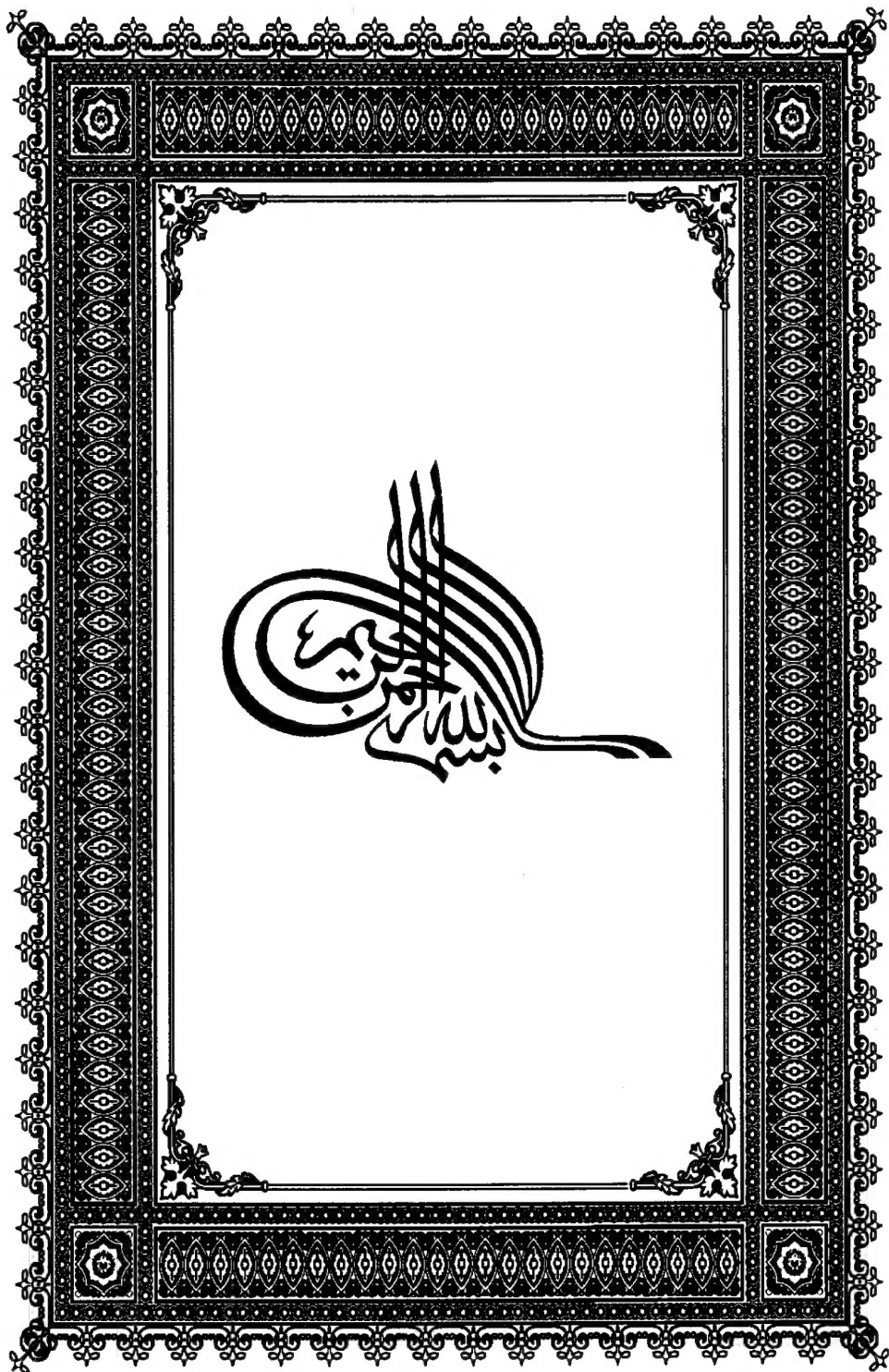
إشراف الدكتور  
د. رياض محمود قاسم

إعداد الباحث  
عماد شعبان الشريف

ضبط ومراجعة  
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الحادي عشر  
منشورات الجامعة الإسلامية  
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير  
في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين  
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا  
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن  
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا  
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾  
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣]





## شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [القمان: ١٢] ومن قول الرسول ﷺ «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»<sup>(١)</sup>.

فإنني أتوجه بدايةً بالحمد والثناء إلى الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث ثم أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور/ رياض محمود قاسم الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وقد جاد عليّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه الدقيقة، وملاحظاته القيمة العميقة، كل ذلك بطلاقة وجه ورحابة صدر، فجزاه الله عني خير الجزاء وبارك الله له في وقته وعلمه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الجليلين، عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن يوسف الجمل... حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي... حفظه الله

لقبولهما مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت في قراءته

(١) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، ج ٢ ص ٢٩٥ ح ٧٩٢٦، سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج ٤ ص ٢٥٥ ح ٤٨١١، وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج ٤ ص ٣٣٩، ح ١٩٥٤، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

رُغم أعبائهما الكثيرة، وأسأله سبحانه أن ينفعني بملاحظتهما التي يبديانها لتحسين هذا البحث وتزيينه.

ولا يفوتني هنا أن أسجل شكري وامتناني إلى الجامعة الإسلامية الغراء التي أنهلتنا من معينها الصافي الشيء الكثير، ممثلةً برئيس الجامعة الأستاذ الدكتور/ كمالين كامل شعث.

كما لا يفوتني أن أرفع أغلى برقيات الشكر والثناء إلى أساتذتي الكرام أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أصول الدين، على دورهم الرائد في الجامعة وخارجها ونسأله سبحانه أن يوفقهم لأداء الأمانة التي كلفوا بها.

وكذلك أبرق بشكري وتقديري إلى عمادة الدراسات العليا ممثلةً بعميدها الدكتور/ مازن إسماعيل هنية وأساتذتها الكرام.

وأبرق بالشكر العميق إلى الإخوة في المكتبة المركزية، ودائرة العلاقات العامة على جهدهم في تسهيل مهمة الباحثين.

وأبرق بالشكر العميق والحب والتقدير لشيخني وأستاذي المربي الفاضل الأستاذ: محمد صالح طه (أبو أيمن) على ما قدّم من جهد في تدقيق الرسالة ومراجعتها.

وكذلك أبرق بالشكر والتقدير إلى الأخ الفاضل عبدالله محمد شعيب على ما بذل من جهد كبير في طباعة الرسالة وتنسيقها.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لجميع أفراد عائلتي، وإخواني في مسجد التقوى على تشجيعهم لي لإكمال دراستي في مجال التفسير وعلوم القرآن.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لإدارة مدرستي ممثلةً بناظرها ومساعدتها على ما قدموه لي من تسهيلات أثناء الدراسة.

وأخيراً أتوجه بشكري وتقديري لكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور ولو بأقل مجهود.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## الفصل الأول

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر  
من خلال سور الزمر - غافر - فصلت

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الزمر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة غافر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة فصلت المتضمنة للقراءات العشر.



## المبحث الأول

### عرض وتفسير لآيات سورة الزمر المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

#### القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) بفتح الياء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ بضم الياء<sup>(٢)</sup>.

#### المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، ووضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً<sup>(٣)</sup>.

وجاء في لسان العرب: الإضلال في كلام العرب ضد الهداية والرشاد، يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق، وضل الشيء

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٠، حجة القراءات ص ٦١٩.

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٠٩.

يضل ضلالاً أي: ضاع وهلك<sup>(٤)</sup>.

### التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه شدة من فقر أو مرض أو بلاء، تضرع إلى ربه بالدعاء في إزالة تلك الشدة، مقبلاً إليه محبباً مطيعاً، ثم إذا أعطاه وملّكه نعمةً منه، وفرّج عنه كربته نسي هذا الإنسان ربه الذي كان يدعو من قبل في كشف الضر عنه، وقيل نسي الضر الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرد وطغى، وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته.

قال الشوكاني: «نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل بأن يخوله ما خوله، وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعو ويتضرع إليه، ثم جاوز ذلك إلى الشرك بالله وهو معنى قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها»<sup>(٥)</sup>.

وقال القرطبي: «﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: أوثاناً وأصناماً، وقال السدي: يعني أنداداً من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم، ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: ليقتدي به الجاهل»<sup>(٦)</sup>، قل تمتع بكفرك قليلاً: أمر من الله بالتهديد لهذا الإنسان الكافر، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية وتلذذ فيها، وأنت على كفرك، عمراً قليلاً فإن مصيرك إلى نار جهنم.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لِيُضِلَّ) بالفتح أنه بسبب اتخاذه أنداداً لله فقد ضلّ هو عن سبيل الله أو ازداد ضلالاً إلى ضلاله، قال الزمخشري: «وقرئ (لِيُضِلَّ) بفتح

(٤) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٣٩١.

(٥) فتح القدير ج ٤ ص ٦٣٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠٢.

الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله الله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله»<sup>(٧)</sup>.

وقال الألوسي: «(لِيُضِلَّ) بفتح الياء أي: ليزداد ضلالاً أو ليثبت عليه»<sup>(٨)</sup>.

وقال الإمام ابن زنجلة: «(لِيُضِلَّ عن سبيله) بفتح الياء أي: ليضل هو، وحجتها: قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النحل: ١٢٥]<sup>(٩)</sup>.

وأما قراءة (لِيُضِلَّ) بالضم: تفيد أنه جعل الله أنداداً أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد»<sup>(١٠)</sup>.

وقال أبو حيان: «وقرأ الجمهور (لِيُضِلَّ) بضم الياء، أي: ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل»<sup>(١١)</sup>.

وقال الإمام ابن زنجلة: «وقرأ الباقون: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، أي: لِيُضِلَّ غيره، وإنما وصفه بالإضلال لأن الذي أخبر الله عنه ذلك قد ثبت له أنه ضال بقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾»<sup>(١٢)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا أن هذا الكافر الذي أشرك بالله تعالى وجعل له أمثالاً وأشباحاً قد ضل عن سبيل الله تعالى ولم يكتف بضلال نفسه هو، إنما تعدى ذلك إلى إضلال الناس وصددهم عن سبيل الله تعالى وطاعته إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك الإثم والضلال، فيزداد بذلك إثماً على إثمه، وضلالاً على ضلاله.

(٧) الكشف ج ٢ ص ٣٨٩.

(٨) روح المعاني للألوسي ج ٢٣ ص ٢٤٥.

(٩) حجة القراءات ص ٦١٩.

(١٠) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٦٣٥.

(١١) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٠١.

(١٢) حجة القراءات ص ٦٢٠.

٢ - قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ) بتخفيف الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ﴾ بتشديد الميم<sup>(١٣)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

أَمَّنْ تقديره: أَمَّ مَنْ، وقال محمد محيسن: «(أَمَّنْ) أصلها أَمَّ، مَنْ، ف (أَمَّ) للاستفهام و(مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي<sup>(١٤)</sup>».

### التفسير:

يُبَيِّنُ الله تعالى في هذه الآية حال المؤمن الصالح ووصفه بعد أن ذكر في الآية التي تسبقها حال الكافر وضلاله، وجحوده ومعصيته، قال محمد حجازي: «أما المؤمن الصالح فهذا وصفه بل أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ في جوف الليل ساجداً وقائماً يدعو ربه، ويحذر حسابه ويخشى عقابه، ويرجو رحمته كمن تقدم ذكره من العصاة، هل يستوي المؤمن والكافر والطائع والعاصي، لا يستويان أبداً، فإنه لا يستوي الذين يعلمون الحق فيتبعونه، ويعملون به والذين لا يعلمون الحق، ولذلك فإنهم يتخبطون تخبط العشواء، ويسيرون في ضلالة عَمِيَاء وإِثْمًا يتذكر أولو الألباب، والعقول الصافية من المؤمنين<sup>(١٥)</sup>».

ويقول ابن كثير: «يقول ﷻ أَمَّنْ هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له

(١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٢.

(١٤) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٥.

(١٥) التفسير الواضح لمحمد حجازي م ٣ ج ٢٣ ص ٧٢.



أنداداً؟ لا يستون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ آتِلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] (١٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أَمَن) بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من الموصولة، فيكون تقدير الكلام أَمَن هو قانتُ آناء الليل ساجداً وقائماً كغيره؟ قال ابن عاشور: «قرأ نافع وابن كثير وحمزة وحدهم أَمَن بتخفيف الميم على أن الهمزة دخلت على، من الموصولة فيجوز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر محذوف دلُّ عليه الكلام قبله من ذكر الكافر في قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾» (١٧).

وقال محمد سالم محيسن: «(أَمَن) قرأ نافع وابن كثير، بتخفيف الميم على أن (من) موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقريرية» (١٨).

وهناك وجه آخر ذكره العلماء لقراءة (أَمَن) بالتخفيف وهو: أن الألف للنداء، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من خففه أنه جعله نداءً، فالألف للنداء ودليله (هل يستوي) ناداه، شبهه بالنداء ثم أمره» (١٩).

وقال ابن زنجلة: «ومن قرأ (أَمَن) بالتخفيف فإن معناه (يامن هو قانتُ) والعرب تنادي بالألف كما تنادي بياء فتقول: يا زيد أقبل» (٢٠) وهذا القول أيده الفراء أيضاً (٢١).

وأما قراءة (أَمَن) بالتشديد «على أن (من) موصولة دخلت عليها (أم)

(١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٤٨.

(١٧) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٣٦٦٨.

(١٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٥.

(١٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢٠) حجة القراءات ص ٦٢١.

(٢١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠٢.

المتصلة ثم أدغمت الميم في الميم»<sup>(٢٢)</sup>.

قال الشوكاني: في معنى أَمَّنْ المشددة «أم داخله على من الموصولة وأدغمت الميم في الميم وأم هي المتصلة، ومعادلها محذوف تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانت، وقيل: هي المنقطعة المقدره ببل، والهمزة أي: بل آمن هو قانت كالكافر»<sup>(٢٣)</sup>. وعلى القول الأول الذي ذكره الشوكاني تكون الألف هنا استفهامية ويؤيده قول ابن زنجلة نقلاً عن الزجاج، قال: «من قرأ (أمن) بالتشديد فمعناه: (بل آمن هو قانت كغيره؟) أي: من هو مطيع كمن هو عاص؟ ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]<sup>(٢٤)</sup>. ويؤيده أيضاً الزحيلي، قال: (أمن بالتشديد: بادخال (أم) بمعنى بل والهمزة على (من) بمعنى الذي، وليس بمعنى الاستفهام، لأن (أم) للاستفهام، فلا يدخل على ما هو استفهام، وفي الكلام محذوف تقديره: العاصون ربهم خير أم هو قانت، ودخل على هذا المحذوف أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup>.

٣. قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ قَوْعِهَا عُرْفٌ مُّبِينَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

## القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (لكن الذين) بتشديد نون لكن.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ﴾ بالتخفيف<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٥.

(٢٣) فتح القدير ج ٤ ص ٦٣٦.

(٢٤) حجة القراءات ص ٦٢٠.

(٢٥) التفسير المنير للزحيلي ج ٢٣ ص ٢٥٥.

(٢٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨.

## المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «يقول الفراء: للعرب في لکن لغتان: بتشديد النون مفتوحة، وإسكانها خفيفة فمن شددّها نصب بها الأسماء، ولم يلبها فعل ولا يفعل، ومن خفف نونها وأسكنها ولم يعملها في شيء اسم ولا فعل، وكان الذي يعمل في الاسم الذي بعدها، ما معه مما ينصبه أو يرفعه أو يخفضه، وقال الجوهري: لكن، خفيفة وثقيلة، حرف عطف للاستدراك، والتحقيق يوجب بها بعد نفي، إلا أن الثقلية تعمل عمل إن، تنصب الاسم وترفع الخبر، ويستدرك بها بعد النفي والإيجاب... والخفيفة لا تعمل لأنها تقع على الأسماء والأفعال»<sup>(٢٧)</sup>.

## التفسير:

يخبر المولى ﷺ في هذه الآية عن عباده المتقين السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي القصور الشاهقة من فوقها غرف مبنية، طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عالياً<sup>(٢٨)</sup>.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض تجري من تحتها الأنهار، يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار»<sup>(٢٩)</sup>.

وقال الدكتور محمد محيسن: «والذين اتقوا ربهم وآمنوا به وخافوا عقابه سيجزيهم الله تعالى يوم القيامة خيراً بأن يدخلهم الجنة وينزلون فيها منازل رفيعة ويتمتعون فيها بشتى أنواع المتع التي لا تخطر على قلب بشر، من ذلك أنهم يقيمون في قصور فخمة ذات حدائق غناء تجري من تحتها

(٢٧) لسان العرب ج ١٢ ص ٢٩٣.

(٢٨) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٠.

(٢٩) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٢٣ ص ٢٠٨.

الأنهار، وبهذا وعد الله المؤمنين والله لا يخلف الميعاد»<sup>(٣٠)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لكن) بالتشديد أنَّ لكنَّ عاملةٌ ناصبةٌ لاسمها وعندئذٍ تكون الذين اسمها في محل نصب.

وأما قراءة (لكن الذين) بنون ساكنة مخففة مع تحريكها وصلًا بالكسر تخلصاً من الساكنين فإنَّها تفيد أن لكن مخففةً مهملةً، وعندئذٍ تكون الذين مبتدأً<sup>(٣١)</sup>.

وقال الدمياطي: «واختلف في (لكن الذين اتقوا) .. فأبو جعفر بتشديد النون، فيها فالموصول محله النصب والباقون بالتخفيف، فالموصول رفع بالابتداء»<sup>(٣٢)</sup>.

٤. قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير والبصريان<sup>(٣٣)</sup> (سَالِمًا) بألف بعد السين وكسر اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف وفتح اللام<sup>(٣٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

السُّلَم والسَّلامَة: البراءة، وقيل السُّلَم: اسم بإزاء حرب، السُّلَم

(٣٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٦.

(٣١) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٦.

(٣٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٤.

(٣٣) البصريان: (أبو عمرو، ويعقوب).

(٣٤) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٢، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص ٢٣٦.

والسَّلامَة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والإسلام: الدخول في السَّلم، وهو أن يَسْلَمَ كل واحدٍ منهما أن ينالَه من أَلَم صاحبه<sup>(٣٥)</sup>.

وقال ابن منظور: «السَّلام والسَّلامَة: البراءة، وتسَلَّمَ منه: تبرأ، وقال الأعرابي: السَّلامَة العافية، وقال: والسَّلام والاستسلام وحكى السَّلم والسَّلم الاستسلام ضد الحرب وفي التنزيل العزيز: ورجلاً سَلماً لرجل، وقلب سليم أي: سالم» والإسلام والاستسلام: الانقياد والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع<sup>(٣٦)</sup> وقال شهاب الدين المصري: «سَلماً لرجل: أي خالصاً له لا يشركه فيه غيره يقال سلم بالشيء لفلان إذا خلص له»<sup>(٣٧)</sup>.

### التفسير:

يضرب الله تعالى مثلاً في هذه الآية لصنفين مختلفين من الناس أحدهما مؤمنٌ بربه موحدٌ له لا يعبد سواه ولا يسعى لإرضاء غيره، والآخر مشركٌ بالله تعالى يعبدُ آلهةً غيره ويتجه إلى شركاء مختلفين، فهو في حيرةٍ وارتباكٍ لا يدري كيف يرضيهم جميعاً وهذا مثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشركاء متشاكسين أي: مختلفين كلٌ له رأيٌ وحاجةٌ وكلٌ يطلب من هذا العبد حاجةً لا يطلبها الآخر فيظل حائراً متخبطاً لا يستطيع أن يلي حاجه أحدٍ أو يُرضي أحداً منهم، وأمّا الأول المؤمن فمثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشخصٍ واحدٍ، فهو سالمٌ له ليس لغيره سبيلٌ عليه، فيخلص له في طلبه ويسعى لإرضائه دائماً، فهل يستوي حال كلٍّ منهما<sup>(٣٨)</sup>، ويقول القرطبي: «هذا الذي يخدم جماعةً شركاء أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة لا يلقاه رجلٌ إلا جزه واستخدمه، فهو يلقي منهم العناء والنصب والتعب العظيم، وهو مع ذلك كله لا يرضي واحداً منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته، والذي يخدم واحداً لا ينازعه

(٣٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٢٣.

(٣٦) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٢٩٣.

(٣٧) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ج ١ ص ٣٦٣.

(٣٨) انظر التفسير الواضح م ج ٢٣ ص ٧٨ - ٧٩.

فيه أحدٌ، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له وإن أخطأ صفح عن خطئه، فأيهما أقلّ تعباً أو على هدىً مستقيماً»<sup>(٣٩)</sup>. «مما لا شك فيه أن الذي لا يخدم إلا واحداً أهدأ بالاً وأسعد حياةً فإذا ثبت ذلك تبين بطلان القول بادعاء الشركاء وثبت أن الله إلهٌ واحدٌ لا شريك له»<sup>(٤٠)</sup>، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

#### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير والبصريان (سالمًا) بـالف بعد السين وكسر اللام: اسم فاعلٍ من سلم أي: خالصاً له من الشركة، وأمّا قراءة الجمهور (سَلَمًا) بفتح السين واللام بدون الف: مصدر وصف به مبالغة في الخلوص من الشركة<sup>(٤١)</sup>.

قال البغوي: «قرأ أهل مكة والبصرة سالمًا بالالف أي: خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون سلمًا بفتح اللام من غير ألف وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع لك فيه»<sup>(٤٢)</sup>.

#### الجمع بين القراءات:

وعند الجمع بين القراءتين لا نجد كبير فرقٍ في المعنى إلا أن الأولى (سَالِمًا) تفيد الخلوص من الشركة لأنَّ «الخالص ضدّ المشرك»<sup>(٤٣)</sup>، وأمّا الثانية (سَلَمًا) فهي إضافة إلى أنها تفيد الخلوص من الشركة ففيها زيادة معنى ومبالغة في الخلوص والاستسلام لدرجة عدم وجود منازع له فيه لتسليمه له بالكلية لأنَّ التعبير بالمصدر أقوى في الدلالة من التعبير باسم

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٥.

(٤٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٧.

(٤١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨١.

(٤٢) معالم التنزيل ج ٤ ص ٧٨٧.

(٤٣) حجة القراءات ص ٦٢٢.

الفاعل، فاسم الفاعل يدل على حدوث الفعل ولا يعني ذلك ثبوته على الدوام، بينما يدل المصدر على ثبوت الحالة التي هو عليها من الخلوص والاستسلام<sup>(٤٤)</sup>. والسلم ضد التنازع، فكان تأويله: «ورجلاً سَلِمَ لرجلٍ فلم يَنَازِع فيه، ومنه قيل للسلف: سَلِمَ لأنه سَلِمَ إلى من استلفه»<sup>(٤٥)</sup>.

٥. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ٣٦].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف (عِبَادَةً) بألف على الجمع.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿عَبْدَهُ﴾ بغير ألف على التوحيد<sup>(٤٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

العبد: هو الإنسان حرّاً أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنه مريبٌ لباريه ﷻ، ويقال فلانٌ عبدٌ بين العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل<sup>(٤٧)</sup>.

يقال: «عبد الله، عبادة، وعبودية»: انقاد له وخضع وذُلّ. ويقال: عبده: ذلّله، وفي التنزيل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢]<sup>(٤٨)</sup>.

### التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق الرد على كفار قريش عند تهديدهم للنبي ﷺ

(٤٤) انظر اسم الفاعل من كتاب الأبنية في العربية ص ٤٦.

(٤٥) حجة القراءات ص ٦٢٢.

(٤٦) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤٧) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٢٧١.

(٤٨) المعجم الوسيط ص ٦٠٨.

بالهتهم أنها ستصيبه بسوء كما يزعمون بسبب سبه آلهتهم وتعييبها، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخبره سبحانه فيها أنه حاميهم وكافيه من كل سوء وشر وحافظه من كل أذى وبأس فلا معنى لتهديدهم وتخويفهم رسول الله ﷺ لأن هذا التخويف والتهديد في غير محله وهو محض كذب وافتراء وادعاء باطل لا أساس له من الصحة لأن هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع. والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ للتقرير بمعنى: أليس الله كافياً عبده ورسوله محمداً ﷺ من شر من يريد به سوء؟ قال أبو حيان: «قالت قريش: لئن لم ينته محمد ﷺ عن تعييب آلهتنا وتعييبنا، لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعترية بسوء فأنزل الله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي شر من يريد به شرًا، والهمزة الداخلة على النفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبده، وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيه» (٤٩).

وقال أبو السعود: «هذه تسليّة لرسول الله ﷺ عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا أو ليصيبك منهم خبل أو جنون» (٥٠).

وقال القرطبي: قال قتادة: «مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرهما بالفأس، فقال له سادنها: أحذرهما يا خالد فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرهما بالفأس وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ لأنه الذي وجه خالدًا» (٥١).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (عَبْدَهُ) على التوحيد أن المراد بالخطاب هو سيدنا محمد ﷺ بمعنى أليس الله بكافٍ عبده محمداً، ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأصنام، وأمّا قراءة (عِبَادَهُ) على الجمع فإنها تفيد أن المراد بالخطاب هو جميع الأنبياء عليهم السلام ثم رجع إلى مخاطبة محمد ﷺ فهو داخل في الكفاية (٥٢)، وأضاف القرطبي على ذلك أن

(٤٩) انظر البحر المحيط ج ٥ ص ٧٠٧.

(٥٠) تفسير أبي السعود ج ٤ ص ٦١٥.

(٥١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٩.



المؤمنين يدخلون في الخطاب أيضاً مع الأنبياء فقال: «وقرأ حمزة والكسائي (عِبَادَةُ) وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم»<sup>(٥٣)</sup>.

وقال الدمياني: «(عِبَادَةُ) بآلف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين»<sup>(٥٤)</sup>.

وتعقياً على القراءتين يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنيهما واستفاضة القراءة بهما في قراء الأمصار»<sup>(٥٥)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى: أن الله ﷻ تكفل دائماً بحماية وحفظ عباده المؤمنين جميعاً، بدءاً بالأنبياء كلهم ومن بعدهم من آمنوا معهم وأطاعوهم إلى يوم الدين، وعلى هذا يكون الخطاب شمل جميع المؤمنين أيضاً بما فيهم سيدنا محمد ﷺ والأنبياء قبله.

٦ - قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

### القراءات:

١ - قرأ البصريان بتنوين (كَاشِفَاتُ - مُمَسِكَاتُ) ونصب (ضَرَّهُ) و(رَحْمَتَهُ).

(٥٢) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٣٩.

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٩.

(٥٤) إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨١.

(٥٥) جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٥.

٢ - وقرأ الباقون بغير تنوين فيهما وخفض (ضُرَّه) و(رَحْمَتِهِ)<sup>(٥٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

١ - الكشف: كالضرب، والكاشفة: الإظهار، ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه<sup>(٥٧)</sup>.

كشف الشيء كشفاً: رفع عنه ما يواريه ويغطيه، ويقال: كشف الأمر: أظهره وكشف الله غمّه أزاله<sup>(٥٨)</sup>، وفي التنزيل: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup> [الدخان: ١٢].

٢ - الضَّر: الشدة والبلاء وسوء الحال، قال الأصفهاني: «سوء الحال، إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مالٍ أو جاهٍ»<sup>(٥٩)</sup>، يقول صاحب المعجم الوسيط: «ضُرَّه، وبه ضُرّاً، وضُرَّراً، ألحق به مكروهاً وأذى»<sup>(٦٠)</sup>.

٣ - «مسك: إمساك الشيء: التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء: إذا تحرّيت الإمساك، ويقال أمسكت عنه كذا، أي: منعت»<sup>(٦١)</sup>.

٤ - «الرحمة: النعمة والرخاء، وقال الأصفهاني: «الرحمة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعامٌ وإفضالٌ، ومن الآدميين رقةٌ وتعطفٌ»<sup>(٦٢)</sup>.

(٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٣.

(٥٧) انظر القاموس المحيط ص ٣٨٦.

(٥٨) انظر المعجم الوسيط ص ٥٧٩.

(٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٣.

(٦٠) المعجم الوسيط ص ٥٣٨.

(٦١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٦٨.

(٦٢) المصدر السابق ص ٣٤٧.

التفسير:

في سياق الرد على المشركين الذين يتوعدون محمداً ﷺ بنقمة أصنامهم عليه ومضرتها له، وفي سياق إقامة الدليل على بطلان الشرك وعبادة الأصنام وعجزها عن جلب النفع ودفع الضر وكشف سوء يقول المولى جل شأنه لنبيه محمد ﷺ: «ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق السموات والأرض ليقولن الذي خلقهنَّ الله»<sup>(٦٣)</sup>، قال القرطبي: «بيِّن أنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض؟»<sup>(٦٤)</sup>، ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال: «أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضر، هل تمنع هذه الأصنام ضرراً أراده الله أو تمسك عني رحمةً أرادها الله بحيث لا تصل إليَّ، قل يا محمد (حسبي الله) أي عليه توكلت أي اعتمدت (وعليه يتوكل المتوكلون) أي: عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون»<sup>(٦٥)</sup>.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء لا يجد اختلاف معنًى بين القراءتين سوى اختلاف في اللفظ تعلق بمعموله، فيقول ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كاشفاتُ ضُرِّه) (ممسكاتُ رَحْمَتِهِ) بإضافة الوصفين إلى الاسمين وقرأ أبو عمرو ويعقوب بتنوين الوصفين ونصب (ضُرِّه) و(رَحْمَتُهُ) وهو اختلافٌ في لفظٍ تعلق بمعموله والمعنى واحدٌ»<sup>(٦٦)</sup>، وبعضهم اعتبر تقارباً بينهما في المعنى، قال

(٦٣) جامع البيان ١١ م ج ٢٤ ص ٦.

(٦٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٢٠.

(٦٥) فتح القدير ج ٤ ص ٦٥٣.

(٦٦) التحرير والتنوير ١١ م ج ٢٤ ص ٢٩٦.

الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»<sup>(٦٧)</sup>، إلا أن قراءة (هل هن كاشفات ضره) و(ممسكات رحمته) بالتنوين والنصب أنها تفيد الحال والاستقبال بمعنى هل تستطيع ألهمتكم أن تمنع عني ما ينزل بي من الضر أو تستطيع أن تحبس عني رحمة أراها الله، وعلى هذا يكون الضر والرحمة ما لم يقعا بعد، وأما القراءة الثانية (هل هن كاشفت ضره) و(ممسكات رحمته) بالضم دون التنوين مع الكسر لـ (ضره) و(رحمته) بالإضافة، فإنها تفيد ما ثبت وقوعه ومضى، بمعنى إذا وقع بي ضرر هل تستطيع ألهمتكم أن تكشف ما وقع بي من الضر أو الرحمة التي أصابتنى من الله تعالى، قال الإمام ابن خالويه: «الحجة لمن نون: أنه أراد الحال والاستقبال، ولمن أضاف أنه أراد: ما ثبت ومضى»<sup>(٦٨)</sup>.

قال الفراء: «وللإضافة معنى مضى من الفعل فإذا رأيت الفعل قد مضى في المعنى فآثر الإضافة فيه»<sup>(٦٩)</sup>.

وقال ابن زنجلة: «حجة أبي عمرو - أي في قراءة التنوين والنصب -: أن الفعل منتظر وأنه لم يقع، وما لم يقع من أسماء الفاعلين إذا كان في الحال فالوجه فيه النصب، المعنى: هل هن يكشفن ضره أو يمسكن رحمته، وحجة الإضافة: أن الإضافة قد استعملتها العرب في الماضي والمنتظر، وأن التنوين لم يستعمل إلا في المنتظر خاصة»<sup>(٧٠)</sup>.

وبالجمع بين القراءتين يظهر زيادة معنى في عجز الآلهة عن كشف الضر حيث إنها لا تستطيع كشف ضر وقع في الماضي أو هو واقع في الحال أو سوف يقع في المستقبل وفي ذلك زيادة بيان في ضعف الآلهة وعجزها، وكلتا القراءتين تحملان المعنى نفسه في عجز الآلهة وضعفها إلا

(٦٧) جامع البيان ١١ م ج ٢٤ ص ٦.

(٦٨) الحجة في القراءات السبع ص ٣١٠.

(٦٩) معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ٤٢٠.

(٧٠) حجة القراءات ص ٦٢٣، انظر الحجة في القراءات السبع ص ٣٤٢.

أن من يعجز عن تحقيق شيء في الماضي وفي الحال وفي المستقبل يكون أشد ضعفاً وعجزاً من غيره، والله أعلم، وفي ذلك زيادة تبكيت وتوبيخ للكفار لعبادتهم ما هو عاجز بالكلية عن تحقيق أي أمر لهم.

٧. قال تعالى: قل ﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤٠) [الزمر: ٣٩ - ٤٠].

### القراءات:

- ١ - قرأ شعبة (مَكَانَاتِكُمْ) بـألفٍ بعد النون على الجمع.
- ٢ - قرأ الباقر ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألفٍ بعد النون على الأفراد<sup>(٧١)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

المكان عند أهل اللغة: الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكنته ومكنت له فتمكن، وأمكنت فلاناً من فلان، ويقال: مكان ومكانة وفي التنزيل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، أي: متمكن ذي قدر ومنزلة<sup>(٧٢)</sup>.

وجاء في لسان العرب: المكانة: التؤدة وقد تمكن ومرّ على مكينته أي: على تؤدته، ويقال: الناس على مكاناتهم أي: على استقاماتهم، وفي التنزيل: ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على حيالكم وناحيتكم وقيل: أي على ما أنتم مستمكون<sup>(٧٣)</sup>.

وقال الزمخشري: «على مَكَانَتِكُمْ: أي على حالكم التي أنتم عليها

(٧١) انظر غيث النفع في القراءات السبع لمحمد شاهين ص ٤٤٨ والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٣٠.

(٧٢) انظر مفردات الفاظ القرآن ص ٧٧٣.

(٧٣) انظر لسان العرب ج ١٣ ص ٤١٤.

وجهتكم من العداوة تمكنتم منها» (٧٤).

### التفسير:

يأمر الله ﷻ في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ بأن يقول للمشركين من قومه بعد أن أقام عليهم الدليل وألزمهم بالحجة التي لم يستطيعوا إنكارها: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾ أي: اعملوا على طريقكم وحالكم التي أنتم عليها من المكر والكيد والخداع، قال الألوسي: «على حالتكم أي: التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتهم فيها لأن المكانة نقلت من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص واستعيرت لها استعارة محسوس لمعقول... وقال: وجواز أن يكون المعنى اعملوا على حسب تمكنتكم واستطاعتكم» (٧٥).

﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾: قال الشوكاني: «أي: على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها، وحذف ذلك للعلم به مما قبله، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يهينه ويذله في الدنيا، فيظهر عند ذلك أنه المبطل وخضمه المحق، والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والأسر والقهر والذلة، ثم ذكر عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار» (٧٦) والأمر في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾ كما قال الألوسي: «للتهديد وإيراده بصيغة الأمر كما قال غير واحد، مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عازماً عليه فيحمله بالأمر على ما يؤدي إليه وتسجيلاً بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى» (٧٧) عنه» (٧٨).

(٧٤) الكشف ج ٣ ص ٣٩٩.

(٧٥) روح المعاني ج ٢٤ ص ٦.

(٧٦) فتح القدير ج ٤ ص ٦٥٢.

(٧٧) اقتض الشيء: فصله وانتزعه من غيره، وانفص: انفصل، (انظر المعجم الوسيط ص ٧٢٤).

(٧٨) روح المعاني ج ٨ ص ٣١.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «قرأ أبو علي (على مَكَائِكُمْ) جماعة، وقرأ الباقر ﴿عَلَى مَكَائِكُمْ﴾ واحدة، مَنْ أفرد فلأنه مصدر، والمصادر تفرد في موضع الجمع لأنه يراد به الكثير كما يراد في سائر أسماء الأجناس، ومن جمع فلأنهم جمعوا»<sup>(٧٩)</sup>.

وقال في موضع آخر: «الحجة لمن قرأه بالجمع أنه جعل لكل واحد منهم مكانة يعمل عليها فجمع على هذا المعنى، ويحتمل أن يكون أراد بالجمع الواحد كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ والمخاطب بذلك محمد ﷺ فإن قيل: فكيف أمرهم النبي ﷺ أن يثبتوا على عمل الكفر وقد دعاهم إلى الإيمان؟، فقل: إن هذا أمر معناه التهديد والوعيد، كقوله: (اعملوا ما شئتم) توعداً لهم بذلك»<sup>(٨٠)</sup>.

وقال مكي بن أبي طالب: «(مَكَائِكُمْ) قرأه أبو بكر بالجمع، حيث وقع، جعله جمع مكانة، وهي الحالة التي هم عليها، فلما كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم جمع، لاختلاف الأنواع وهو مصدر، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها، فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد»<sup>(٨١)</sup>.

والذي يراه الباحث: إن قراءة (مَكَائِكُمْ) بالجمع تعطي دلالات عدة في هذا السياق القرآني وهي:

١ - إن الجمع يوحي بالطرائق المتعددة والأحوال المختلفة لمكر أولئك القوم وتفرع سبل الغواية والضلال في حين أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَايِلٌ﴾ توحي بأن طريق الحق واحد لا يتبدل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ

(٧٩) الحجة في القراءات السبع ص ١٢١.

(٨٠) المصدر السابق ص ١٧.

(٨١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٤٥٢.

وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢ - قراءة الجمع تستدعي التحدي الرباني الدال على القدرة الإلهية رغم تعدد مكرهم وسبل غوايتهم.

٣ - إن زيادة التحدي لكفار قريش بتجميع جهودهم وقوتهم وتعدد أحوالهم المختلفة تفيد زيادة معنى ومبالغة وشدة في التهديد والوعيد لهؤلاء الكفار.

٨ - قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتُ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء و(الموت) بالرفع.

٢ - قرأ الباقون ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتُ﴾ بفتح القاف والضاد و(الموت) بالنصب<sup>(٨٢)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً، ويعبر عن الموت بالقضاء، فيقال: فلان قضى نحبه، كأنه فصل أمره المختص به من دنياه<sup>(٨٣)</sup> وفي التنزيل: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال ابن منظور: «القضاء: الحكم وأصله (قضائي) لأنه من قضيت، وقضى بمعنى الأداء والإنهاء فتقول قضيت ديني أي: أتممته، وقضى في

(٨٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٣٩، النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٣.

(٨٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٥.



اللغة على ضروب، كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتامه، فيقال: قضى القاضي بين الخصوم أي: قطع بينهم في الحكم»<sup>(٨٤)</sup>.

### التفسير:

في هذه الآية يسوق المولى ﷺ الدليل على وحدانيته ﷻ وكمال قدرته ووصف ذاته بكل كمالٍ وتنزيها عن كل نقص، دليلاً لا يستطيع أحد من كان صنماً أو غيره أن يشركه في ذلك، فالله تعالى هو الذي يتصرف في الوجود كيف شاء وبما شاء، وهو الذي يتوفى الأنفس ويقبضها من الأبدان، عند فناء آجالها وانقضاء مدة حياتها وهي الوفاة الكبرى، ويتوفى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصغرى، كما يقول بعض العلماء، قال أبو حيان: «ومعنى يتوفى الأنفس، يميتها والتي أي: والأنفس التي لم تمت في منامها، أي يتوفاها حين تنام، تشبيهاً للنوم بالأموات، ومنه ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِأَلِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٠] فبين الميت والنائم قدر مشترك، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان، فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي، ولا يردّها في وقتها حيّة، ويرسل النائمة لجسدها الى أجل ضربه لموتها»<sup>(٨٥)</sup>، وقال ابن كثير: «أخبر تعالى بأنه المتصرف في الوجود كما يشاء وأنه يتوفى الأنفس والوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة - الملائكة - الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام»<sup>(٨٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَمْسِكُ إِلَّيْ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردّها إلى البدن، ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقتٍ محدود، هو أجل موتها الحقيقي، قال الطبري: «إنّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها

(٨٤) لسان العرب ج ١٥ ص ١٨٧.

(٨٥) البحر المحيط ج ٧ ص ٤١٤.

(٨٦) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٦.

أَمَسَكَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ عِنْدَهُ وَحَبَسَهَا، وَأَرْسَلَ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى أَجْسَادِهَا إِلَى أَجْلِ مَسْمًى<sup>(٨٧)</sup>.

وقال القرطبي: «وفي الآية تنبيه على عظيم قدرته تعالى، وانفراده بالالوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحيي ويميت، لا يقدر على ذلك سواه»<sup>(٨٨)</sup>.

ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: إن في هذه الأفعال العجيبة التي ذكرها في توفي الأنفس الماتة والنائمة وإرسالها إلى أجل مسمى، لعلامات واضحة قاطعة على كمال قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون أفكارهم ويعتبرون<sup>(٨٩)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

في القراءة الأولى (فيمسك التي قضي عليها بالموت)، بضم القاف وكسر الضاد، ورفع الموت، يكون الفعل مبنياً للمفعول، والموت نائب فاعل، وعلى هذا لم يذكر الفاعل هنا وذلك بسبب العلم به حيث من المعلوم أن الذي يقبض الأرواح ويتوفى الأنفس هو الله ﷻ، وكما يقول أهل اللغة: إن المبني للمجهول يكون له أغراض منها: الجهل به، ومنها التعظيم، ومنها التحقير، ومنها العلم به، ومنها إثارة غرض السامع، لأنه ربما لم يشته ذكر الفاعل إما حباً له، وإما بغضه<sup>(٩٠)</sup>. ولذلك فإن قراءة البناء للمفعول تكون في سياق العلم بالفاعل ولربما التعظيم لأنها تأتي في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وإثبات وحدانيته، وهناك قول آخر، لتدل على التيسير والسهولة في قضاء الموت، قال البقاعي: «(التي قضي)، أي ختم وحكم وبث بتاً مقدراً مفروغاً منه، وقراءة البناء للمفعول موضحة لهذا

(٨٧) جامع البيان م ١١ ج ٢٤ ص ٧.

(٨٨) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٢٣.

(٨٩) انظر البحر المحيط ج ٧ ص ٤١٤.

(٩٠) انظر توجيه اللمع لابن خباز ص ١٢٧.

المعنى بزيادة اليسر والسهولة»<sup>(٩١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «قُضِيَ عليها الموت»، ببناء الفعل للنائب ويرفع الموت وهو على مراعاة نزع الخافض والتقدير: قضى عليها بالموت: فلما حذف الخافض صار الاسم الذي كان مجروراً بمنزلة المفعول به، فحل نائباً عن الفاعل، أو على تضمين (قضي)، معنى كتب وقدر»<sup>(٩٢)</sup>.

وأما قراءة ﴿فَيَمْسِكُ إِلَيَّ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، بفتح القاف والضاد، ونصب الموت، بأن الفعل مبني للفاعل والمعنى في ذلك أن قضى الله عليها الموت، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾، وأما القرطبي فيعتبر أنَّ المعنى في القراءتين واحدٌ غير أن الأولى أبين وأشبه بنسق الكلام<sup>(٩٣)</sup>. والباحث يرى: أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى أشد تمكناً في الحدث من بنائه للمجهول، فما أسند إليه صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحةً ويزيد معنى الفعل تأكيداً مما يتناسب مع إقامة الدليل على وحدانيته تعالى وتفرد بالألوهية.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون الدليل فيهما أقوى على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته، حيث إنَّ الله تعالى بيده كل شيءٍ ويفعل ما يشاء، ويحيي ويميت ولا يقدر على ذلك سواه ومما يزيد ذلك عظمة، أنَّ أمرَ قضاء الموت يكون بسهولة ويسرٍ، وأصبح معلوماً لدى جميع الخلق أنَّ هذه القدرة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار المتفرد بالألوهية.

٩ - قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

(٩١) نظم الدرر ج ٦ ص ٤٥٤.

(٩٢) التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ٦٢.

(٩٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٢٣.

## القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.
- ٢ - قرأ الباقر (تَرْجَعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول<sup>(٩٤)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرجع: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات<sup>(٩٥)</sup>، وقوله **عَلَيْكَ**: ﴿قَالَ رَبِّ آرْجَعُونِي ۖ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (آرْجَعُون) أي: ردوني إلى الدنيا<sup>(٩٦)</sup>.

## التفسير:

بعد تبكيت الله تعالى وتجهيله الكفار الذين عبدوا الأصنام من دون الله - في آية سابقة - يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: إن كنتم تعبدون هذه الآلهة التي لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً لتكون لكم شفعاء يوم القيامة، فإن الشفاعة لله وحده، ولا يملك أحد شفاعة إلا بإذنه، لأن ملك السموات والأرض له وحده ولا يشركه فيه أحد، ثم إليه وحده الأمر والمصير يوم القيامة، وإليه ترجعون فيحاسبكم على أعمالكم<sup>(٩٧)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَرْجَعُونَ) على البناء للمفعول أن الرجوع يوم القيامة

(٩٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٢، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٤٨.

(٩٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٢.

(٩٦) لسان العرب ج ٨ ص ١١٤.

(٩٧) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٦٥٥، التفسير الواضح م ٣ ج ٢٤ ص ٩.

يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ من أمره، وهم كارهون بقوة خارجية عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمّا قراءة (تَرْجِعُونَ) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم إلى الله تعالى يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «و(تَرْجِعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»<sup>(٩٨)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الجميع راجع إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواء أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع إليه أم كره لقاءه وأجبر على الرجوع فيجازي الله كلأ بعمله.

١٠ - قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

### القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (لا تَقْنَطُوا) بكسر النون.

٢ - وقرأ الباقر ﴿لا تَقْنَطُوا﴾ بفتح النون<sup>(٩٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

القُنُوط: اليأس من الخير، يقال قَنَطَ يَقْنُطُ قنوطاً وقَنِطَ يَقْنُطُ<sup>(١٠٠)</sup>.

(٩٨) التحرير والتنوير ١م ج ١ ص ٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٩٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٢، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٣١.

(١٠٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٨٥.

قال ابن منظور: القنوط بالضم: المصدر، وقنط يقنط ويقنط قنوطاً مثل جلس يجلس جلوساً، وقنط قنطاً وهو قانط: يائس، وأما قنط يقنط بالفتح فيهما، وقنط يقنط، بالكسر فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين<sup>(١٠١)</sup>.

### التفسير:

هذه الآية الكريمة تبث في النفوس الأمل والرجاء والثقة بالله تعالى بأن يغفر الله لهم ذنوبهم ويرحمهم فهو عظيم المغفرة واسع الرحمة بعباده، يعلم ضعفهم وعجزهم، فيغفر ذنوب من يتوب إليه توبة خالصة صادقة ويتبع شرعه ويمتثل أوامره، يقول سيد قطب رحمته: «إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيمٌ بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانه ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق... ثم يقول: يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل، في هذه اللحظة، لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندي بلطف: ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١٠٢)</sup>.

في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه محمداً عليه السلام أن يُخبر الذين أفرطوا في الجنانية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ألا ييأسوا من مغفرة الله ورحمته فإن

(١٠١) انظر لسان العرب ج ٧ ص ٣٨٦.

(١٠٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص ٣٠٥٨.

الله تعالى يغفر جميع الذنوب بمغفرته ويعفو عمن يشاء بعفوه، وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: إنه عظيم المغفرة واسع الرحمة، وظاهر الآية يدل على أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله تعالى والذي يدل على ذلك، إضافة العباد لنفسه الشريفة بقوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي﴾ إلا أن السياق القرآني يدل على أن الآية عامة في جميع أهل المعاصي مؤمنهم وكافرهم، قال ابن عاشور: «الخطاب بعنوان (يا عبادي) مراد به المشركون ابتداءً بدليل قوله: ﴿وَأَسْلَمُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾... فهذا الخطاب جرى على غير الغالب في مثله في عادة القرآن عند ذكر (عبادي) بالإضافة إلى ضمير المتكلم إلى الله تعالى»<sup>(١٠٣)</sup>.

وقال ابن كثير: «الآية الكريمة هي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأنَّ الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه»<sup>(١٠٤)</sup>.

وأما أبو حيان، فإنه يعتبر هذه الآية عامة في كل كافر يتوب، ومؤمن عاص يتوب، تمحو الذنب توبته، وعلى هذا فالغفران مشروط بالتوبة الصادقة، ومقيدة أيضاً بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة<sup>(١٠٥)</sup>، قال العلماء هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لمن يش من التوبة.

#### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (تَقْنَطُوا بالفتح، وتَقْنَطُوا بالكسر) علاقة لغوية فقط والمعنى واحد حيث إنَّ القُنُوط هو اليأس: قال الدكتور محمد

(١٠٣) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٤٠.

(١٠٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٩.

(١٠٥) انظر البحر المحيط ج ٧ ص ٤١٦.

محسن: (لا تَقْنُطُوا) : قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب وخلف العاشر، بكسر النون مثل ضرب يضرب، وهي لغة أهل الحجاز، وأسد، وقرأ الباقون بفتحها، مثل علم يعلم وهي لغة بعض العرب»<sup>(١٠٦)</sup>.

وقال الشوكاني: في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] قرئ بفتح النون من (يقنط) ويكسرهما وهما لغتان»<sup>(١٠٧)</sup>.

١١ - قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بَحَسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ أَسْتَخِيرُ﴾ [الزمر: ٥٦].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر (يَا حَسْرَتَايَ) بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلاف عنه.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿بَحَسَرْتُ﴾ بغير ياء»<sup>(١٠٨)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة: «الغم على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه»<sup>(١٠٩)</sup>.

وقال ابن منظور: «الْحَسْرُ وَالْحَسَرُ وَالْحُسُورُ: الإعياء والتعب، والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه،

(١٠٦) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٣١.

(١٠٧) فتح القدير ج ٤ ص ١٨٤.

(١٠٨) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٦٦٣، وتجيير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص ١٩٧.

(١٠٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٥.



ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ أي: حسرةً وندماً<sup>(١١٠)</sup>.

### التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته وتفريطه في أوامر الله تعالى وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذير لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه بعد أن بين لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشد الندم يوم القيامة، قال ابن كثير: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ أي: إنما كان عملي في الدنيا عملُ ساخرٍ مستهزئٍ غير موقن ولا مصدق<sup>(١١١)</sup>.

وقال الطبري: «أخبر الله ما العباد قائلونه قبل أن يقولوه وعلمه قبل أن يعلموه، قال: وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾»<sup>(١١٢)</sup>.

وقال الشوكاني: «﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ قال البصريون: أي: حذراً أن تقول نفس، وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حالٍ تقولون فيها: يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله، قيل: «والمراد بالنفس النفس الكافرة، وقيل: المراد به التكثير... والحسرة:

(١١٠) لسان العرب ج ٤ ص ١٩٠.

(١١١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦٢.

(١١٢) جامع البيان ج ٢٤ ص ١٤.

الندامة، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جُنُبِ اللَّهِ﴾، على ما فرطت في طاعة الله، قاله الحسن، وقال الضحاك: على ما فرطت في ذكر الله، ويعني به القرآن والعمل به<sup>(١١٣)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يا حَسْرَتَايَ) بالياء بعد الألف المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال البقاعي: «ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر، (يا حَسْرَتَايَ) بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوّض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم»<sup>(١١٤)</sup>، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرة بعد حسرة، وربما تفيد تشنية الحسرة، جاء في البحر المحيط: «قرأ الجمهور يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلم ألفاً، وأبو جعفر: يا حسرتاي، بياء الإضافة، وعنه: يا حسرتاي بالألف والياء جمعاً بين العوض والمعوّض، والياء مفتوحة أو ساكنة، وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه (كتاب اللوامح): ولو ذهب إلى أنه أراد تشنية الحسرة مثل لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لب بعد لب وسعد بعد سعد، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار مذهباً ولكان ألف التشنية في تقدير الياء على لغة بلحريث بن كعب»<sup>(١١٥)</sup>.

وقال ابن عاشور: وقرأ أبو جعفر وخده (يا حَسْرَتَايَ) بالجمع بين ياء المتكلم والألف التي جعلت عوضاً عن الياء في قولهم: (يا حَسْرَتَيَّ)<sup>(١١٦)</sup>. والأشهر عن أبي جعفر أن الياء التي بعد الألف مفتوحة، وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول

(١١٣) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٦٦١.

(١١٤) نظم الدرر ج ٦ ص ٤٦٣.

(١١٥) البحر المحيط ج ٧ ص ٤١٧.

(١١٦) هذه قراءة الحسن وهي شاذة، واستشهد بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب بقولهم (يا حسرتي).

(على) و(ما) في (ما فَرَّطْتُ) مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله<sup>(١١٧)</sup>.  
وأما قراءة (يا حَسْرَتَا) بالألف بدل (يا حَسْرَتِي) وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والاستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الاستغاثة ألفاً فتقول يا ويلتا ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء<sup>(١١٨)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

قراءة (يا حَسْرَتِي) بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة (يا حَسْرَتَا) بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدّة في الاضطراب والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: (يا حَسْرَتَاي) فقد أضافت معنى آخر بالإضافة إلى المبالغة في الاضطراب والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرة بعد حسرة يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فات، وذلك عند انكشاف أحوال يوم القيامة وحلول أوجالها وأهوالها، فيتحسر على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على ما فاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى... وفي ذلك أيضاً دلالة على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

١٢ - قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَالِ نَجْوَاهُمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

### القراءات:

١ - قرأ روح (وَيُنَجِّي) بتخفيف الجيم مع سكون النون.

(١١٧) التحرير والتنوير ١١ ج ٢٤ ص ٤٥ - ٤٦.

(١١٨) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ١٣، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٠.

- ٢ - وقرأ الباقون (وَيُنَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون<sup>(١١٩)</sup>.
- ٣ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر (بِمَفَازَتِهِمْ) بألف على الجمع.
- ٤ - وقرأ الباقون (بِمَفَازَتِهِمْ) بغير ألف على الأفراد<sup>(١٢٠)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - وَيُنَجِّي: أصل النَجَاء الانفصال من الشيء، ومنه نجا فلان من فلان وأنجيتَه ونَجَّيْتُهُ، والنَّجوة والنَّجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سُمِّي لكونه ناجياً من السيل<sup>(١٢١)</sup>.
- وجاء في لسان العرب: النجاء: الْخَلَاصُ مِنَ الشَّيْءِ، نَجَا يَنْجُو نَجْوً وَنَجَاءً، وَنَجَّى وَاسْتَنْجَى كَنَجَا، ومعنى نَجَوْتُ الشَّيْءَ فِي اللُّغَةِ: خَلَّصْتُهُ وَالْقِيَتُهُ<sup>(١٢٢)</sup>.
- ٢ - بمفازتهم: «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، والمفازة، قيل: سُمِّيت تَفَاوُلًا لِلْفَوْزِ، وَسُمِّيتَ بِذَلِكَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْفَوْزِ»<sup>(١٢٣)</sup>.
- وجاء في لسان العرب: «الفوز: النَجَاءُ وَالظَّفَرُ بِالْأَمْنِيَّةِ وَالْخَيْرِ، وَفَازَ بِهِ فَوْزًا وَمَفَازًا وَمَفَازَةً، يُقَالُ: فَازَ بِالْخَيْرِ وَفَازَ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَفَازَهُ اللَّهُ بِكَذَا فَفَازَ بِهِ أَيُّ: ذَهَبَ بِهِ»<sup>(١٢٤)</sup>.

### التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لبيان حال المؤمنين المتقين الذين اتقوا الشرك

(١١٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٢، والمستنير في القراءات العشر ص ٣٨٩.

(١٢٠) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٣.

(١٢١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٢.

(١٢٢) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٣٠٥.

(١٢٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤٧.

(١٢٤) لسان العرب ج ٥ ص ٣٩٢.

والمعاصي مرضاة الله تعالى وعبادة خالصة له مقابل حال الفريق الآخر من الناس وهم المكذبون المتكبرون الذين تسود وجوههم نتيجة للخزي الذي يصيبهم يوم القيامة، وأما هؤلاء المتقون فينجيهم الله تعالى بسبب سعادتهم وفوزهم بما كانوا يتمنون لا يمسهم خوف ولا هلع ولا جزع ولا هم يحزنون في الآخرة، قال الزحيلي: «هذا حال الفريق الآخر في مواجهة المشركين المكذبين، وهو أن الله ينجي الذين اتقوا الشرك ومعاصي الله من عذاب جهنم، ينجيهم بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة، وينفي السوء والحزن عنهم يوم القيامة، بل هم آمنون من كل فزع»<sup>(١٢٥)</sup>، وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة قال: «(يَحْشُرُ اللَّهُ مَعَ كُلِّ امْرِئٍ عَمَلَهُ، فَيَكُونُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَطْيَبِ رِيحٍ، فَكُلَّمَا كَانَ رَعْبٌ أَوْ خَوْفٌ قَالَ: لَا تَرَعْ فَمَا أَنْتَ بِالْمَرَادِ بِهِ، وَلَا أَنْتَ بِالْمَعْنَى بِهِ، فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ: فَمَا أَحْسَنَكَ فَمَنْ أَنْتَ، فَيَقُولُ: أَمَّا تَعْرِفْنِي أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحَ حَمَلْتَنِي عَلَى ثَقَلِي، فَوَاللَّهِ لِأَحْمَلُكَ، وَلَأُدْفَعَنَّ عَنْكَ فَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ ثَمَرِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ فِي السُّوءِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»<sup>(١٢٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يُنَجِّي) بتخفيف الجيم مع سكون النون تفيد مطلق النجاة لبعض من اتقى وهي تدل على قصر مدة الفعل وسرعته بدون مبالغة في الفعل، وهذه النجاة عامة لجميع المتقين.

وأما قراءة (يُنَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون فإنها تفيد التعظيم والمبالغة في الإنجاء مع التكرار، قال فضل السامرائي: «إِنَّ (فَعْلًا) يفيد التكثير والمبالغة غالباً نحو قَطَعَ وفتَّح وكَسَّرَ وحرَّقَ، ... ومن مقتضيات

(١٢٥) التفسير المنير ج ٢٤ ص ٤٤.

(١٢٦) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٣، وبحث عنه في كتب الحديث ولم أجده.

التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقتٍ أطول وأنه يفيد تلبساً أو مكثاً، (فَقَطَّعَ) يفيد استغراق وقتٍ أطول من (قَطَّعَ)»<sup>(١٢٧)</sup>.

وقال: «إِنَّ القرآنَ يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: «أنَّه يحذف من الفعل للدلالة على أَنَّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر ونحو ذلك»<sup>(١٢٨)</sup>، ويؤيد ما ذكر سابقاً قراءة (مَفَازَاتِهِمْ) بالجمع فإنَّها تدل على تكرار الإنجاء والمبالغة فيه مع تكرار الفوز وتعدده، وقد جاء في تفسير البقاعي: «(وَيُنْجِي) أي مطلق انجاءٍ لبعض من اتقى بما أشارت إليه قراءة يعقوب بالتخفيف، وتنجيةٌ عظيمةٌ لبعضهم بما أفادته قراءة الباقيين بالتشديد، وأظهر ولم يضمّر زيادةً على تعظيم حالهم وتسكين قلوبهم، (الله) أي يفعل بما له من صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك»<sup>(١٢٩)</sup>، والمبالغة في الإنجاء تدل على سوء الحال وعظمه لأهل النار وأن أهل النار في سوءٍ متجددٍ دائماً.

وأما قراء (بِمَفَازَاتِهِمْ) بالجمع فإنَّها تفيد تعدد أنواع النجاة واختلاف أسبابها فقد جاء في تفسير ابن عطية: «وقرأ جمهور القراء: (بِمَفَازَاتِهِمْ) وذلك على اسم الجنس، وهو مصدر من الفوز، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (بِمَفَازَاتِهِمْ) على الجمع من حيث النجاة أنواع، والأسباب مختلفة... وفي الكلام حذف مضافٍ تقديره: وينجي الله الذين اتقوا بأسباب أو بدواعي مَفَازَاتِهِمْ، قال السدي: (بِمَفَازَاتِهِمْ) بفضائلهم»<sup>(١٣٠)</sup>، وكذلك تفيد قراءة الجمع تعدد أنواع المَفَازَاتِ، وتعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف على اعتبار أنَّ المَفَازَةَ تدل على مكان الفوز، والجمع دائماً يدل على الكثرة والتعدد، لذلك دلت قراءة الجمع على كثرة وتعدد أنواع النجاة والفوز وأسبابهما، قال ابن عاشور: «قرأ حمزة والكسائي

(١٢٧) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٥٨.

(١٢٨) المصدر السابق ص ٩.

(١٢٩) نظم الدرر ج ٦ ص ٤٦٦.

(١٣٠) المحرر الوجيز ج ٤ ص ٥٣٩.

وأبو بكرٍ عن عاصمٍ وخلفٍ (بمَفَازَاتِهِمْ) بصيغة الجمع وهي تجري على المعنيين في المفازة لأن المصدر قد يجمع باعتبار تعدد المصادر منه، أو باعتبار تعدد أنواعه وكذلك تعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف، وعلى هذا فإضافة المفازة إلى ضمير (الذين اتقوا) لتعريفها بهم، أي: المفازة التي علمتم أنها لهم وهي الجنة<sup>(١٣١)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن النجاة عامةٌ لجميع المتقين في الآخرة بمجرد أنهم تجاوزوا النار وخلصوا منها، ونفي السوء عنهم مما يترتب عليه فوزهم بالجنة ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الشوكاني: «الزحزحة: التنحية والإبعاد: تكرير الزح، أي: فمن بعد عن النار يومئذٍ ونجي، فقد فاز، أي: ظفر بما يريد، ونجا مما يخاف، وهذا هو الفوز الحقيقي الذي لا فوز يقاربه»<sup>(١٣٢)</sup> ويؤيده حديث رسول الله ﷺ قال: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»<sup>(١٣٣)</sup>، وفي حديث آخر يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم» ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾<sup>(١٣٤)</sup>.

وكذلك يفيد الجمع بين القراءات: تتابع النجاة لبعض المتقين نجاة

(١٣١) التحرير والتنوير ١١ ج ٢٤ ص ٥٢ - ٥٣.

(١٣٢) فتح القدير ج ١ ص ٤٠٩.

(١٣٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب بيعة الإمام الأول فالأول ج ٣ ص ١٤٧٢ ح ١٨٤٤.

(١٣٤) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة آل عمران ج ٥ ص ٢٣٢ ح ٣٠١٣، قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

بعد نجاه وفوزهم فوزاً بعد فوز، فمفازة كل أحد في الأخرى على قدر مفازته بالطاعات في الدنيا<sup>(١٣٥)</sup>، فبقدر ما أتى الإنسان في الدنيا من الطاعات بقدر ما نجا وبقدر ما فاز في الآخرة وحصل على الدرجات العلى والمنازل المتعددة في الآخرة، وبقدر ما يكون المتقون في سعادة في الآخرة بقدر ما يكون أهل النار في سوء وحزن وغم ثابت متجدد دائماً، وفي الآية ترغيب بحال أهل الجنة وترهيب من حال أهل النار، والله تعالى أعلم.

١٣ - قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنَ عَبْدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان: (تأْمُرُونِي) بتخفيف النون وكسرها.

٢ - قرأ ابن عامر (تأْمُرُونِي) بنونين خفيفتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٣ - قرأ الباقون ﴿تَأْمُرُوْنَ﴾ بنون مشددة<sup>(١٣٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الأمر: الشأن، وجمعه أمور، ومصدر أمرته: إذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم: افعل ليفعل، أو كان بلفظ خبر، أو كان بإشارة<sup>(١٣٧)</sup>.

وقال الفيروزآبادي: «الأمر: ضد النهي، كالإمارة والإيمار

(١٣٥) انظر نظم الدرر ج ٦ ص ٤٦٦.

(١٣٦) انظر المستنير في القراءات العشر ص ٣٨٩، النشر ج ٢ ص ٣٦٣، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٣٣.

(١٣٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٨.



بكسرهما... ويقال: عليّ امرأة مطاعة بالفتح للمرة منه، أي: له علي امرأة أطيعه فيها» (١٣٨).

### التفسير:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يرد على كفار قريش منكراً عليهم موبخاً لهم، لما دعوه إليه من عبادة آلهم وترك عبادة ربه ﷻ، بعد أن أقام الله تعالى الأدلة القاطعة على زيف ادعائهم وبطلان عبادتهم للأصنام وعجزها عن حمايتهم أو دفع الضر عنهم، وبعد أن ساق الله تعالى الأدلة والآيات الدالة على عظمته وتفرد به بالألوهية والخلق، ووحدانيته التي تقتضي التسليم له بالعبودية والخضوع، ولذلك نعتهم الله تعالى بالجاهلين على اعتبار أن الجهل صار سجية لهم لإنكارهم هذه الدلائل الواضحات على وحدانيته، وأما عن سبب نزول هذه الآية فيقول ابن كثير: «﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾» وذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس ؓ أن المشركين من جهلهم دعوا الرسول ﷺ إلى عبادة آلهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (١٣٩) (١٤٠).

وقال السعدي: «(قل) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾» أي: هذا الأمر صدر من جهلكم وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مُسْئِدِي جميع النعم هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك» (١٤١).

وأما عن وصفهم بالجاهلين فقال ابن عاشور: «ونداؤهم بوصف

(١٣٨) القاموس المحيط ص ٣١١.

(١٣٩) انظر لباب القول في أسباب النزول للسيوطي ص ٤٩٨.

(١٤٠) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦٣.

(١٤١) تفسير السعدي ص ٦٧١.

الجاهلين تقيع لهم بعد أن وصفوا بالخسران، ليجمع لهم بين نقص الآخرة ونقص الدنيا، والجهل هنا ضد العلم، لأنهم جهلوا دلالة الدلائل المتقدمة فلم تفد منهم شيئاً، فعموا عن دلائل الوجدانية التي هي عبادة أجسام من الصخر الأصم<sup>(١٤٢)</sup>.

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ للإنكار والتوبيخ لتدل على مدى قبح طلبهم وشدة اعتراض النبي ﷺ عليهم ورفضه لطلبهم، قال ابن عاشور: «أمر الرسول ﷺ بأن يوجه إليهم هذا الاستفهام الإنكاري منوعاً على ما قبله إذ كانت أنفسهم قد خست بما جبهها من الكلام السابق، تأييساً لهم من محاولة صرف الرسول ﷺ عن التوحيد إلى عبادة غير الله»<sup>(١٤٣)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (تأمروني) بتخفيف النون وكسرها أن كفار قريش طلبوا من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم، مع عدم الملاحظة عليه بهذا الطلب ولا تكراره، حيث عرضوا عليه ذلك من خلال مساومة على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، إذا رفض أن يكف عن سب آلهتهم، ويقرهم على عبادتهم لها، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الشوكاني لسورة (الكافرون) عن ابن عباس قال: «إن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى آخر السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ

(١٤٢) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٥٧.

(١٤٣) المصدر السابق م ١١ ج ٢٤ ص ٥٧.

اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ (١٤٤) ﴿١٤٥﴾. فقرة (تَأْمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف لم تشر إلى تكرار الطلب وإنما كان الطلب غير مباشر، فيه خداع ومكر حيث إنه بإقرارهم على عبادتهم لأصنامهم يعتبر عبادة لها، وإذا قبل مساومتهم وعرضهم بأن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فيكونوا قد حققوا مرادهم من أن يحرفوه عن عبادة ربه ويعبدوه آلهتهم، ولن يعبدوا إلهه بعد ذلك، وهذا يدل على مدى مكرهم وخداعهم. وربما تفيد قراءة (تَأْمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف أنهم لم يطلبوا منه عبادة أصنامهم مباشرة وإنما تعريضاً بذلك حيث قال أطفيش إياضي: «طلبوا رسول الله ﷺ أن يتمسح ببعض آلهتهم فيؤمنوا، فذلك التمسح هو العبادة المذكورة، وذلك لفرط غباوتهم» (١٤٦).

وأما قراءة (تَأْمُرُونِي) بنونين مع التخفيف فإنها تفيد أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة مع تكرار الطلب على التراخي دون ملاحظة عليه بذلك، وهذا ما تشير إليه قراءة التخفيف بنونين دون مد في الصوت.

وأما قراءة (تَأْمُرُونِي) بالتشديد فإنها تفيد التكرار والمبالغة في الملاحظة على النبي ﷺ في قبول طلبهم بعبادة آلهتهم، وترك عبادة الله تعالى، لأن التشديد يفيد التكرار والمبالغة والتكرار في الفعل على خلاف قراءة التخفيف فإنها تفيد التقليل في الفعل.

كما أنها توحى بشدة إنكار النبي ﷺ على طلبهم ولذلك كان من مد الصوت في (تَأْمُرُونِي) بست حركات أكثر تأكيداً في معنى الإنكار وأكثر إرهاباً لهم، قال البقاعي: «ولمّا كان تقيد الإنكار على فعلهم لهم أرجع، وتأخير ما سبق من الكلام لإنكاره أروع، وكان مد الصوت أوكد في معنى

(١٤٤) انظر أسباب النزول للسيوطي ص ٤٧٣. ذكره الطبراني في المعجم الصغير: ج ٢ ص ٤٤، وقال عنه ضعيف.

(١٤٥) فتح القدير ج ١ ص ٥٠٨.

(١٤٦) تفسير أطفيش إياضي: الأسطوانة الإلكترونية - المكتبة الشاملة ج ٩ ص ١٩٤.

الكلام وأفزغ وأهول وأفطع، قال صارفاً الكلام إلى خطابهم، لأنه أقعد في إرهابهم وأشد في اكتئابهم (تَأْمُرُونِي) بالإدغام المقتضي للمد في قراءة أكثر القراء، ولعل الإدغام إشارة إلى أنهم حالوه ﷺ في أمر آلهتهم على سبيل المكر والخداع» (١٤٧).

ويأتي شدة إنكار النبي ﷺ عليهم بعد أن عرضوا عليه ذلك عقب الدلائل الواضحات التي بينها الله تعالى الدالة على عظمته وتفردته بالألوهية والوحدانية فيقتضي السياق الشدة في الإنكار والاعتراض على هؤلاء الكفار، لتأييسها من محاولة صرف النبي ﷺ عن عبادة ربه ﷻ، قال الألوسي: «﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوفٍ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (١٤٨) أي: أبعد الآيات المقتضية لعبادته تعالى وحده غير الله أعبد، فغير مفعول مقدم لأعبد، (وتَأْمُرُونِي) اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك، وقالوا له ﷺ: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك، لفرط غباوتهم، ولذا نودوا بعنوان الجهل» (١٤٨).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات: يتبين لنا الطرائق المختلفة التي يسلكها الكفار في الغواية والإضلال لعباد الله المؤمنين، فتارةً يكون بالطلب المباشر مع الملاحقة في الطلب، وتارةً يكون بالمساومة على هذا الدين مقابل المال أو غيره، وتارةً يكون بالطلب بالتنازل عن أجزاء من هذا الدين لالتقاء أهل الكفر في منتصف الطريق، وتارةً يكون بالتعريض، وبينما هم كذلك يأتي الرد الإلهي الجازم من عند الله ﷻ ليفضح مكر هؤلاء الكفرة المجرمين بالإنكار الشديد عليهم وأنه لا مساومة على الدين والعقيدة ولا أنصاف حلول، بل هو الدين الكامل والعقيدة الواحدة التي لا تقبل المساومة أو التجزئة ولا يملك أحد أن يتنازل عنها ولذلك كان هذا هو المنهج الرباني

(١٤٧) نظم الدرر ج ٦ ص ٤٦٧.

(١٤٨) روح المعاني ج ٢٤ ص ٢٣.

المتمثل في رد رسول الله ﷺ على الكفرة المجرمين والإنكار بشدة عليهم، وفيه دعوة إلى كل مسلم داعية أن يلتزم هذا النهج في مواجهة مكر أهل الكفر ومساوماتهم وأن يغلظ الرد عليهم وأن يفضح زيف ادعاءاتهم في التقارب والوحدة والمصالحة، بل الكفر كله ملء واحدة وما هي إلا سهام متنوعة من سهام الشيطان يريدون أن يوقعوا بها عباد الله تعالى.

١٤ - قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

١٥ - قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

### القراءات:

- ١ - قرأ الكوفيون (فُتِيحتْ، وَفُتِيحتْ) بالتخفيف.
- ٢ - قرأ الباقون (فُتِيحتْ، وَفُتِيحتْ) بالتشديد<sup>(١٤٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والغلق والمتاع، ... والثاني: يُدرك بالبصيرة كفتح الهم، وإزالة الغم»<sup>(١٥٠)</sup>.

وقال ابن منظور: «الفتح: نقيض الإغلاق، فَتَحَهُ فَتَحًا وافتتحه فانفتح

(١٤٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤١، النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٤١.

(١٥٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٢١.

وَتَفْتَحُ. الجوهري: فَتَحَتِ الأبواب شَدَّدَ للكثرة فَتَفْتَحُ» (١٥١).

### التفسير:

استكمالاً لبيان ما يكون عليه حال الناس يوم القيامة، يعرض المولى ﷺ في هاتين الآيتين الكريمتين صورتين متقابلتين لحال كل من الكافرين المجرمين، والمؤمنين المتقين.

**الصورة الأولى:** تبين حال الكفار وهم يساقون إلى نار جهنم جماعات متفرقة كل حسب عملها في الدنيا، فيكونون أذلاء صاغرين، فتفتح لهم أبواب جهنم عند وصولهم إليها، ويدعون فيها بعنف وشدة، وتوخيهم خزنة جهنم من الملائكة على تقصيرهم في حق الله تعالى، وعلى كفرهم بأنبيائهم الذين جاءوا لهدايتهم وإنذارهم من شر ذلك اليوم، وما يكون أمام هؤلاء المجرمين إلا الاعتراف بالذنب.

**والصورة الثانية:** تبين حال المؤمنين المتقين على النقيض تماماً من حال الكفار، وهم يساقون إلى الجنة كرماء أعزاء، في جماعات فتفتح لهم أبوابها، وترحب بهم الملائكة أشد ترحاب، وتقول لهم: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، فيحمدون الله تعالى على أن صدقهم وعده، وأدخلهم الجنة.

قال السعدي: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: سوقاً عنيفاً يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعا، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها (زمرأ) أي: فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضاً، ويرأ بعضهم من بعض.

﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أبوابها) لقدومهم<sup>(١٥٢)</sup>.

قال ابن عاشور: «جملة (فُتِحَتْ) جواب (إذا) لأنها ضمنت معنى الشرط، وأغنى عن ذكر (إذا) عن الإتيان بـ (لَمَّا) التوقيتية، والتقدير: فلما جاءوها فتحت أبوابها، أي: وكانت مغلقة لتفتح في وجوهم حين مجيئهم فجأة تهويلاً ورعباً»<sup>(١٥٣)</sup>. وقال ابن كثير: «أي: بمجرد وصولهم إليها فُتِحَتْ لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ شداذ القوى: على وجه التقرير والتوبيخ والتنكيل ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم﴾ أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار (بلى) أي: قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين»<sup>(١٥٤)</sup>.

وأما عن حال أهل الجنة، قال السعدي: «﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدا على النجائب»<sup>(١٥٥)</sup>. ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحية والمنازل الأنيقة وهبت عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها، و﴿فُتِحَتْ﴾ لهم ﴿أَبْوَابُهَا﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق ليكرموا فيها. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ تهنئة لهم وترحيباً، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلام من كل آفة وشر حالٍ عليكم، ﴿طِبْتُمْ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبه وخشيته،

(١٥٢) تفسير السعدي ص ٦٧٢.

(١٥٣) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٦٩.

(١٥٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦٦.

(١٥٥) نجائب الأشياء: لبابها وخالصها وخيارها وأفضلها، انظر القاموس المحيط ص ١٢٥،

المعجم الوسيط ص ٩٤٠.

وَأَلَسْتُمْ بِذَكَرِهِ، وجوارحكم بطاعته» (١٥٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فُتِحَتْ) بالتخفيف على أصل الفعل بدون تكرار في الفتح أي فتحت الأبواب مرة واحدة، وأمّا قراءة (فُتِّحَتْ) بالتشديد، فقد أفادت: التكثير والتكرار والمبالغة في الفعل، واستغراق وقتٍ أطول وأنه يفيد تلبثاً ومكثاً (١٥٧).

قال ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يقرآن بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد: أنه أراد: تكرير الفعل، لأن كل باب منها فتح، ودليله: إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣] والحجة لمن خفف: أنه دل بذلك على فتحها مرة واحدة، فكان التخفيف أولى، لأنَّ الفعل لم يتردد ولم يكثر» (١٥٨).

وقال أبو منصور الأزهري: «من شدد فهو أبلغ، وأكثر في باب الفتح من التخفيف» (١٥٩).

وقال ابن زنجله: «قال اليزيدي: كل ما فتح مرة بعد مرة فهو (التفتيح)، ووجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل والكثير، وقالوا: لأنها تفتح مرة واحدة» (١٦٠).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيّن أنَّ أبواب النار تفتح في وقتٍ واحدٍ بمجرد وصولهم إليها بدون انتظارٍ ولا إهمالٍ مع الشدة والمبالغة في طريقة

(١٥٦) تفسير السعدي ص ٦٧٣.

(١٥٧) ورد نظيره في كتاب: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٥٨.

(١٥٨) الحجة في القراءات السبع ص ٣١١.

(١٥٩) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٤١.

(١٦٠) حجة القراءات ص ٦٢٦.



فتح أبواب النار حيث إن لها سبعة أبوابٍ كلها تفتح في وقتٍ واحدٍ، والمبالغة في فتح الأبواب دليل الشدة والإحكام في إغلاقها قبل مجيئهم ليكون أشد لعذابها وأعظم لحرها، كما وأن تفتيح الأبواب بهذه الصورة المبالغ فيها، تستدعي وقوف أهل النار على أبوابها مما يزيدهم ذلاً وصغاراً وهم ينتظرون دخولها وحرّها.

وأما المبالغة في فتح أبواب الجنة الثمانية فتدل على المبالغة في الترحاب بأهل الجنة وإكرامهم والواو في جملة (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) على قول أكثر المفسرين: إنها واو الحال، أي: حين جاءوها وقد فتحت أبوابها فوجدوا الأبواب مفتوحة على ما هو الشأن في اقتبال أهل الكرامة<sup>(١٦١)</sup>.

وقد جاء في زاد المسير: «أنها واو الحال، فالمعنى: جاؤوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرّها.

الثاني: أن الوقوف على الباب، المغلق نوعٌ ذلٌّ، فاصِلين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار.

والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقاً لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكرم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة<sup>(١٦٢)</sup>.

(١٦١) انظر التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٧١.

(١٦٢) زاد المسير ص ١٢٣٧.

## المبحث الثاني

### عرض وتفسير آيات سورة غافر المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (١) [غافر: ٦].

#### القراءات:

- ١ - قرأ نافع والشامي (كَلِمَاتُ) بألف بعد الميم على الجمع.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير ألف على الأفراد<sup>(١٦٣)</sup>.

#### المعنى اللغوي للقراءات:

الكلام: «اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة»<sup>(١٦٤)</sup>، وقال الأصفهاني: «الكلام يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النحويين يقع على الجزء منه، اسماً كان، أو فعلاً، أو أداة»<sup>(١٦٥)</sup>.

وجاء في لسان العرب: «والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف

---

(١٦٣) غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٥١، وانظر حجة القراءات ص ٦٢٤.

(١٦٤) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ٢٠٢٣.

(١٦٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٢٢.

الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكاملها وخطبة بأسرها»<sup>(١٦٦)</sup>.

### التفسير:

يخبر المولى ﷺ سيدنا محمداً ﷺ، بأن حكمه بالهلاك والعذاب على الكفرة الذين كذبوه، قد وجب وثبت كما تحقق حكمه ﷺ بالهلاك والعذاب على الذين كفروا وكذبوا بأنبيائهم من الأمم السابقة، لأن العلة واحدة، وهي أنهم أصحاب النار.

قال الزحيلي: «وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١٦٦﴾» أي: ومثل ذلك عذاب كل كافر، والمعنى: وكما وجب العذاب على الأمم المكذبة لرسولهم، وجب على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك بالباطل، وتحزبوا عليك، فالسبب واحد، والعلة واحدة، وذلك العذاب هو استحقاقهم النار، والمراد بكلمة العذاب، هي أنهم مستحقون النار»<sup>(١٦٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إن قراءة ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد تدل على الجمع، فالكلمة والكلام يترادفان في مثل هذا، حيث إن المراد منها: قول الله تعالى، أي: نفذ قوله وحكمه، وقال جمهور المفسرين: المراد بالكلمات أو الكلمة القرآن، واستبعد ابن عطية<sup>(١٦٨)</sup> أن يكون المراد من (كلمات ربك) بالجمع أو الأفراد القرآن، واستظهر أن المراد منها قول الله، أي: نفذ قوله وحكمه، وقريب من ذلك قال ابن عباس: كلمات الله وعده،

(١٦٦) لسان العرب ج ١٢ ص ٥٢٣.

(١٦٧) التفسير المنير ج ٢٤ ص ٧٦.

(١٦٨) هذا من كلام ابن عاشور، انظر التحرير والتنوير م ٥ ج ٨ ص ١٩.

وقيل: كلمات الله: أمره ونهيهِ، ووعدهِ، ووعيدهِ<sup>(١٦٩)</sup>، وقال الشوكاني: «المراد بالكلمات العبادات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى: أن الله قد أتم وعده ووعيدهِ»<sup>(١٧٠)</sup>، وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بصيغة الجمع، والإفراد هنا مساوٍ للجمع، لأن المراد به الجنس بقرينة أن الضمير المجزور بـ (على) تعلق بفعل (حَقَّتْ) وهو ضمير جمع فلا جرم أن تكون الكلمة جنساً صادقاً بالمتعدد بحسب تعدد أزمان كلمات الوعيد وتعدد الأمم المتوَعَّدة»<sup>(١٧١)</sup>.

وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من جمع، أن معنى (الكلمات) في هذا هو ما جاء من عند الله من وعدٍ ووعيد وثواب وعقاب، وأخبار عما كان، وعمّا يكون، وذلك كثير، مَنْ جمع (الكلمات) لكثرة ذلك،... وحجة من قرأ بالتوحيد أن الواحد في مثل هذا يدل على الجمع»<sup>(١٧٢)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى هدّد كفار قريشٍ بعذابٍ شديدٍ من جنس العذاب الذي أصاب الأقوام السالفة الغابرة، فتكون القراءة الثانية بالجمع مبيّنة للقراءة الأولى بالتوحيد، حيث إنَّ قراءة التوحيد أفادت أن العذاب قد ثبت في حقّ هؤلاء الكفار كما ثبت في حقّ من قبلهم، وأما قراءة الجمع فإنها تدل على أن كلمات الوعيد والتهديد التي أوجي بها إلى الرسل جميعاً لإبلاغها أقوامهم واحدة، وعلى ذلك يكون المعنى: بمثل أخذ الله قوم نوح والأحزاب وغيرهم حقّت على كفار قومك كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم.

(١٦٩) انظر المصدر السابق ٥ ج ٨ ص ١٩، عند تفسيره للآية (١١٤) من سورة الأنعام.

(١٧٠) فتح القدير ج ٢ ص ٤٦٧.

(١٧١) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٨٨.

(١٧٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٤٤٨.

٢ - قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

### القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (ويُنزِّلُ) بالتخفيف.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد (١٧٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

النزل: هو الانحطاط من علو، يقال نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، أي: حط رحله فيه (١٧٤)، وجاء في لسان العرب: النزول: الحلول، ونزل من علو إلى أسفل: انحدر، ونزله وأنزله بمعنى، ولا فرق بين نزلت وأنزلت إلا صيغة التكرير (١٧٥).

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن دلائل توحيد الله تعالى وربوبيته، وعلامات قدرته، وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتوارى ولا تنقطع، فيريهم آياته الباهرة الدالة على عظيم قدرته، وينزل من السماء رزقاً لهم بإدراك الغيث الذي يُخرج به أقواتهم وغذاء أنعامهم، وما يتذكر ويتعظ بهذه الآيات ويعتبر بها ويعلم حقيقة ما تدل عليه إلا من ينيب ويرجع إلى توحيد الله تعالى ويقبل على طاعته (١٧٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُنزِّلُ) بالتخفيف من الإنزال، أنَّ الله تعالى ينزل عليهم

(١٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٤، البدور الزاهرة ص ٣٨٧.

(١٧٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٩.

(١٧٥) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٦٥٦.

(١٧٦) انظر جامع البيان ج ١١ ص ٢٤، فتح القدير ج ٤ ص ٦٨٠.

الغيث سبب الرزق مرة واحدة ويحتمل الزيادة.

أما قراءة ﴿يُنْزَلُ﴾ بالتشديد تفيد أن الله تعالى ينزل عليهم الغيث سبب الرزق بشكلٍ دائم ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير في الفعل، وربما قراءة التشديد تفيد إضافةً إلى ما سبق تعدد وتنوع أنواع الرزق، فمنه المطر الذي يُنبِتُ الأرض ويتسبب عنه الرزق، ومنه ما حكم الله به وكتبه لعباده من رزقٍ يناله المرء في تجارةٍ أو عملٍ أو غير ذلك<sup>(١٧٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنْزَلُ﴾ بالتشديد مبيّنة لقراءة (يُنْزِلُ) بالتخفيف، حيث إن قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الرزق للناس دون إيضاح لطبيعة هذا الإنزال، أما قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتعددتها وتنوعها وتكرارها على الدوام، تذكيراً لهم بكمال النعمة عليهم، وفي ذلك زيادة دلالة على قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه.

٣ - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

### القراءات:

١ - قرأ نافع وهشام (والذين تَدْعُونَ) بالتاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء<sup>(١٧٨)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«الدعاء كالتداء، إلا أن النداء قد يقال بـ (يا) أو (أيها)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم،

(١٧٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٠.

(١٧٨) انظر النشر ج ٢ ص ٣٦٥، تحبير التيسير ص ١٩٨.

نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر<sup>(١٧٩)</sup>. «والدعوى معناها، الدعاء، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (الدعاء هو العبادة)<sup>(١٨٠)</sup>، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال الله ﷻ: ﴿ادْعُونِي أَعْتَبْ﴾ [الصف: ١٢٥]، أي: أتعبدون رباً سوى الله، ... والدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ<sup>(١٨١)</sup>.

### التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى صفة عظيمة من صفات الله تعالى لا تنبغي لأحد سواه، ولا يقدر عليها إلا من اتصف بجميع صفات الكمال، وكان عالماً بجميع الأحوال، فهو الذي سيقضي بين الخلائق يوم القيامة بالحق، وقد اتصف ﷻ بالحكمة والعدل، لذلك لن يكون في حكمه جور أو ظلم، فيعذب من شاء ممن أساء بعدله، ويجزي ويشب من شاء بعدله.

في مقابل ذلك يُبين الله تعالى عجز الآلهة التي يعبدها هؤلاء الكفار الجهلاء عن القضاء بشيء، ونفى القدرة بالقضاء عن الآلهة من باب التهكم والازدراء، لأن الجميع يعلم بعجز هذه الآلهة عن فعل أي شيء، قال أبو حيان: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا»: هذا قدح في أصنامهم وتهكم بهم، لأن ما لا يوصف بالقدرة، لا يقال فيه يقضي ولا يقضي<sup>(١٨٢)</sup>.

وقال البقاعي: «ولمّا كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر ولا تحتوي عليها كل شيء، أثبت الجار فقال: ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: سواه، ومن

(١٧٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥.

(١٨٠) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة ج ٥ ص ٢١١ ح ٢٩٦٩، والسنن الكبرى: للبيهقي، باب سورة غافر ج ٦ ص ٤٥٠ ح ١١٤٦٤. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١٨١) لسان العرب ج ٤ ص ٢٦٣.

(١٨٢) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٣٩.

المعلوم أنهم خَلَقَهُ فهم دون رتبته، لأنهم في قهره ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ أصلاً، فضلاً عن أن يقضوا بما يعارضه حكمه، فلا مانع له من القضاء بالحق<sup>(١٨٣)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَدْعُونَ﴾ بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنهم يعبدون من دون الله أصناماً لا تضر ولا تنفع عديمة القدرة، لا تستطيع أن تقضي بشيء.

وأما قراءة (تَدْعُونَ) بالتاء تفيد توجيه الخطاب للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد»<sup>(١٨٤)</sup>، قال مكي بن أبي طالب: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قرأ نافع وهشام بالتاء، على الخطاب للكفار، على معنى: قل لهم يا محمد الذين تدعون أيها المشركون من دونه، وقرأ الباقر بالياء، ردّوه على ما جرى من ذكر الكفار قبله<sup>(١٨٥)</sup>.

وقال ابن عاشور: «قرأ نافع وهشام عن ابن عمار (تَدْعُونَ) بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لقرع أسماع المشركين بذلك»<sup>(١٨٦)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين، يتبين: أَنَّ الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ أن يردّ على هؤلاء المشركين الذين يعبدون آلهة صماء لا تملك شيئاً ولا ترد قضاء ولا تستطيع أن تقضي بشيء، بأن الله وحده سوف يقضي بالحق بين العباد يوم القيامة، وفي الآية تحذير لهؤلاء الكفار من الاستمرار في غيهم

(١٨٣) نظم الدرر ج ٦ ص ٤٩٨.

(١٨٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٤ ص ٥٥٣، انظر البحر المحيط ج ٧ ص ٤٣٩.

(١٨٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٢.

(١٨٦) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ١١٨.



وإعراضهم عن عبادة الله تعالى، من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: (السميع) لمقالة الكفار (البصير) بأعمالهم.

قال أبو حيان: «تدعون بناء الخطاب، أي: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩)، وعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وتعريض بأصنامهم أنها لا تسمع ولا تبصر» (١٨٧) وفي ذلك زيادة توبيخ لهم.

٤ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٢١) [غافر: ٢١].

#### القراءات:

١ - قرأ ابن عامر (أشدُّ منكم) بالكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ بالهاء (١٨٨).

#### المعنى اللغوي للقراءات:

منكم: من: بالكسر حرف خافض، وهو لابتداء الغاية، وقد تكون للتبويض، وقد تكون للبيان والتفسير، وقد تدخل توكيداً، وقد تأتي للتحليل، وقد تكون للبدل، وقد تأتي للتمييز (١٨٩).

والكاف: ضمير يعود على المخاطب. والهاء: ضمير يعود على الغائبين.

(١٨٧) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٣٩.

(١٨٨) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥.

(١٨٩) انظر الصحاح ج ٦ ص ٢٢٠٨، المعجم الوسيط ص ٩٣٦، القاموس المحيط ص ١١١٢.

## التفسير:

الله ﷻ في هذه الآية يحيل كفار قريش على الاعتبار بغيرهم من الأقوام السابقة وما زالت آثارهم حاضرة أمام أعينهم فقد كان ممن سبقهم أشد قوة من هؤلاء الكفار الحاضرين (وَأَقْوَىٰ آثَارًا فِي الْأَرْضِ) أي: حصونهم وقصورهم وعساكرهم وعلى الرغم من ذلك أهلكهم الله تعالى بذنوبهم.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره، أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، يقول فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، كانوا هم أشد منهم قوة، يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم إذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا، وما كان لهم من الله من وافي أي: ما كان لهم من أحد يدفع عنهم عذاب الله أو يقيهم عذابه» (١٩٠).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى بعض العلماء أنَّ من قرأ (منهم) بضمير الغيبة، قرأها جرياً على ما سبق من الضمائر الغائبة في الإخبار عن كفار قريش، ليكون موافقاً لما قبله من ألفاظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيكون معنى أشد منهم، أي: أشد من قومك.

وأما من قرأ (منكم) بضمير الخطاب، فعلى سبيل الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب كقوله: ﴿إِنَّا كَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

[الفاتحة: ١]، وعلى هذا يكون الخطاب موجهاً لأهل مكة<sup>(١٩١)</sup>، على معنى أن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد منكم أيها الكفار الحاضرون: «وَحَسَنَ الخطاب هنا لأنه خطاب لأهل مكة، فحسنَ الخطاب بحضورهم، فجعل الخطاب على لفظ الحاضر المخاطب»<sup>(١٩٢)</sup>.

وأما أبو منصور الأزهري فقد اعتبر أن «من قرأ (منكم) فهو خطاب لهذه الأمة، ومن قرأ (منهم) فهو إخبار عنهم»<sup>(١٩٣)</sup>، وعلى هذا القول فإن الخطاب يتعدى أهل قريش ليكون موجهاً إلى جميع الأمة إلى يوم الدين لأخذ العبرة من ذلك.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الخطاب موجه لجميع الأمة من المؤمنين والكافرين، حاضرين وغائبين، على سبيل التقريع والاستنكار والتهديد لكفار قريش إن بقوا على كفرهم ولم يعتبروا، ولأخذ العبرة والعظة من قبل المؤمنين مما حدث مع الأمم السابقة من انتقام شديد، فأخذهم الله بما أجزموا واكتسبوا من الآثام وأباد جمعهم، وهم أشد قوة وبطشاً من غيرهم، فلم تنفعهم قوتهم، والله تعالى أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

### القراءات:

١ - قرأ الكوفيون ويعقوب (أو أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو مع إسكان الواو.

٢ - قرأ الباقون (وأن) بدون همزة قبل الألف وفتح الواو.

(١٩١) انظر حجة القراءات ص ٦٢٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٢.

(١٩٢) الحجة للقراء السبعة ص ٣٤٨.

(١٩٣) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٤٤.

٣ - قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص (يُظهر) بضم الياء وكسر الهاء، (الْفَسَادُ) بالنصب.

٤ - قرأ الباقون (يَظْهَرُ) بفتح الياء والهاء، (الْفَسَادُ) بالرفع<sup>(١٩٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

١ - الظهر والظاهر: خلاف البطن والباطن، والظهور: الظفر بالشيء والإطلاع عليه، يقال: ظهر فلان على فلان أي: قوي عليه، وفلان ظاهر على فلان، أي غالب عليه، وظهر الشيء بالفتح، ظهوراً: تبين، وأظهرت الشيء بيّنته<sup>(١٩٥)</sup>، وجاء في مفردات ألفاظ القرآن، ظهر الشيء أصله: أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْيَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] أي: كثر وشاع<sup>(١٩٦)</sup>.

٢ - الفساد: التلف والعطب، والاضطراب، وإلحاق الضرر، والمفسدة: ضد المصلحة<sup>(١٩٧)</sup>.

٣ - قال الأصفيهاني: «الفساد: خروج الشيء من الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح»<sup>(١٩٨)</sup>.

### التفسير:

في سياق الحديث عن الأمم السابقة وما حدث لهم من إنزال أشد العقوبات بهم بسبب ذنوبهم وكفرهم بأنبيائهم مع كونهم أشد قوة وآثاراً في الأرض، والطلب من كفار قريش أن يسيروا في الأرض ويقفوا على آثار تلك الأقوام السابقة لأخذ العبرة والعظة، تعرض الآيات قصة فرعون مع

(١٩٤) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥، وتحرير التيسير ص ١٥٩.

(١٩٥) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٥٢٠.

(١٩٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤١.

(١٩٧) انظر المعجم الوسيط ص ٧٢١.

(١٩٨) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٣٦.

موسى عليه السلام، وموقفه من دعوته وعزم فرعون عليه لعنة الله على قتل موسى عليه السلام غير آبه بغضب الله وعقابه خوفاً على مكانته ومملكه وسلطانه، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْقِي أَفْتُلُ مُوسَى﴾ قال ابن كثير: «وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه السلام، أي: قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أي: لا أبالي منه، وهذا في غاية الجحد والتجهرم<sup>(١٩٩)</sup> والعناد<sup>(٢٠٠)</sup>».

وقال الشوكاني: «إنما قال هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى، مخافة أن ينزل العذاب، والمعنى: اتركوني أقتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك»<sup>(٢٠١)</sup>. ثم رجع إلى قومه يريهم النصيحة، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾، والدين: السلطان،... وتبديل دينهم هو تغييره، وكانوا يعبدونه، ويعبدون الأصنام، كما قال: (ويذكرك وألهتك)، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وذلك بالتهارج<sup>(٢٠٢)</sup> الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المزارع والمكاسب، ويهلك الناس، قتلاً وضياًعاً، فأخاف فساد دينكم ودنياكم معاً»<sup>(٢٠٣)</sup>.

قال الشوكاني: «جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض، واهتداء الناس به فساداً، وليس الفساد إلا من هو عليه ومن تابعه»<sup>(٢٠٤)</sup>.

(١٩٩) الجهرية: ثياب منسوبة من نحو البسط وما يشبهها، يقال: من كئان، (انظر لسان العرب ج ١٢ ص ١١١). ويحتمل التجهرم في الحديث: الفظاظة والشدة والكبرياء في القول.

(٢٠٠) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٧٨.

(٢٠١) فتح القدير ج ٤ ص ٦٨٥.

(٢٠٢) أصل الهرج: الكثرة في الشيء والانتساع، والفتنة في آخر الزمان، وشدة القتل وكثرته، (انظر تاج العروس ج ٦ ص ٢٧٥).

(٢٠٣) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٤١، بتصرف يسير.

(٢٠٤) فتح القدير ج ٤ ص ٦٨٥.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أو أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو: خوف فرعون من وقوع أحد الاحتمالين: تبديل الدين أو وقوع الفساد، فيكون المعنى: إني أخاف عليكم أن يبدل دينكم، أي: يغير ما أنتم عليه وهو عبادته وعبادة الأصنام، أو يقع الفساد بينكم، وقد جعل فرعون طاعة الله هي الفساد.

وأما قراءة (وأن) بدون همزة قبل الواو، أفادت خوف فرعون من وقوع الأمرين معاً (تبديل الدين، ووقوع الفساد) في آن واحد، فيكون المعنى: أخاف عليكم إبطال دينكم والفساد معه<sup>(٢٠٥)</sup>، «يعني: أنه جمع بين تبديل الدين وإظهار الفساد»<sup>(٢٠٦)</sup>، «وقد وقعا فبدل الله دينهم بالإيمان وأفسد ملك فرعون»<sup>(٢٠٧)</sup>.

وأما قراءة (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء فقد أفادت إسناد فعل الإظهار إلى موسى ﷺ، أي: «يظهر موسى في الأرض الفساد، وحجتهم أنه أشبه بما قبله، لأنَّ قبله (يُبَدِّل)»<sup>(٢٠٨)</sup>، وأما القراءة الثانية (يَظْهَرُ) بفتح الياء والهاء، فأنها تفيد إضافة الفعل إلى الفساد فيكون الفساد مرفوعاً على الفاعلية فيكون له المعنى: أنه إذا وقع التبديل في الدين ظهر الفساد في الأرض بسببه.

قال الرازي: «أما وجه القراءة الأولى فهو أسند الفعل إلى موسى في قوله (يُبَدِّل) فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد، وأما وجه القراءة الثانية فهو أنه إذا بُدِّلَ الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل»<sup>(٢٠٩)</sup>.

(٢٠٥) انظر حجة القراءات ص ٦٣٠.

(٢٠٦) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ٥٦.

(٢٠٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢٠٨) حجة القراءات ص ٦٣٠.

(٢٠٩) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ٥٦.

وقال ابن عاشور: «يُظهر بفتح الياء ويرفع (الفسادُ) على معنى: أن الفساد يظهر بسبب ظهور أتباع موسى، أو بأن يجترئ غيره على مثل دعواه بأن تزول حُرمة الدولة لأن شأن أهل الخوف عن عمل أن ينقلب جبنهم شجاعة إذا رأوا نجاح من اجترأ على العمل الذي يريدون مثله»<sup>(٢١٠)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات فإنه يحمل المعنى الثاني على المعنى الأول بحيث يصبح المعنى: إنَّ خوف فرعون واقع في جميع الأحوال بحيث إنه إذا وقع تبديل الدين عند القوم، فقد فرعون هيئته وعبوديتهم له، وترتب على ذلك ظهور الفساد، وفقد ملكه وسلطانه وأفسدت عليه الدنيا وهذا الذي يسميه فرعون الفساد بزعمه.

قال البقاعي: «وينصب الفساد أي: بفساد المعاش فإنه إذا غلب علينا قوي على من سوانا، فسفك الدماء وسبي الذرية، وانتهب الأموال، ففسدت الدنيا مع فساد الدين، فسَمَّى اللعين الصلاخ لمخالفته لطريقته الفاسدة فساداً كما هو شأن كل مفسدٍ مع المصلحين»<sup>(٢١١)</sup>.

وإذا لم يقع التبديل عاجلاً فإنه يحصل به الضعف الذي يؤدي في النهاية إلى إفساد معاش الظالمين وزعزعة ملكهم وسلطانهم.

٦ - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

### القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو وابن ذكوان (على كُلِّ قَلْبٍ) بتنوين قلبٍ بالكسر.

(٢١٠) التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ١٢٦.

(٢١١) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٠٦.

٢ - قرأ الباقون ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ﴾ قلب بالكسر دون تنوين (٢١٢).

### المعنى اللغوي للقراءات:

القلب: الفؤاد، وقد يعبر به عن القلب، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل (٢١٣). وقال الأصفهانى: قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقه، وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة قلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك (٢١٤).

### التفسير:

في هذه الآيات يبين الله تعالى موقفه وموقف المؤمنين من أولئك المجادلين المخاصمين الذين يكثرون الجدل في آيات الله تعالى إبطالاً لها ودفعاً للحق بالباطل بغير حجة أو دليل، فيمقتهم الله تعالى، ويبغضهم المؤمنون، وكما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين كذلك يختم الله تعالى بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان ومتجبر على العباد.

قال ابن كثير: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى، فإن الله ﷻ يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] أي: والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً، ولهذا قال تبارك

(٢١٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٤، النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢١٣) الصحاح ج ١ ص ٢٠٥.

(٢١٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٨١.



وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾، أي: على اتباع الحق<sup>(٢١٥)</sup>، وقال الشوكاني: «أي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع: أي: يختم على كل قلب متكبر جبار»<sup>(٢١٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بتنوين الباء مع الكسر، أن التكبر وصف للقلب، لأنه هو مركزها ومنبعها، فيكون القلب مراداً به الجملة لأن القلب هو محل التكبر، فيكون القلب هو المتكبر وإذا تكبر القلب كان صاحبه متكبراً، فيكون المعنى أن صاحبه متكبر<sup>(٢١٧)</sup>.

وأما قراءة ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ بدون تنوين الباء، بإضافة (قلب) إلى (متكبر) فإن التكبر يقع على محذوف تقديره، كل، أو رجل، والمعنى يكون: على كل قلب رجل متكبر، فالطبع يقع على قلوب جميع المتكبرين<sup>(٢١٨)</sup>.

قال الطبرسي: «مَنْ نَوَّنَ فَإِنَّهُ جَعَلَ الْمُتَكَبِّرَ صِفَةً لِقَلْبٍ، فَإِذَا وَصَفَ الْقَلْبَ بِالتَّكْبَرِ كَانَ صَاحِبُهُ فِي الْمَعْنَى مُتَكَبِّراً، فَكَأَنَّهُ أَضَافَ التَّكْبَرَ إِلَى الْقَلْبِ كَمَا أَضَافَ الصَّعْرَ<sup>(٢١٩)</sup> إِلَى الْخَذِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَذَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] فكما يكون بتصغير الخد متكبراً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبراً بجملة، وأما مَنْ أَضَافَهُ فَقَالَ: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ فَلَا يَخْلُو مَنْ أَنْ يُقَدَّرَ الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْ يُقَدَّرَ فِيهِ حَذْفٌ فَإِنْ تَرَكَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَانَ الْمَعْنَى: يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ أَيِ يَطْبَعُ عَلَى جَمْلَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْمُتَكَبِّرِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَطْبَعُ عَلَى كُلِّ قَلْبِهِ فَيَعْمُ الْجَمِيعُ بِالطَّبْعِ، إِنَّمَا

(٢١٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٨١.

(٢١٦) فتح القدير ج ٤ ص ٦٩٠.

(٢١٧) انظر حجة القراءات ص ٦٣٠، والحجة في القراءات السبع ص ٣١٤.

(٢١٨) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٦٩٠.

(٢١٩) التَّصَغِيرُ: مِيلٌ فِي الْوَجْهِ، أَوْ فِي أَحَدِ الشَّقَيْنِ، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ص ٣٨٢.

المعنى: أنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وإنه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا أظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر ويختم عليه» (٢٢٠).

### الجمع بين القراءات:

لا يوجد فرق جوهري في المعنى ولا يوجد تغاير بينهما، فالمعاني في القراءتين متداخلة وتعطي معنى واحداً، وإذا نظرنا إلى معنيي القراءتين وجدنا أن الطبع يقع على قلب صاحب التكبر سواء كان التكبر مضافاً إلى القلب أو إلى صاحب القلب، فالمعنى واحد.

قال مكي بن أبي طالب: «قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلب) جعلاً (متكبراً) من صفة القلب، وإذا تكبر القلب تكبر صاحب القلب، وإذا تكبر صاحب القلب، تكبر القلب فالمعاني متداخلة غير متغايرة، وقرأ الباقون، بإضافة القلب إلى متكبر، والمعنى على ما تقدم، غير أنه أضاف التكبر إلى صاحب القلب، وفي القراءة الأولى أضاف التكبر إلى القلب، وإذا كان في القلب كبر، ففي صاحبه كبر، وإذا كان في صاحب القلب كبر ففي القلب كبر، فالقراءتان بمعنى واحد» (٢٢١).

٧ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ ابْنِي لِى صَرَحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأَكْظُمُهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

(٢٢٠) مجمع البيان ٥ ج ٢٤ ص ١٩٦.

(٢٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٤.

## القراءات:

- ١ - قرأ حفص ﴿فَاطْلَع﴾ بنصب العين.
- ٢ - قرأ الباقون (فَاطْلَعُ) برفع العين (٢٢٢).
- ٣ - قرأ الكوفيون ﴿وَصَدَّ﴾ بضم الصاد.
- ٤ - قرأ الباقون (صَدَّ) بفتح الصاد (٢٢٣).

## المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - فَاطْلَعُ: طالع الشيء مطالعةً، وطلاعاً: اطلع عليه بإدامة النظر فيه، والَطَّلَعُ: المكان المشرف الذي يُطْلَعُ منه، ويقال: استطلع الشيء، طلب طلوعه ومعرفته (٢٢٤)، وأطلعه على الأمر: أعلمه به (٢٢٥).
- ٢ - صَدَّ: «الصدود والصدُّ قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]» (٢٢٦).
- وقال الجوهري: «صَدَّ عنه يَصِدُّ صُدُوداً: أَعْرَضَ: وَصَدَّ عن الأمر صَدّاً، منعه وصرفه عنه» (٢٢٧).

## التفسير:

في سياق الحديث عن قصة فرعون مع موسى ﷺ وموقفه من دعوته وصدّه الناس عن السبيل وجداله الحجج بالباطل ليدحض به الحق،

(٢٢٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥، وتحرير التيسير ص ١٩٩.

(٢٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢٢٤) انظر المعجم الوسيط ص ٥٨٩.

(٢٢٥) انظر لسان العرب ج ٨ ص ٢٣٦.

(٢٢٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٧.

(٢٢٧) الصحاح ج ٢ ص ٤٩٥.

يعرض المولى ﷺ موقفاً آخر لفرعون مليئاً بالسخرية والاستهزاء والتكذيب بموسى عليه السلام يدل على مدى كفره وتمردّه وعُتُوّه، فيطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً، والصرح: هو القصر العظيم الضخم العالي، نحو السماء لعله حسب زعمه أن يبلغ الأسباب أي: الطرق الموصلة إلى السماء، فينظر إلى إله موسى، قالها فرعون عليه لعنة الله سخرية واستهزاء بموسى عليه السلام وإنكاراً وتكذيباً له ولَمَّا جاء به ليدلّل بحجته الباطلة استحالة أن يحصل ذلك، واستحالة أن يكون الله تعالى قد أرسل موسى عليه السلام.

قال ابن كثير: «يقول تعالى: مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده وافتراءه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً، وهو القصر العالي المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ ولهذا قال إبراهيم النخعي<sup>(٢٢٨)</sup>: كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه في قبورهم، رواه ابن أبي حاتم، وقوله: ﴿لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْبَبَ﴾<sup>(٢٢٩)</sup> استَبَّ السَّمَوَاتِ إلخ، قال سعيد بن جبير وأبو صالح<sup>(٢٢٩)</sup> أبواب السموات، وقيل: طرق السموات، ﴿فَأُطْلِعَ إِلَى إلهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا﴾ وهذا من كفره وتمرده، أنه كَذَّبَ موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله ﷻ أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال تعالى:

(٢٢٨) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأئمة المشاهير والأعلام، تابعي، رأى عائشة رضي الله عنها، وعاصر عدداً من الصحابة ولكنه لم يرو عنهم، توفي سنة ٩٥هـ وله ٤٩ سنة، (انظر سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٠، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥).

(٢٢٩) هو: ذكوان بن عبدالله، وكنيته: أبو صالح السَّمان ويقال له أبو صالح الزيات لأنه كان يجلب السمن والزيت من المدينة إلى الكوفة، مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية، كان من كبار العلماء بالمدينة، ولد في خلافة عمر، توفي سنة ١٠١هـ، (انظر سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٦، مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٧٥).

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني: إلا في خسار<sup>(٢٣٠)</sup>، وقال الطبرسي: ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ﴾ أي: قبيح عمله وإنما زين له ذلك أصحابه وجلساؤه وزين له الشيطان كما قال: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(٢٣١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فأطلع) بالرفع العطف على أبلغ التي قبلها في الآية التي سبقتها فهو في هذا داخل في حيز الترجي<sup>(٢٣٢)</sup>، «والتقدير: لعلي أبلغ ولعلي أطلع، كأنه توقع أمرين على ظنه»<sup>(٢٣٣)</sup>، وقال الرازي: «من رفع فقد عطفه على قوله (أبلغ) والتقدير لعلي أبلغ الأسباب ثم أطلع إلا أن حرف ثم أشد تراخياً من الفاء»<sup>(٢٣٤)</sup>.

وأما قراءة (فأطلع) بالنصب أفادت أنها جواب لعل، قال الرازي: «ومن نصب جعله جواباً والمعنى: لعلي أبلغ الأسباب فمتى بلغت أطلع والمعنى مختلف، لأن الأول: - بالرفع - لعلي أطلع، والثاني: - بالنصب - لعلي أبلغ وأنا ضامر أي متى بلغت فلا بد وأن أطلع»<sup>(٢٣٥)</sup>. وجاء في فتح القدير: «قال النحاس: ومعنى النصب خلاف معنى الرفع، لأن معنى النصب: متى بلغت الأسباب اطلعت، ومعنى الرفع: لعلي أبلغ الأسباب أطلع بعد ذلك»<sup>(٢٣٦)</sup>.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: لعلي أبلغ ولعلي أطلع فإذا بلغت اطلعت، وهو الجمع بين الترجي وجواب الترجي، وفي ذلك إحياء

(٢٣٠) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٨١.

(٢٣١) مجمع البيان ٥م ج ٢٤ ص ٢٠٠.

(٢٣٢) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٦٩١.

(٢٣٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢٣٤) التفسير الكبير ١٤م ج ٢٧ ص ٦٨.

(٢٣٥) المصدر السابق ج ٢٧ ص ٦٨.

(٢٣٦) فتح القدير ج ٤ ص ٦٩١.

من فرعون باستحالة بلوغ الأسباب مما يترتب عليه استحالة الاطلاع لذلك قال بعدها ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَافِرًا﴾ أي: إني لأظن موسى كاذباً في قوله: إنَّ له إلهاً غيري أرسله إلينا.

أفادت قراءة ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ بضم الصاد على المبني للمجهول ولم يسم فاعله هنا، فالمعنى: أن غير فرعون صدَّه عن سبيل الله تعالى، وحجة من قرأ بالضم أنَّ ما قبله مبني للمفعول، فجعل ما عُطِفَ عليه مثله، والذي قبله ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾<sup>(٢٣٧)</sup>، وأما الفاعل: الذي صدَّ فرعون عن سبيل الله، ففيه رأيان للعلماء:

الرأي الأول: أنَّ الصَّاد عن السبيل هو الشيطان، قال السمرقندي: «فمن قرأ: بالضم فمعناه: إنَّ فرعون صُرِفَ عن طريق الهدى يعني: إنَّ الشيطان زَيْنَ له سوء عمله، وصرفه عن طريق الهدى»<sup>(٢٣٨)</sup>، وقال أبو علي الهنداوي: «والصَّاد له هم طغاة أصحابه والشيطان كما بُيِّنَ ذلك في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]»<sup>(٢٣٩)</sup>.

الرأي الثاني: أنَّ الصَّاد عن السبيل والذي يقوم مقام الفاعل هو الله تعالى، قال ابن زنجلة: ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، بضم الصاد على ما لم يسم فاعله، وجعلوا الفعل لله: إنَّ الله صدَّه عن السبيل كما قال: ﴿وَطُيَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٨٧] أي طبع الله عليها، وحجتهم: أنَّ الكلام أتى عقيب الخبر من الله<sup>(٢٤٠)</sup>.

وقال البغوي: ﴿وَصَدَّ﴾ بضم الصاد نسقاً على قوله: (زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ) قال ابن عباس: صدَّه الله عن سبيل الهدى<sup>(٢٤١)</sup> وبمثله قال أبو

(٢٣٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٥٢، والحجة في القراءات السبع ص ٣١٥.

(٢٣٨) بحر العلوم ج ٣ ص ١٦٨.

(٢٣٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٥٢.

(٢٤٠) حجة القراءات ص ٦٣٢.

(٢٤١) معالم التنزيل ج ٤ ص ٨٦.

وأما قراءة (وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بفتح الصاد فإنها أفادت أن الفاعل في الصَّدَّ هو فرعون فيكون المعنى: إن فرعون صَدَّ الناس ومنعهم عن سبيل الله تعالى.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر من المعنى: أن الشيطان وأصحاب فرعون قد زينوا لفرعون سوء عمله، فصدوه عن سبيل الهدى وطريق الرشاد، مما زادوه غيًّا وكفرًا وعنادًا، فأعرض فرعون عن السبيل، ومن ثم منع قومه، وصدّهم عن اتباع السبيل، ويجوز أن يكون المعنى: أن الشيطان زين له سوء عمله فزاد في كفره وغيّه، ومنع الناس من اتباع سبيل الرشاد وبسبب ذلك طبع الله على قلبه ومنعه من اتباع سبيل الرشاد والله تعالى أعلم.

٨ - قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزِزْهُ إِلَّا وِشْلُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

### القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب (يَدْخُلُونَ) بضم الياء، وفتح الخاء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء، وضم الخاء (٢٤٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

الدخول: «نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في المكان، والزمان،

(٢٤٢) انظر تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٨.

(٢٤٣) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٥٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٠.

والأعمال، يقال: دخل مكان كذا» (٢٤٤).

«والمُدْخَل، بالفتح: الدُّخُول وموضع الدُّخُول أيضاً، دَخَلَتْ مَدْخَلًا حسناً ودَخَلَتْ مَدْخَلَ صَدِيقٍ، والمُدْخَل: بضم الميم: الإدخال والمفعول من أدخله، وتقول أدخلته مُدْخَلَ صَدِيقٍ» (٢٤٥).

### التفسير:

تعرض هذه الآية جانباً من فضل الله تعالى وسعة رحمته بعباده، وتبعث الأمل والرجاء في نفوس من عصاه في الدنيا من المسلمين، بأنه ﷺ يُقَدِّرُ ضَعْفَهُمْ، فضاعف لهم الحسنات وجعلها كفارةً للسيئات، ولم يُجْزِهِمْ بالسيئة إلا مثلها، كما وتبشّر المؤمنين الصالحين من عباد الله تعالى بالجنة يدخلونها ويرزقون فيها بغير حدٍّ ولا تقدير.

قال سيد قطب رحمه الله: «فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات، رحمةً من الله بعباده، وتقديراً لضعفهم، وللجوازب، والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة، فضاعف لهم الحسنات، وجعلها كفارةً للسيئات، فإذا هم وصلوا الجنة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حساب» (٢٤٦).

قال السعدي: «أي: يعطون أجرهم بلا حدٍّ ولا عدٍّ، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم» (٢٤٧).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء أنهم هم الذين يدخلون، فأضيف الفعل إلى الداخلين فكانوا هم الداخلين بأمر الله تعالى، على أن أعمالهم

(٢٤٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠٩.

(٢٤٥) لسان العرب ج ١١ ص ٢٤١.

(٢٤٦) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٠٨٣.

(٢٤٧) تفسير السعدي ص ٦٨١.



الصالحة أهلته لدخول الجنة، قال ابن زنجلة: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بفتح الياء، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] وقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٦] فكان أمر الله إياهم أن يدخلوها دليلاً على ما أسند الفعل إليهم» (٢٤٨).

وأما قراءة (يَدْخُلُونَ) بضم الياء، على المبني للمجهول فقد أفادت دخولهم الجنة بفعل غيرهم أي: أن غيرهم يدخلهم الجنة، قال مكي بن أبي طالب: (يَدْخُلُونَ) «أضافوا الفعل إلى غيرهم، لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله جلّ ذكره إياها» (٢٤٩)، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، كما إنها تفيد أن الأعمال ليست هي التي تدخلهم الجنة، إنما هي سبب لنيل رحمة الله ورضوانه، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ قال: «سَدُّوا وقاربوا، وأبشروا، فإنه لن يُدْخَلَ الجنة أحداً عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومُهُ وإن قَلَّ» (٢٥٠). وربما أفادت قراءة المبني للمجهول السهولة واليسر في دخولهم الجنة بعد أمر الله تعالى لهم بذلك، لأن المبني للمجهول في اللغة يدل على التسهيل والتيسير في وقوع الحدث، كما يدل على مزيد عناية بهم وتكريم لهم.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين متداخلتان، فأعمالهم كانت سبباً في دخولهم الجنة، وأما الدخول نفسه وما فيه من النعيم الكثير فهو محض فضل من الله تعالى، فالقراءتان جمعتان بين المعنيين، يقول مكي بن

(٢٤٨) حجة القراءات ص ٦٣٣.

(٢٤٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٩٧.

(٢٥٠) صحيح مسلم: كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ج ٤ ص ٢١٧١ ح ٢٨١٨.

أبي طالب: «القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مُدخلون»<sup>(٢٥١)</sup>. وإذا دخلوا وجدوا من السهولة والتيسير ما يدل على عناية الله بهم وتكريم الله لهم بما يفوق أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٩ - قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب ﴿أَدْخِلُوا﴾ بقطع الألف وكسر الخاء.
- ٢ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر (ادخلوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء<sup>(٢٥٢)</sup>.

### التفسير:

يخبر المولى ﷺ في هذه الآية عن مصير قوم فرعون وما حلّ بهم من سوء العذاب، من غرق في الدنيا ومن حرق في الآخرة، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: النَّارُ يُحْرَقُونَ بها صباحاً ومساءً، قال المفسرون: المراد بالنَّار في هذه الآية القبر وعذابهم في القبور بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مبيناً عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله، النَّار يعرضون عليها، أنهم لما هلكوا وغرَّقههم الله جعلت أرواحهم في أجواف طيرٍ سودٍ، فهي تُعرضُ على النَّارِ كلَّ يومٍ مرتين غُدُوًّا وعَشِيًّا إلى أن

(٢٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٩٨.

(٢٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥، والمبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٠.

تقوم الساعة»<sup>(٢٥٣)</sup>، وجاء في حديث الرسول ﷺ الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرضَ عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»<sup>(٢٥٤)</sup>، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم»<sup>(٢٥٥)</sup>، وعنه أيضاً: «إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها»<sup>(٢٥٦)</sup>»<sup>(٢٥٧)</sup>، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، أي: يوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم التي هي أشد من عذاب الدنيا، قال الطبرسي: «وهذا أمرٌ لآل فرعون بالدخول أو أمرٌ للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب، وهو عذاب جهنم»<sup>(٢٥٨)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَدْخِلُوا﴾ بقطع الألف وكسر الخاء: أَنَّ الأمر هنا موجهٌ إلى الملائكة الذين هم خزنة النار أن يُدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب، «لأنَّ الدخول ليس هو ما يشاءونه، ويفتعلونه من ذات أنفسهم، بل الزبانية يدخلونهم بعسف، وعنفٍ، وضربٍ، وسحبٍ»<sup>(٢٥٩)</sup>.

(٢٥٣) جامع البيان م ١١ ج ٢٤ ص ٤٦.

(٢٥٤) البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت، يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ج ١ ص ٤٦٤ ح ١٣١٣.

(٢٥٥) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٧٠، وابن كثيرٍ بمعناه ج ٤ ص ٨٢، ولم أجده في كتب الحديث.

(٢٥٦) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٥٤، وابن حجر في فتح الباري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ج ٣ ص ٢٣٣، قال ابن حجر فيه ليث ضعيف.

(٢٥٧) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٨٤.

(٢٥٨) مجمع البيان م ٥ ج ٢٤ ص ٢٠٣.

(٢٥٩) إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٢٧٢.

وأما قراءة (ادخلوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء فعلى أن الأمر هنا موجه إلى آل فرعون، وتكون (آل فرعون) منصوبة على النداء، بمعنى: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب. قال صاحب زاد المسير: «قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو، وأبو بكر وأبان عن عاصم: (الساعة ادخلوا) بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف، وقرأ الباقيون: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألف»<sup>(٢٦٠)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى أن هناك أمراً للملائكة بإدخال هؤلاء الكفار نار جهنم، كما أن هناك أمراً آخر لآل فرعون بدخول النار انصياعاً لأمر الملائكة، فإذا أدخلوا دخلوا، وفيها شدة تعنيف وترهيب لهم وزيادة عزم على تعذيبهم.

١٠ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥٢].

### القراءات:

١ - قرأ نافع والكوفيون ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ بالياء على التذكير.

٢ - قرأ الباقيون (يَوْمَ لَا تَنْفَعُ) بالتاء على التأنيث<sup>(٢٦١)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«النفع ضد الضر، يقال: نفعت بكذا فانتفع به، والاسم المنفعة»<sup>(٢٦٢)</sup>. وقال الأصفهاني: «النفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما

(٢٦٠) زاد المسير ص ١٢٤٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٧١.

(٢٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٥، وتحجير التيسير ص ١٩٩.

(٢٦٢) الصحاح ج ٣ ص ١٢١٧.

يتوصل به إلى الخير، فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: ٣] (٢٦٣).

### التفسير:

تبين هذه الآية أنَّ الكفار لن ينفعهم معذرة ولا توبة يوم القيامة ولهم اللعنة بالطرد من رحمة الله تعالى، ودوام العذاب في أسوأ مكان وهي النار.

يقول الطبرسي: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ»، أي: إن اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وإن تابوا لم تنفعهم التوبة، وإنما نفى تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا، لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي ألجئ إليه ﴿وَلَهُمْ أَلَلْعَنَةُ﴾، أي: البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، جهنم نعوذ بالله منها (٢٦٤).

وقال ابن جرير: «يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]» (٢٦٥).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئ ﴿يَنْفَعُ﴾ بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل ﴿مَعَذَرُهُمْ﴾ مؤنث غير حقيقي، قال ابن خالويه: «يقرأ بالتاء دلالة على تأنيث المعذرة، وبالياء للحائل بين الفعل والاسم، أو لأن تأنيث الاسم ليس بحقيقي» (٢٦٦).

وتعليقاً على معنى القراءتين قال ابن جرير: «والصواب من القول في

(٢٦٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨١٩.

(٢٦٤) مجمع البيان ٥ ج ٢٤ ص ٢٠٦.

(٢٦٥) جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٤٩.

(٢٦٦) الحجة في القراءات ص ٣١٧.

ذلك أنهما قراءتان معروفتان، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب» (٢٦٧).

ويرى الباحث أنه لا بد من تسليط الضوء على دلالة كل قراءة في سياق الآية وأثرها على المعنى، فالقاعدة اللغوية تجيز استخدام تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقي، ولكن لا بد من البحث عن حكمة استعمال التذكير في قراءة، والتأنيث في قراءة أخرى، فكل قراءة لها دلالتها على المعنى.

في قراءة (تَنْفَعُهُمْ) بقاء التأنيث كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على المعذرة نفسها، بحيث لن تنفع المعذرة لأنها لم تقع، فتفيد نفي المعذرة ومن ثم المنفعة، على معنى: لا تقع المعذرة من الظالمين فتنتفعهم.

وأما في قراءة (يَنْفَعُهُمْ) بالتذكير كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على الظالمين، بحيث لا يقبل من الظالمين اعتذار فينتفعهم، فتفيد وقوع المعذرة من الظالمين وإن كانت قليلة، ولكن لا تنفعهم معذرتهم بسبب ظلمهم، ولأن المعذرة تكون باطلة، ولا يجدون دفاعاً عن أنفسهم إلا بها، وقال الألوسي: «(لا) قيل: تحتل أن تكون لنفي النفع فقط على معنى: أنهم يعتذرون ولا ينفعهم معذرتهم لبطلانها، وتحتل أن تكون لنفي النفع والمعذرة، على معنى: لا تقع معذرة لتتفع» (٢٦٨).

وقال الزمخشري: «يحتل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع، لأنها باطلة، وأنهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]» (٢٦٩).

وقال الجرجاني في حاشية الكشف تعقيباً على قول الزمخشري:

(٢٦٧) جامع البيان م ١١ ج ٢٤ ص ٤٩.

(٢٦٨) روح المعاني ج ٢٤ ص ٧٧.

(٢٦٩) الكشف ج ٣ ص ٤٣٢.

«قلت: هما الاحتمالان في قوله تعالى: - (ولا شفيح يطاع) - ولكن بين الموضوعين فرقاً يصير أحدهما معه عكس الآخر، وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد أنهم لا معذرة لهم البتة، يكون قد نفى صفة المعذرة، وهي المنفعة التي لها تراد المعذرة قطعاً لرجائهم كي لا يعتذروا البتة، كأنه قيل: إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له، وفي الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتا لنفي الصفة»<sup>(٢٧٠)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين من المعنى: نفي النفع مطلقاً للظالمين معذرتهم سواء اعتذروا أو لم يعتذروا، وإن وقعت المعذرة فهي باطلة.

١١ - قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [٥٨] ﴿غافر: ٥٨﴾.

### القراءات:

١ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء.

٢ - قرأ الباقون (قليلًا ما يتذكرون) بالياء<sup>(٢٧١)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الذكر: «تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره»<sup>(٢٧٢)</sup>، وقال ابن منظور: «الذكر: الحفظ للشيء تذكره»<sup>(٢٧٣)</sup>.

(٢٧٠) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٣٢.

(٢٧١) المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٠.

(٢٧٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٢٨.

(٢٧٣) لسان العرب ج ٤ ص ٣٠٨.

## التفسير:

يخبر المولى ﷺ في هذه الآية أنه لا يمكن الجمع والمساواة بين النقيضين في حال، فكما أنه لا يستوي الأعمى الذي فقد حاسة البصر، والبصير الذي أنعم عليه الله بهذه الحاسة، فكذلك لا يمكن أن يستوي المؤمنون الأبرار، والكفرة الفُجَّار، قال ابن جرير الطبري: «وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه، فيتدبرها، ويعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء ويؤمن به ويصدق، والبصير الذي يرى بعينه ما شَخَّصَ لهما ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء، يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، يقول جل ثناؤه، ولا يستوي أيضاً كذلك المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم، ولا المسيء وهو الكافر به العاصي له المخالف أمره، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول جل ثناؤه قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعضون» (٢٧٤).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يتذكرون) بباء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنهم قليلاً ما يتذكرون، أي: يَقلُّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه ممَّا دعوا إليه<sup>(٢٧٥)</sup>، وهذه هي حالهم مقابل حال المؤمنين الذين يبصرون حجج الله فيتفكرونها ويتعضون بها.

وأما قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بقاء الخطاب فتفيد توجيه الخطاب إلى الكفار بأمر من الله لنبهه محمد ﷺ، على معنى: قل لهم يا محمد إنكم أيها الكفار قليلاً ما تتذكرون، كما أن قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بقاء الخطاب على الالتفات من

(٢٧٤) جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٥١.

(٢٧٥) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٥٣، مفاتيح الأغاني ص ٣٦٠.



الغيبة إلى الخطاب فيها مزيد توبيخ وتقريع لكفار قريش، قال النيسابوري: «﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾» فيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أنَّ هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معانداً، مقصراً»<sup>(٢٧٦)</sup>، وقال الألوسي: «إِنَّ التَّاءَ لِلتَّغْلِيْبِ أَوْ الِاتِّفَاتِ أَوْ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَخَاطَبَةِ أَي: بِتَقْدِيرِ قُلْ قَبْلَهُ، وَآثَرِ الْعَلَامَةِ الطَّبِيبِي، الِاتِّفَاتِ لِأَنَّ الْعَدُولَ مِنَ الْغِيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ فِي مَقَامِ التَّوْبِيْخِ يَدُلُّ عَلَى الْعَنْفِ الشَّدِيدِ وَالْإِنْكَارِ الْبَلِيْغِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِخُلُقِ السَّمَوَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ مَعَ الْمَجَادِلِينَ، وَتَعَقُّبُهُ صَاحِبُ الْكُشْفِ بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ مَا ذَكَرَ نَكْتَةً لِلتَّغْلِيْبِ، فَيَكُونُ أَوَّلَى لِفَائِدَةِ التَّعْمِيمِ أَيْضاً فَلْيَفْهَمِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ التَّغْلِيْبَ جَاءَ عَلَى احْتِمَالِ كَوْنِ الضَّمِيرِ لِلنَّاسِ، وَاحْتِمَالِ كَوْنِهِ لِلْكَفَّارِ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَوْ الْكَفَّارِ مَخَاطَبٌ هُنَا، وَالتَّقْلِيلُ أَيْضاً يَصَحُّ إِجْرَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَذَكَّرُ وَيَهْتَدِي»<sup>(٢٧٧)</sup>.

ومن العلماء من اعتبر أن التاء أعم<sup>(٢٧٨)</sup>، قال ابن زنجلة: «والتاء أعم لأنها تجمع الصنفين أي أنتم وهم»<sup>(٢٧٩)</sup>.

وأما ابن عاشور فقال: «والخطاب للذين لا يجادلون في آيات الله، وكون الخطاب لجميع الأمة من مؤمنين ومشركين وأن التذكر القليل هو تذكر المؤمنين فهو قليل بالنسبة لعدم تذكر المشركين بعيداً عن سياق الرد ولا يلاقي الالتفات»<sup>(٢٨٠)</sup>، ولكن الظاهر من سياق الآية أن المخاطب هم المجادلون من كفار قريش لأنها جاءت في سياق المفارقة بينهم وبين المؤمنين الذي يتعظون ويعتبرون بآيات الله تعالى، وقال الألوسي: «وقال الجلي: الضمير إذا كان للناس فالتقليل على معناه الحقيقي، والمستثنى هم المؤمنون، وإذا كان للكفار فهو بمعنى النفي، ثم الظاهر أن المخاطب من

(٢٧٦) تفسير النيسابوري ج ٤ ص ٢٩٢٧.

(٢٧٧) روح المعاني ج ٢٤ ص ٨٠.

(٢٧٨) انظر الكشف ج ٣ ص ٤٣٢.

(٢٧٩) حجة القراءات ص ٦٣٤.

(٢٨٠) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ١٧٦.

خاطبه ﷺ من قريش» (٢٨١).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر: أنَّ الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ أن يخاطب هؤلاء المجادلين في آيات الله من الكفار، على وجه التوبيخ والتفريع والإنكار الشديد عليهم، وأن يقول لهم إنهم لا يعتبرون ولا يتعظون من هذه الأمثال التي يضربها الله سبحانه للناس، إلا قليلاً أو لا يتعظون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه.

١٢ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو بكر، ورويس (سَيَدْخُلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء (٢٨٢).

### التفسير:

في هذه الآية الكريمة، يدعو المولى ﷺ عباده إلى التوجه إليه بالدعاء والإخلاص له في العبادة، فيستجيب الله لهم، ويحذر المتكبرين عن عبادته، ويتوعدهم بنار جهنم يدخلونها أذلاء صاغرين.

قال ابن كثير: «هذا من فضله تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحب عباده إليه من سألته فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله،

(٢٨١) روح المعاني ج ٢٤ ص ٨٠.

(٢٨٢) انظر تحبير التيسير ص ١٩٩، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٣.

وليس أحد كذلك غيرك يا رب رواه ابن أبي حاتم، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يسأل يغضب<sup>(٢٨٣)</sup>.

وقال قتادة: قال كعب الأحبار أُعْطِيَتْ هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبياً قال له أنت شاهد على أمتك، وجعلكم شهداء على الناس، وكان يقال له: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وكان يقال له ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]<sup>(٢٨٤)</sup>، وعلى هذا يكون المقصود بالدعاء هو السؤال، إلا أن بعض المفسرين قالوا: المقصود بالدعاء العبادة والتوحيد، قال الشوكاني: «قال أكثر المفسرين: المعنى: وُحِّدُونِي واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضرر، قيل: الأول أولى لأنَّ الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة، قلت: بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقةً وشرعاً هو الطلب، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح<sup>(٢٨٥)</sup>، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة ووعدته الحق، وما يُبَدَّلُ القولُ لديه ولا يخلف المعياذ، ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب، هو من عبادته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: ذليلين صاغرين، وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطفٌ بعباده عظيم وإحسانٌ إليهم جليلٌ حيث توعد من ترك

(٢٨٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٨٧.

(٢٨٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٨٧.

(٢٨٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله. الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج ٥ ص ٤٥٦ ح ٣٣٧١. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

طلب الخير منه، واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة»<sup>(٢٨٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء، أنَّ المستكبرين عن عبادة الله تعالى سيدخلون يوم القيامة نار جهنم بأنفسهم، بوعدٍ لا خلف فيه من الله تعالى بسبب تكبرهم واستكبارهم على الله تعالى بالدعاء والعبادة، فأضيف الفعل في هذه القراءة إلى الداخلين، وهم المستكبرون.

وأما قراءة (سَيَدْخُلُونَ) بضم الياء، وفتح الخاء، فقد أفادت دخولهم النار بفعل غيرهم أي: إنَّ غيرهم سوف يدخلهم (جهنم) وهم ملائكة العذاب<sup>(٢٨٧)</sup>، بأمرٍ من الله تعالى، وربما أفادت المبني للمجهول زيادة التحقير والذلُّ لهم فيجتمع عليهم الذلُّ والإهانة والعذابُ جزاء استكبارهم.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر من المعنى أنهم سيدخلون نار جهنم يوم القيامة بسبب أعمالهم واستكبارهم بأمرٍ من الله تعالى والذي سيدفعهم إلى نار جهنم هم ملائكة العذاب الذين يعنفونهم ويحقرونهم على استكبارهم عن عبادة الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣] فإذا أدخلوا دخلوا وهم صاغرون أذلاء.

١٣ - قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ أَوْ نَتَوَفَّيَكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

### القراءات:

١ - قرأ يعقوب (يَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.

(٢٨٦) فتح القدير ج ٤ ص ٦٩٩.

(٢٨٧) انظر التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ١٨٣.

٢ - قرأ الباقر ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول<sup>(٢٨٨)</sup>.

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الزمر<sup>(٢٨٩)</sup>.

---

(٢٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٧، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٠.

(٢٨٩) انظر ص ٣١ من هذا البحث.

### المبحث الثالث

## عرض وتفسير آيات سورة فصلت المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَنَزَلَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْوَاجَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [فصلت: ١٠].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر (سواء) بالرفع.
- ٢ - قرأ يعقوب (سواء) بالخفض.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب (٢٩٠).

### المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوبٌ مساوٍ لذاك الثوب» (٢٩١)، «والسواء: العدل، قال تعالى: ﴿فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وسواء الشيء وسطه، قال تعالى: ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيرِ﴾

(٢٩٠) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٦.

(٢٩١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٣٩.

(٢٩٢) الصحاح ج ٦ ص ٢٣٨٤.

[الصفات: ٥٥] وَسِوَاءَ الشَّيْءِ: غَيْرُهُ<sup>(٢٩٣)</sup>، وسأواه: ماثله وعادله، وَسَوَّى الشَّيْءَ: قَوَّمَهُ وَعَدَّلَهُ وجعله سويًا، يقال مكانٌ سواءٌ، وثوبٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعرضه وطبقاته<sup>(٢٩٣)</sup>.

### التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لآية سبقتها فيها الإنكار الشديد من رب العزة ﷻ على أولئك المشركين الذين عبدوا معه غيره وسأوا بينه وبين ما يعبدون من أصنام خسيصة لا تضر ولا تنفع، وهو الخالق المبدع لكل شيء، وهو رب العالمين بيده الأمر كله، القاهر، المقتدر على كل شيء، ثم يعرض المولى ﷻ في هذه الآية الدلائل القاطعات الواضحات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وتفردته بالألوهية، فقال: ﴿وَحَلَّ فِيهَا رُؤُسَ مِنْ فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾، قال ابن كثير: «أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، وقدر فيها أقواتها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق، والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة لهذا قال: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه»<sup>(٢٩٤)</sup>.

وقال الطبرسي: «سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ» أي: مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصانٍ للسائلين عن مدة خلق الأرض، وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فإن كلاً يطلب القوت، ويسأله<sup>(٢٩٥)</sup>، وقال القرطبي: «معنى: ﴿سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ ولغير السائلين، أي: خلق الأرض وما فيها لمن سأل ولمن لم يسأل، ويعطي من سأل ومن لم يسأل»<sup>(٢٩٦)</sup>.

(٢٩٣) انظر المعجم الوسيط ص ٤٩٢.

(٢٩٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٩٥.

(٢٩٥) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٧.

(٢٩٦) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٩١.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءة من القراءات الثلاث أفادت معنى آخر مغايراً لمعنى القراءة الأخرى:

فقراءة (سَوَاءٍ) بالخفض أفادت أنها نعتٌ لأربعة أيامٍ، فيكون المعنى: «في أربعة أيامٍ مستوياتٍ تامَّاتٍ للسائلين»<sup>(٢٩٧)</sup>.

وأما قراءة (سَوَاءٍ) بالضم فقد أفادت «أنها خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي: هي سواء»<sup>(٢٩٨)</sup>.

وجاء في مفاتيح الأغاني: «من رفع فعلى معنى: هي سواء للسائلين، وقال السدي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟»<sup>(٢٩٩)</sup>.

وأما قراءة ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب، فقد أفادت أنها حال من ضمير ﴿أَقْوَاتَهَا﴾ أو من أيامٍ أو بالنصب على المصدر فيكون المعنى: استوت سواء واستواء»<sup>(٣٠٠)</sup>.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر من المعنى: أنَّ الله تعالى، قدَّر فيها أقواتها سواءً أي: كاملةً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيامٍ، كاملةً تامةً مستويةً بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

٢ - قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنَذِقَهُمْ

(٢٩٧) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٦٦، انظر زاد المسير ص ١٢٥٣، معالم التنزيل ج ٤ ص ٩٦.

(٢٩٨) المستير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٤.

(٢٩٩) مفاتيح الأغاني ص ٣٦١.

(٣٠٠) انظر مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٧.



عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١﴾  
[فصلت: ١٦].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر وابن عامر والكوفيون ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء.
- ٢ - وقرأ الباقر (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء (٣٠١).

### المعنى اللغوي للقراءات:

«النَّحْسُ: الأمر العظيم، والريح الباردة إذا أدبرت، والغبار في أقطار السماء، وضدَّ السَّغْد» (٣٠٢)، والنَّحْسُ: اللهب بلا دخان، وذلك لشبهه في اللون بالنحاس، وأصل النَّحْسِ، أن يحمرَّ الأفق فيصير كالنحاس، أي: لهبٌ بلا دخان، فصار ذلك مثلاً للشؤم» (٣٠٣).

وقال الزجاج: «ونحساتٍ مشثوماتٍ واحداً نَحْسٌ» (٣٠٤).

### التفسير:

تصف هذه الآيات نوع العذاب الذي أرسله الله تعالى على قوم عاد جرأ استكبارهم في الأرض بغير حق وكفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لأنبيائهم، فقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال ابن كثير: «قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت ذات صوت مزعج ومنه سُمِّيَ النهر المشهور ببلاد المشرق صرصر لقوة صوت جريه، ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾

(٣٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٦، تحبير التيسير ص ٢٠٠.

(٣٠٢) القاموس المحيط ص ٥١٩.

(٣٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٤.

(٣٠٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ ص ٣٨٣.

أي: متتابعات»<sup>(٣٠٥)</sup>، وقال الطبرسي: «أي نكدات مشثومات ذوات نحوس وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبائي<sup>(٣٠٦)</sup>، وقيل نحسات باردات، والعرب تسمي البرد نحساً»<sup>(٣٠٧)</sup>، ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لكي نذيقهم العذاب المخزي المذل في الدنيا بسبب ذلك الاستكبار ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُصْروْنَ﴾ أي: ولعذابهم في الآخرة أشد إهانة وذلاً وأعظم خزيًا من عذابهم في الدنيا وليس لهم ناصر يمنعهم من العذاب أو يدفعه عنهم<sup>(٣٠٨)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (نَحَسَات بكسر الحاء، ونَحَسَات بتسكين الحاء) علاقة لغوية فقط، والمعنى واحد على رأي أكثر المفسرين، قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان يقال: هذا يوم نَحَس بكسر الحاء وسكونها... فمن كان في لغته يوم نَحَس قال في أيام نَحَسَات، ومن كان في لغته يوم نَحَس قال في أيام نَحَسَات»<sup>(٣٠٩)</sup>.

وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي والفراء: هما لغتان بمعنى واحد، يقال: نَحَس ونَحَس، وأيام نَحَسَات، ونَحَسَات أي: مشائيم»<sup>(٣١٠)</sup>، وقال

(٣٠٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٩٧.

(٣٠٦) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، وكنيته: أبو علي البصري، وشيخ المعتزلة، له تصانيف كثيرة، منها كتاب التفسير الكبير، ابنه: عبد السلام - أبو هاشم الجبائي - شيخ المعتزلة، توفي أبو علي سنة ٣٠٣ هـ عن ٦٨ سنة. (انظر سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٨٣، طبقات المفسرين (١) ج ١ ص ١٠٢، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧).

(٣٠٧) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١٣.

(٣٠٨) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧١٦.

(٣٠٩) جامع البيان م ١١ ج ٢٤ ص ٦٧.

(٣١٠) حجة القراءات ص ٦٣٥.

أبو منصور: من قرأ (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء فالواحد: نَحْسٌ، يقال: يومٌ نَحْسٌ، وأيامٌ نَحْسَاتٌ جمع الجمع، ومن قرأ ﴿نَحْسَاتٍ﴾ فالواحد نَحْسٌ، وأيامٌ نَحْسَةٌ، ثم نَحْسَاتٌ جمع الجمع، ومعنى النَحْسَاتِ والنَحْسَاتِ: المشثومات» (٣١١).

وأما حجة من قرأ (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مَّتَسَيَّرٍ﴾ [القمر: ١٩] أي: في يوم شؤم وبلاءٍ وهلك، وحجة من قرأ ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء أنَّ النَحْسَاتِ صفةٌ لليوم (٣١٢)، قال الطبري: «وقد قال بعضهم: النَحْسُ بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وإنَّ إضافة اليوم إلى النَحْسِ إنَّما هو إضافة إلى الشؤم، وأنَّ النَحْسَ بكسر الحاء نعتٌ لليوم بأنَّه مشثوم، ولذلك قيل في أيام نَحْسَاتٍ لأنها أيام مشثائم» (٣١٣)، وعلى هذا تكون قراءة (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء فيها مبالغة وصفٌ للشؤم أكثر مما تحمله قراءة ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء التي تصف الأيام بالشؤم، و(نَحْسَاتٍ) مصدر والتعبير بالمصدر أقوى دلالة وأبلغ من التعبير بالوصف لما فيه من معنى الملاصقة بينه وبين المضاف وهو (الأيام) مما يدل على ثبوت الحالة التي عليها، ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي قال: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ جمع نَحْسَةٍ بكسر الحاء صفةٌ مشبهة من نَحْسٍ نَحْساً كعلم علماً نقيض سعد سعاداً، وقرأ الحرمان، وأبو عمرو، والنخعي، وعيسى، والأعرج (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء فاحتمل أن يكون مصدراً وصف به مبالغة» (٣١٤).

٣ - قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

[فصلت: ١٩].

(٣١١) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٥٢.

(٣١٢) انظر إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ص ٢٧٦.

(٣١٣) جامع البيان ج ٢١ ص ٦٧.

(٣١٤) روح المعاني ج ٢٤ ص ١١٢.

## القراءات:

١ - قرأ نافع ويعقوب (نَحْشُرُ) بالنون وفتحها وضم الشين، (وأعداء) بالنصب.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُحْشَرُ﴾ بالياء وضمها وفتح الشين، و﴿أَعْدَاءُ﴾ بالرفع<sup>(٣١٥)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

«الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها... وَسُمِّيَ يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث والنشر»<sup>(٣١٦)</sup>، وقال ابن منظور: «والحشر: جَمْعُ الناس يوم القيامة، وَالْحَشْرُ: حَشْرُ يوم القيامة، وَالْمَحْشَرُ: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلى بلدٍ أو معسكرٍ أو نحوه»<sup>(٣١٧)</sup>.

## التفسير:

لما فرغ الله تعالى من موعظة المشركين بما حلّ بالأُمم المكذبة من قبلهم وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حلّ بأولئك المكذبين، انتقل في هذه الآية الكريمة إلى إنذارهم بما سيحلّ بهم في الآخرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾<sup>(٣١٨)</sup> أي: «واذكر لهم يا محمد طرفاً من عذاب يوم القيامة بعد تهديدكم بعذاب الدنيا لعلمهم يرجعون، اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله من الكفرة إلى النار، ومواقف الحساب فهم يساقون إليها كما تساق الأنعام بشدة حتى إذا تكاملوا واجتمع أولهم على آخرهم يدفعون إلى جهنم دفعاً»<sup>(٣١٨)</sup>، كما قال سبحانه وتعالى:

(٣١٥) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٦، تحبير التيسير ص ٢٠٠.

(٣١٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٧.

(٣١٧) لسان العرب ج ٤ ص ١٩٠.

(٣١٨) التفسير الواضح ٣ ج ٢٤ ص ٦١.

﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم: ٨٦]، «والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لدمهم والإيذان بعله ما يحيق بهم من ألوان العذاب» (٣١٩).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (نحشُرُ أعداء) بنون العظمة إسناد فعل الحشر من الله تعالى إلى نفسه فهو يخبر عن نفسه، والمعنى «يحشر الله ﷻ أعداءه الكفار من الأولين والآخرين» (٣٢٠). قال مكي بن أبي طالب: «قرأ نافع بالنون ونصب (الأعداء)، على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، ردّه على قوله: ﴿وَمَجِّنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [فصلت: ١٨] فعطف مخبراً عن نفسه على مخبر عن نفسه، وهو هو، فذلك أحسن في مطابقة الكلام وبناء آخره على أوله، ونصب (أعداء) بوقوع الفعل عليهم» (٣٢١).

وأما القراءة الثانية بياء الغيبة فإنه بنى الفعل للمجهول ولم يسم فاعله على سبيل الإخبار عنهم، على أن الملائكة هم الحاشرون لهم بأمر من الله تعالى، قال الرازي: «وأيضاً الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله: ﴿لَحْشُرُوا﴾ [الصفات: ٢٢] وهم الملائكة، وأيضاً هذه القراءة موافقة لقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾» (٣٢٢)، كما أن هذه القراءة تدل على سهولة الحدث ويسره، قال البقاعي: «﴿يُحْشَرُ﴾ أي: يجمع بكثرة بأمرٍ قاهرٍ لا كلفة علينا فيه، هذه على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول» (٣٢٣).

### الجمع بين القراءات:

تفيد القراءة بالياء ﴿يُحْشَرُ﴾ أن الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة

(٣١٩) روح المعاني ج ٢٤ ص ١١٤.

(٣٢٠) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ١١٥، وانظر الكشف ج ٣ ص ٤٥٠.

(٣٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣٢٢) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ١١٥، وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣٢٣) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٦٣.

بحشر أولئك الكفرة الظالمين لينالوا عقابهم الأليم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم ويتم هذا الأمر بسهولة ويسر دون جهدٍ أو مشقة، ولم يذكر الله تعالى الفاعل هنا، إمّا من أجل العلم به لأنّ الأمر يتم بأمر الله تعالى وهو الحاشر لهم بأمره، وإما لتعظيم الفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله تعالى.

وأما قراءة (نَحْشُرُ) بنون العظمة فإنّها نسبت فعل الحشر إلى الله تعالى مباشرة بأنّه هو الفاعل، فيكون إسناد الفعل إلى الله صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحة، وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التّكلم بنون العظمة تعظيماً للفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله، كما أنّ فيها زيادة تأكيد الفعل ودلالة على شدة انتقام الله تعالى من أولئك الكفار بما يتناسب مع عظمتهم فيكون الفعل المبني للفاعل بنون العظمة يضيف معنىً زائداً على القراءة الأخرى، وهو المبالغة والشدة في الانتقام والتعذيب، والله تعالى أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِمُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١].

### القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿تَرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول<sup>(٣٢٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرجعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات<sup>(٣٢٥)</sup>، «وقوله

(٣٢٤) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٩.

(٣٢٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٢.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارْجِعُون) أي: ردوني إلى الدنيا» (٣٢٦).

### التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة - يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهم الله تعالى للحساب - لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائم وآثام، فيسألون بتعجب واستغراب جوارحهم وأعضاءهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أن الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيء، قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره، وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم، إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون، لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا، فأجابتهم جلودهم، أنطقنا الذي أنطق كل شيء، فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله» (٣٢٧)، وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِيَّ تَرْجَعُونَ﴾، قال البغوي: «ليس هذا من جواب الجلود» (٣٢٨). وقال الألوسي: «يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفاً من كلامه ﷻ، والأول أظهر» (٣٢٩)، «والمعنى: أن من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه» (٣٣٠).

(٣٢٦) لسان العرب ج ٨ ص ١١٤.

(٣٢٧) جامع البيان ج ٢١ ص ٦٨.

(٣٢٨) معالم التنزيل ج ٤ ص ١٠٠.

(٣٢٩) روح المعاني ج ٢٤ ص ١١٦.

(٣٣٠) فتح القدير ج ٤ ص ٧١٨.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تَرْجِعُونَ﴾ على البناء للمفعول أَنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمر، وهم كارهون بقوة خارجة عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمّا قراءة (تَرْجِعُونَ) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «والقراءة الأولى - قراءة الضم - على اعتبار أَنَّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية - قراءة الفتح - باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر<sup>(٣٣١)</sup>. هذا على اعتبار أَنَّ الكلام في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ﴾ من تمة كلام الجلود. وأمّا على معنى أَنَّ الكلام مستأنف من كلام الله تعالى فربما تفيد معنى آخر، وهو أَنَّ قراءة (تَرْجِعُونَ) بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى ﴿تَرْجِعُونَ﴾ على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإيجاب<sup>(٣٣٢)</sup>.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى أَنَّ الجميع راجع إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواء أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأجبر على الرجوع.

٥ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا أَضْلَانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

(٣٣١) انظر التحرير والتنوير ١م ج ١ ص ٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٣٣٢) انظر تفسير الشعراوي ج ١ ص ٢٣١، عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.



## القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير، والسوسي، وابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب (أزناً) بإسكان الراء.
- ٢ - قرأ الدوري باختلاس كسرة الراء.
- ٣ - وقرأ الباقون ﴿أَرْنَا﴾ بكسر الراء (٣٣٣).

## المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً<sup>(٣٣٤)</sup>، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءى فلان: نظر إلى وجهه في المرأة ونحوها<sup>(٣٣٥)</sup>.

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن موقف الكفار يوم القيامة من اللذين أضلّاهم عن سبيل الله تعالى في الحياة الدنيا من الجنّ والإنس، فيطلبون من الله تعالى أن يبصرهم باللذين أضلّاهم من الجنّ والإنس لينتقموا منهما ويدوسوهم بأقدامهم ليكونا أسفل منهم في نار جهنم تشفياً وانتقاماً منهما، وقد اختلف في معنى: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ فقال بعض العلماء المراد هنا جنس الجنّ والإنس من الكفار، الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي، وقيل: المراد إبليس وقابيل لأنهما سنا المعصية لبني آدم<sup>(٣٣٦)</sup>، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعدما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلّانا من خلقك من جنهم وإنسهم، وقيل: إنّ الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي

(٣٣٣) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٢، تحبير التيسير ص ٢٠٠.

(٣٣٤) انظر القاموس المحيط ص ١١٥٧.

(٣٣٥) انظر المعجم الوسيط ص ٣٤٤.

(٣٣٦) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧٢١.

قتل أخاه... وقوله: ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ ولذلك سأل الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار<sup>(٣٣٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَرْنَا﴾ بكسر الراء أن الكفار يسألون الله تعالى يوم القيامة وهم في النار أن يريهم ويبصرهم اللذين أضلاهم عن سبيل الله في الحياة الدنيا، ليتيسر لهم الانتقام منهم بسبب إضلالهما إيّاهم.

وأما قراءة (أزنا) بسكون الراء فقد أفادت معنى آخر إضافياً إلى معنى الرؤيا والتبصير، حيث إن معنى (أزنا) أعطنا وهو التمكين فيكون المعنى: أنهم يسألون الله تعالى أن يمكنهم من اللذين أضلاهم حتى ينتقموا منهما شرّ انتقام بدوسهما تحت أقدامهم زيادة في الإهانة والإذلال. «وعن الخليل (إذا قلت: أرني ثوبك بكسر الراء، فالمعنى: بصريه، وإذا قلته بسكون الراء فهو استعطاء، فمعناه أعطني)، وعلى هذا يكون معنى قراءة ابن كثير وابن عامر ومن وافقهما: مكناً من الذين أضلانا كي نجعلهما تحت أقدامنا، أي: ائذن لنا بإهاتهما وخزيهما»<sup>(٣٣٨)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أن الكفار يسألون الله ﷻ يوم القيامة أن يمكنهم من اللذين أضلاهم، ولا يكون التمكين إلا بعد الرؤية والإبصار، وذلك من أجل الانتقام منهما ودوسهما بأقدامهم، وفي ذلك شدة انتقام وإذلال لهما لشدة عداوتهم لهما وبغضهم إياهما، ويؤيده قول الطبرسي:

(٣٣٧) جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٧٢.

(٣٣٨) التحرير والتنوير ١١ ج ٢٤ ص ٢٨١، وانظر: نظم الدرر ج ٦ ص ٥٧٠.

«تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبغضهم إياهم بما أضلوهم وأغورهم أن يجعلوهما تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار» (٣٣٩).

٦ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) [فصلت: ٣٩].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر (وربات) بهمزة قبل التاء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿وَرَبَتْ﴾ بدون همزة قبل التاء (٣٤٠).

### المعنى اللغوي للقراءات:

ربا الشيء، يربو رُبُوًّا ورباءً: زاد ونما، وأربيته: نميته، وقوله ﴿وَرَبَتْ﴾ في صفة الأرض ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، قيل معناه: عظمت وانتفخت (٣٤١).

وربات بالهمز، معناه: ارتفعت، ورباً لهم: أطلع لهم على شرف، أي: مكان مرتفع والربيئة: الطليعة، أي: الذي ينظر القوم لثلا يدهم عدو ولا يكون إلا على جبل أو مرتفع، وأرتبأت الجبل: صعدته، وربأت الأرض رباءً، زكت وارتفعت (٣٤٢).

### التفسير:

في سياق الرد على المشركين منكري البعث والإحياء بعد الإمامة، تعرض الآية الكريمة لآية عظيمة ودلالة قوية تدل على الوجدانية لله تعالى، وعظيم سلطانه، وكمال قدرته على إحياء الموتى والبعث يوم القيامة، يقول

(٣٣٩) مجمع البيان ٥ ج ٢٥ ص ٢٠.

(٣٤٠) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٩، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥١.

(٣٤١) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٣٠٤.

(٣٤٢) انظر لسان العرب ج ١ ص ٨٣.

سعيد حوى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وقدراته على إحياء الموتى والبعث ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة يابسة مغبرة، والخشوع: التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ أي: المطر ﴿أَهْزَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي: انتفخت» (٣٤٣).

قال الشوكاني: «ومعنى رَبَّتْ: انتفخت وعلت قبل أن تنبت: قاله مجاهد وغيره، وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزت، وقيل: الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات وقد يكون بعده» (٣٤٤). وقال ابن كثير: «أي: أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار» (٣٤٥)، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ أَحْيَاها لَمَجِي الْمَوْتِ﴾ قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إنَّ الذي أحيا هذه الأرض الدارسة، فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد ييسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها، لقادرٌ أن يحيي أموات من بني آدم بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم» (٣٤٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿وَرَبَّتْ﴾ بدون همزة أن هذه الأرض الميتة اليابسة والمغبرة إذا ما نزل عليها المطر اهتزت بالنبات وانتفخت وعظمت.

وأما قراءة (ربأت) بهمزة قبل التاء فقد أضافت معنى الارتفاع إلى الأرض بعد الانتفاخ، والمعنى واحدٌ لأن الأرض إذا ارتوت بالماء تحركت بالنبات، وإذا أراد النبات أن يظهر انتفخت الأرض وارتفعت.

قال الزمخشري: «والربو، وهو الانتفاخ: إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيّه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال

(٣٤٣) الأساس في التفسير ج ٩ ص ٥٠٢٦.

(٣٤٤) فتح القدير ج ٤ ص ٧٢٧.

(٣٤٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٤.

(٣٤٦) جامع البيان ١١ ج ٢٤ ص ٧٨.

في الأطمار الرثة، وقُرئ (وربأت) أي: ارتفعت لأن النبت إذا همَّ أن يظهر: ارتفعت له الأرض<sup>(٣٤٧)</sup>، وقال أبو حيان: «(وربت) أي: زادت وانتفخت، . . . (وربأت) بالهمز هنا وفي فصلت أي: ارتفعت وأشرقت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا: أي: يرتفع بها عنه»<sup>(٣٤٨)</sup>، وقال ابن عطية: «ووجهها أن يكون من رَبَاتِ القوم إذا عَلَوَتْ شَرَفًا من الأرض طليعة، فكأن الأرض بالماء تتناول وتعلو»<sup>(٣٤٩)</sup>.

وقال: «وربأت بألفٍ مهموزة أيضاً بمعنى: علت وارتفعت، ومنه الربيثة، وهو الذي يرتفع حتى يرصد للقوم ثم ذكر تعالى الأمر الذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية والعبرة، وذلك إحياء الموتى»<sup>(٣٥٠)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أنَّ الأرض الميتة اليابسة، إذا ما أنزل عليها الماء دبَّت بها الحياة فاهتزت بالنبات وانتفخت ثم ارتفعت بعد ذلك وعلت، حتى ظهر هذا التحول في الأرض للتأظرين، وفي ذلك دلالة أقوى وزيادة عبرة على إحياء الموتى.

٧ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾  
[فصلت: ٤٠].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة (يلحدون) بفتح الياء والحاء.

(٣٤٧) الكشف ج ٣ ص ٤٥٥.

(٣٤٨) البحر المحيط ج ٦ ص ٣٢٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٤٩) المحرر الوجيز ج ٤ ص ١٠٩، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٥٠) المصدر السابق ج ٥ ص ١٨.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء (٣٥١).

### المعنى اللغوي للقراءات:

اللَّحْد: حفرة مائلة عن الوسط، يقال: لحد القبر وألحده: حفره، وألحد الميت: جعله في اللحد، وألحد فلان: مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله (٣٥٢).

وجاء في لسان العرب: أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، والمُلْحِدُ العادلُ عن الحق المُدْخَلُ فيه ما ليس فيه، يقال: قَدْ أَلْحَدَ فِي الدِّينِ وَلَحَدَ أَي: حَادَ عَنْهُ (٣٥٣).

### التفسير:

في هذه الآية الكريمة يتوعد المولى ﷺ الذين يلحدون في آياته ويطعنون فيها بالتحريف والتكذيب والإنكار لها بعد ظهور الأدلة والبراهين على وجوده ووحدانيته، وكمال قدرته، وينتقصون منها، هؤلاء لا يغيب أمرهم عن الله تعالى ولا يخفى شرهم عليه، فالله تعالى لهم بالمرصاد، فلا يستطيعون أن يفلتوا من عذابه أو يتخلصوا من عقابه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ «قال ابن عباس: الإلحاد، وضع الكلام على غير موضعه، وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد» (٣٥٤). وقال السعدي: «الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها، وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معاني لها ما أرادها الله منها، فتوعدَّ تعالى من ألحد

(٣٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٩، غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٦.

(٣٥٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٣٧.

(٣٥٣) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩.

(٣٥٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٤.

فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجزيه على إلحاده بما كان يعمل» (٣٥٥).

وقال ابن كثير: «وقوله ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فيه تهديد شديد ووعد أكد أي: أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَنُتْلِقِ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان» (٣٥٦). قال الرازي: «وهذا استفهام بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يُلقَوْنَ في النار، والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمينين يوم القيامة، ثم قال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهذا أيضاً تهديد ثالث، ونظيره ما يقوله الملك المهيّب عند الغضب الشديد، إذا أخذ يعاتب بعض عبده ثم يقول لهم: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ فإنّ هذا ما يدل على الوعد الشديد» (٣٥٧).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن معنى القراءتين واحد، قال السمرقندي: «قرأ حمزة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بنصب الحاء، والياء، والباقون: بضم الياء، وكسر الحاء، ومعناها واحد، لحد وألحد بمعنى واحد» (٣٥٨). وقال الزجاج: «(يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء، وتفسير يلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، ومن هذا اللحد لأنه الحفر في جانب القبر، يقال لحدّ وألحد، في معنى واحد» (٣٥٩).

إلا أن للفرء رأياً آخر ذكره ابن منظور في معجمه فقال: «قال الفرء: قرئ يُلْحِدُونَ فمن قرأ يُلْحِدُونَ أراد يميلون إليه، ويُلْحِدُونَ

(٣٥٥) تفسير السعدي ص ٦٢٢.

(٣٥٦) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٤.

(٣٥٧) التفسير الكبير م ١١ ج ٢٧ ص ١٣٢.

(٣٥٨) بحر العلوم ج ٣ ص ١٨٥.

(٣٥٩) معاني القرآن وإعرابه ج ٤ ص ٣٨٨.

يعترضون، قال وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكِيمِ يُظْلَمِ﴾ [الحج: ٢٥] أي: باعتراض<sup>(٣٦٠)</sup>.

وعلى هذا يكون معنى قراءة (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء: مجرد الميل عن الحق، بحرف الكلم عن مواضعه وتصريفه عن معناه الحقيقي، وربما يناسب هذا المعنى الفتحة حيث أنها أخف من الضم في النطق، مما لها أثر الخفة في الإلحاد على المعنى.

وأما قراءة ﴿يُلْحَدُونَ﴾ بضم الياء: فإنها تفيد الاعتراض، على آيات الله بالتكذيب والإنكار والمعادة ويناسبها الضم لما في الضم من ثقل النطق إشارة إلى ثقل حالة الإلحاد التي هم فيها<sup>(٣٦١)</sup>، ويحتمل أنهم يحملون غيرهم على الإلحاد في آيات الله، فيزداد بذلك إلحاداً إلى إلحاده، على معنى ألحد الميت، أي: جعله في القبر، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] قال العلماء: أي: لِيُضِلَّ غيره<sup>(٣٦٢)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى توعد كل من يميل عن الحق إلى الباطل سواء كان بتحريف آيات الله عن مواضعها وصرفها عن معناها الحقيقي، أو بإنكارها وجحودها، وتكذيب ما جاء بها، والاعتراض عليها، كل بحسب عمله سيجازيه الله وينتقم منه يوم القيامة، ولذلك قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٨ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

(٣٦٠) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩.

(٣٦١) انظر كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، موضوع الحركة غير الإعرابية ص ١٠٢ - ١٠٨.

(٣٦٢) انظر ص ٩ من هذا البحث.



## القراءات:

- ١ - قرأ هشام (أعجمي) بهمزة واحدة على الخبر.
  - ٢ - قرأ الباقون ﴿ءَأَعْجَى﴾ بهمزتين على الاستفهام.
- وسهل الهمزتين من غير إدخال ألف الفصل: ورش، وابن كثير، وابن ذكوان، وحفص، وزويس، ولورش أيضاً إبدالها ألفاً مع المدّ المشيع.
- وقالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بتسهيل الثانية مع إدخال ألف الفصل، وحققها الباقون<sup>(٣٦٣)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

العجمة: خلاف الإبانة، والإعجام: الإبهام، والعجم: خلاف العرب، والعجمي منسوب إليهم<sup>(٣٦٤)</sup>، «ورجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة، وإن أفصح بالعجمية، وكلام عجم وأعجمي بين العجمة»<sup>(٣٦٥)</sup>.

وقال د. محمد حجازي: «الأعجمي وصف للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم الذي لا يفصح، سواء كان من العرب أو العجم»<sup>(٣٦٦)</sup>.

## التفسير:

قال ابن كثير: «لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبّه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩] وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت وال عناد ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْنَهُ ۖ ءَأَعْجَى وَعَرَفَى﴾ أي: لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك، فقالوا

(٣٦٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٨، تحبير التيسير ص ٢٠١.

(٣٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٩.

(٣٦٥) لسان العرب ج ١٢ ص ٣٨٦.

(٣٦٦) التفسير الواضح ج ٣ ص ٢٤، ص ٧٠.

أعجمي وعربي، أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟ هكذا رُوي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم، وقيل المراد بقولهم: ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْنَهُ ۖ ءَأَعْجَىٰ وَعَرَفَىٰ﴾ أي: هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ، ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ﴾: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ أي: قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقَرْ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿أَوَلَيْكَ يَتَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يعني: بعيد من قلوبهم، قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم، يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول... وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم<sup>(٣٦٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة هشام (أعجمي) بهمزة واحدة بدون مد، أنَّ الكلام كله خبر عنهم حكاية على قول الكفار «بأن القرآن أعجمي، والرسول أو المرسل إليه عربي»<sup>(٣٦٨)</sup>. «ويجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم، وبعضها عربياً لإفهام العرب»<sup>(٣٦٩)</sup>.

قال مكي بن أبي طالب: «قراءة هشام هنا بهمزة على الخبر فإنه جعل الكلام كله خبراً، حكاية عن قول الكفار أنهم قالوا: لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي وبعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي ويعرف

(٣٦٧) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٥.

(٣٦٨) بحر العلوم ج ٣ ص ١٨٧، التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ١٣٤.

(٣٦٩) روح المعاني ج ٢٤ ص ١٣٠.

العجمي ما فيه من العجمي» (٣٧٠).

وأما قراءة ﴿ءَٰعْجَمِيَّ﴾ فقد أفادت الاستفهام منهم على الإنكار لذلك، فالهمزة الأولى همزة إنكار وتوبيخ على لفظ الاستفهام، والثانية ألف القطع<sup>(٣٧١)</sup>، قال الرازي: «وأما القراءة بهمزتين: فالهمزة الأولى همزة إنكار، والمراد أنكروا، وقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي» (٣٧٢).

وقال مكي بن أبي طالب: «القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك، لأنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْتَهُ قُرْءَانًا ۖ ءَٰعْجَمِيَّ ۖ لَقَالُوا﴾ منكرين: أقرآن أعجمي ونبي عربي، كيف يكون هذا، فأخبر: عما لم يكن لو كان كيف يكون، فبيّن أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقاتل قريش: أقرآن أعجمي ونبي عربي: إنكاراً منهم لذلك» (٣٧٣).

وأما قراءة (ءاعجمي) بهمزة واحدة مع المد على الاستفهام أفادت ما أفادته قراءة ﴿ءَٰعْجَمِيَّ﴾ بهمزتين إلا أن فيها المبالغة والشدة في الإنكار مع الاستهجان منهم لحدوث ذلك إن وقع، وحركة المد الطويلة في (ءاعجمي) تدل على ذلك.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبين من المعنى: أنه تعالى، لو أنزل القرآن بلسان العجم، ففي كل الأحوال سيعترض المشركون ويمارون ويجادلون، سواء كان القرآن عربياً أم أعجمياً، وأقلهم اعتراضاً سيطلبون تفصيل الآيات بعضها أعجمي حتى يفهمه العجم، وبعضها عربي حتى يفهمه العرب، وذلك على قراءة (أعجمي) بهمزة واحدة، وستجد من هؤلاء المشركين من ينكر

(٣٧٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣٧١) انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج ٤ ص ٢٧٨.

(٣٧٢) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ١٣٤.

(٣٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٨.

ذلك ويقول: أقرأن أعجمي ونبي عربي كيف يكون هذا، وذلك على قراءة ﴿ءَاعْجَمِي﴾ بهمزتين، ومنهم من يبالغ في الإنكار ويستهجئ حدوث ذلك، وهذا على قراءة (ءاعجمي) بهمزة المد، فالقراءات جميعها: تبين أنهم في كل الأحوال سيعترضون، ويجادلون، مع اختلاف درجة اعتراضهم وإنكارهم.

قال السمرقندي: «والغرض أنهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربياً أو أعجمياً»<sup>(٣٧٤)</sup>.

وقال ابن عطية: «أخبر الله تعالى عنهم، أنه لو كان على أي وجه تخيل لكان لهم قول، واعتراض فاسد»<sup>(٣٧٥)</sup>.

٩ - قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، والبصريان، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر (ثمرة) بغير ألف على التوحيد.

٢ - قرأ الباقر ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ بألف على الجمع<sup>(٣٧٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«التمر: اسم لكل ما يُتَطَعَم من أحمال الشجر، الواحدة: ثمرة، والجمع: ثمار وثمرات»<sup>(٣٧٧)</sup>، ويطلق أيضاً على أنواع المال، والأولاد، قال ابن منظور: «التمر: حَمْلُ الشجر، وأنواع المال، والولد: ثمرة القلب، وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده،

(٣٧٤) بحر العلوم ج ٣ ص ١٨٦.

(٣٧٥) المحرر الوجيز ج ٥ ص ٢٠.

(٣٧٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٧.

(٣٧٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٦.

فيقولون: نعم<sup>(٣٧٨)</sup>، قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر والولد ينتجه الأب<sup>(٣٧٩)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن بعض علوم الغيب التي تفرّد الله تعالى بها عمّن سواه، وقصرها على نفسه، ولم يطلع عليها أحداً حتى أحبّ الخلق إليه، وهذه من جملة مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، «وهي: موعد قيام الساعة، وخروج الثمرات من أكمامها، أي: أغلفتها وحمل الأنثيات وَوَضَعُهُنَّ»<sup>(٣٨٠)</sup>، قال ابن كثير: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحدٌ سواه كما قال محمد ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»<sup>(٣٨١)</sup>»<sup>(٣٨٢)</sup>.

وقال الرازي: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وهذه الكلمة تفيد الحصر، أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله، وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله ﷻ، ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين أحدهما: قوله: «﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾»، والثاني قوله: «﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾» قال أبو عبيدة: أكمامها وهي ما كانت فيه الثمرة واحداً كم

(٣٧٨) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه: كتاب ما جاء في الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب فضل المصيبة إذا احتسبت ج ٣ ص ٣٤١، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

(٣٧٩) لسان العرب ج ٤ ص ١٠٦.

(٣٨٠) المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٨.

(٣٨١) جزء من حديث رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١ ص ٢٧ ح ٥٠، ومسلم: كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١ ص ٣٦ ح ٨.

(٣٨٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٥.

وكمة» (٣٨٣). ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ «أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق، أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿قَالُوا ءَآذَنَّاكَ﴾ أي: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: ليس أحد منا يشهد اليوم أنَّ معك شريكاً» (٣٨٤)، قال المفسرون: لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان» (٣٨٥).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال العلماء: من قرأ ﴿ثَمَرَتٍ﴾ على الجمع، أراد جميع أنواع الثمرات، لاختلافها وتنوعها، والجمع يراد به الكثرة والتعدد.

ومن قرأ (ثَمَرَةً) على التوحيد أراد بها الجنس أي: جنس الثمرات، لأن الثمرة تؤدي عن الثمار، قال ابن زنجلة: «قرأ نافع، وابن عامر، وحفص: ﴿مِن ثَمَرَتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ بالألف على الجمع، وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء، وأخرى: وهي أنه ليس يراد ثمرة دون ثمرة، وإنما يراد جمع الثمرات ويقوي الجمع: «قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِنَّ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]. وقرأ الباقون: (من ثمرة من أكمامها) على واحدة: لأن الثمرة تؤدي عن الثمار لأنها الجنس، وحجتهم، قوله ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ قالوا: كما أفرد أنثى كذلك ينبغي أن يكون (من ثمرة) مفردة، ويكون المراد أجناس الثمار» (٣٨٦).

وقال د. محمد سالم محيسن: ﴿ثَمَرَتٍ﴾ قرأ نافع وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، بألف بعد الراء على الجمع، وذلك لاختلافها

(٣٨٣) التفسير الكبير م ٤ ج ٢٧ ص ١٣٧.

(٣٨٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٠٦.

(٣٨٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣١٤، فتح القدير ج ٤ ص ٧٣١.

(٣٨٦) حجة القراءات ص ٦٣٨.

وتنوعها، وقرأ الباقون بغير ألف على الأفراد لإرادة الجنس»<sup>(٣٨٧)</sup>، وذكر مكي بن أبي طالب أن «الجمع لكثرة أنواع الثمرات الخارجة من غلافاتها، والأكمام: الغلافات التي تخرج منها الثمرات، وهو جمع كم، وقرأ الباقون بالتوحيد، لأن دخول (من) على (ثمرة) يدل على الكثرة»<sup>(٣٨٨)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿ثَمَرَتِ﴾ بالجمع مبيّنة أن المقصود جميع أنواع الثمرات صغیرها وكبیرها، صالحها وفاسدها، من الفواكه والحبوب وغيرها، حتى لا يتوهم أحد أن المقصود ثمرة دون ثمرة، أو نوع مقصود من الثمار، وفي ذلك إظهار لعظمة الله ﷻ، كما في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

قال البقاعي: «﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ أي: صغيرة أو كبيرة صالحة أو فاسدة من الفواكه والحبوب وغيرها، والأفراد في قراءة الجماعة للجنس الصالح للقليل والكثير، نُبّهت قراء نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالجمع على كثرة الأنواع»<sup>(٣٨٩)</sup>.

١٠ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١].

### القراءات:

١ - قرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر (وناء) بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزة مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون (ونأى) بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون<sup>(٣٩٠)</sup>.

(٣٨٧) المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٧.

(٣٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٤٩.

(٣٨٩) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٨٥.

(٣٩٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٨، النشر ج ٢ ص ٢٣١.

## المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ناء: ناء بحمله ينوء نَوْءاً وتَنَوَّاءَ نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط، ويقال: ناء بالحمل إذا نهض به مثقلاً، وناء به الحمل إذا أثقله، وقوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصاص: ٧٦] المعنى: إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تميلهم من ثقلها<sup>(٣٩١)</sup>.

٢ - «نأى: النَّأْيُ: البُعد، يَنأى: بَعُدَ، بوزن نَعى يَنْعَى، ونأوتُ، لغَةً في نَأَيْتُ، والنَّأْيُ: المفارقة»<sup>(٣٩٢)</sup> وجاء في الصحاح: «نأيتُه ونأيتُ عنه نأياً بمعنى، أي: بعدت، وأنأيتُه فأنأيتُ، أي: أبعدته فبَعُدَ، وتَنَاءُوا، أي: تَبَاعَدُوا، والمُتَنَاءَى: الموضع البعيد»<sup>(٣٩٣)</sup>.

## التفسير:

«أشارت هذه الآية إلى بعض الغرائز والصفات الكامنة في الإنسان، فمن بني الإنسان الذين إن أنعم الله عليهم في الدنيا استكبروا، وتجبروا وأعرضوا عن الإيمان بالله تعالى، وتركوا فعل الخير، وإن أصابهم الله بشرٌ رجعوا إليه وأكثروا من الدعاء تضرعاً إليه، وسألوا الله أن يكشف عنهم ما حلَّ بهم، فهؤلاء لا يعرفون ربهم وخالقهم إلا في حالات الشدة والبلاء، أما في حالات السعة والهناء، فإنهم يكونون بعيدين عن الله تعالى»<sup>(٣٩٤)</sup>.

قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر فكشفنا ما به من ضرٍّ ورزقناه غنىً وسعةً، ووهبنا له صحة جسم وعافيةً أعرض عما دعوناه إليه من طاعتنا وصدَّ عنه، ونأى بجانبه، يقول وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه: بناحيته... وقوله:

(٣٩١) انظر لسان العرب ج ١ ص ١٧٤ مادة (نوا).

(٣٩٢) لسان العرب ج ١٥ ص ٣٠٠ مادة (نأى).

(٣٩٣) الصحاح ج ٦ ص ٢٤٩٩.

(٣٩٤) المستير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٤٩.



﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ يعني بالعريض: الكثير<sup>(٣٩٥)</sup>، وقال البقاعي: ومعنى: ﴿عَرِيضٍ﴾ «أي: مديد العرض جداً، وأما طوله فلا تسأل عنه، وهذا كناية عن النهاية في الكثرة»<sup>(٣٩٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ونأى) أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه وكشف ما به من ضرر استكبر عن شكر الله تعالى وأعرض عن عبادته والإيمان به وأبعد نفسه عن إجابة دعوة الله تعالى له بالإيمان، وجاء في لسان العرب: «يقال للرجل إذا تكبر وأعرض بوجهه: نأى جانبه، ومعناه أنه نأى جانبه من وراء أي نحاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾»، أي: أنأى جانبه عن خالقه متغنياً معرضاً عن عبادته ودعائه، وقيل: نأى بجانبه أي: تباعد عن القبول»<sup>(٣٩٧)</sup>. وقال القرطبي: «ومعنى ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي: ترفع عن الانقياد إلى الحق وتكبر على أنبياء الله، وقيل: (نأى) تباعد»<sup>(٣٩٨)</sup>، وبنحو ذلك قال الشوكاني<sup>(٣٩٩)</sup>.

وأما قراءة (ناء) فإنها أفادت أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله عليه تشاقل عن أداء الشكر لله تعالى على هذه النعم ومال بجانبه استكباراً وتشاقلاً عن عبادة الله تعالى كمن يحمل ثقلًا كبيراً يمنعه من القيام والنهوض، قال ابن عاشور: «وقيل: ناء في هذه القراءة بمعنى ثقل، أي: عن الشكر، أي: في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾» [الأعراف: ١٧٦]<sup>(٤٠٠)</sup>، وقال النيسابوري: «ومن قرأ (ناء) فإما من النوء بمعنى

(٣٩٥) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٤.

(٣٩٦) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٨٩.

(٣٩٧) لسان العرب ج ١٥ ص ٣٠٠.

(٣٩٨) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣١٥.

(٣٩٩) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧٣٢.

(٤٠٠) التحرير والتنوير م ٧ ج ١٥ ص ١٩٢ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

النهوض مستثقلاً، وإما مقلوبٌ كقولهم: (راء) في رأي»<sup>(٤٠١)</sup>، وقال البقاعي: «(النوء) : الميل، قال الرازي والنوء: الكوكب مال عن العين عند الغروب، يقال: ناء بالجرم إذا نهض به مثقلاً، وناء به الجرم إذا أماله لثقله»<sup>(٤٠٢)</sup>.

وقال الألوسي: «وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان (وناء) هنا وفي فصلت فقليل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام كراء ووراء، وقيل لا قلب، و(ناء) بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا ما التأمت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله»<sup>(٤٠٣)</sup>

نهض متوكتاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضاف، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه: تناقل عن أداء الشكر فعمل المعرض»<sup>(٤٠٤)</sup>.

### الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبين من المعنى: أن هذا الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه أعرض عن عبادته وطاعته وأبعد نفسه عن إجابة دعوته مستكبراً، متثاقلاً عن أداء شكر هذه النعم لله تعالى، مستعلياً متفاخراً على غيره مدعياً أن هذه النعم من كسبه واجتهاده وفي ذلك دليل على شدة انحرافه وطغيانه وتكبره، فالقراءتان ترسمان مشهداً دقيقاً للحالات التي يكون عليها هؤلاء الكفار من اغترار بالسوء وجحود للنعم وبطران للحق ونكران للجميل، ملازم لهم في جميع أحوالهم في السراء والضراء مع تفاوت درجات جحودهم واستكبارهم تبعاً لتمكن الكفر من قلوبهم والله تعالى أعلم.

(٤٠١) تفسير النيسابوري ج ٣ ص ٢١٠٠ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

(٤٠٢) نظم الدرر ج ٥ ص ٥١٧ عند تفسيره للآية (٧٦) من سورة القصص.

(٤٠٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره الألوسي، وابن عطية.

(٤٠٤) روح المعاني ج ١٥ ص ١٤٧ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

## الفصل الثاني

### تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الشورى - الزخرف - الدخان

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزخرف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان المتضمنة للقراءات العشر.



## المبحث الأول

### عرض وتفسير آيات سورة الشورى المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿الشورى: ٣﴾.

#### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (يُوحَى) بفتح الحاء على التجهيل.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوحَى﴾ بكسر الحاء على التسمية<sup>(٤٠٥)</sup>.

#### المعنى اللغوي للقراءات:

الوحي: «الإشارة والكتابة والمكتوب، والرُسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكلُّ ما أُلقيته إلى غيرك، والصوت يكون في النَّاس وغيرهم، كالوحي والوحاة... وأَوْحَى إليه: بعثه، وألهمه»<sup>(٤٠٦)</sup>. وقال الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد على التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة... ويقال: للكلمة الإلهية

(٤٠٥) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٧، تحبير التيسير ص ٢٠٢.

(٤٠٦) القاموس المحيط ص ١٢٠٧.

التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيي، وذلك أضرب حسبما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] (٤٠٧).

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قضية عقدية لها أصلاتها بين الأمم كانت محور جدل بين الكفار وأنبيائهم على مدار التاريخ والأزمان، قضية الوحي وحقيقته، ووحدته، ووحدة مصدره، وهو الله العزيز الحكيم، ووحدة الرسالة التي بعث بها الرسل، المنبثقة عن هذا الوحي.

يقول سيد قطب رحمه الله: «أي: مثل ذلك، وعلى هذا النسق، وبهذه الطريقة يكون الوحي إليك وإلى الذين من قبلك، فهو كلمات وألفاظ، وعبارات مصوغة من الأحرف التي يعرفها الناس، ويفهمونها ويدركون معانيها، ولكنهم لا يملكون أن يصوغوا مثلها ممَّا بين أيديهم من أحرف يعرفونها. ومن الناحية الأخرى، تقرر وحدة الوحي ووحدة مصدره، فالوحي هو الله العزيز الحكيم، والمُوحى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحد في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان: ﴿إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنها قصة بعيدة البداية، ضاربة في أطواء الزمان، وسلسلة كثيرة الحلقات، متشابكة الحلقات، ومنهج ثابت الأصول على تعدد الفروع، وهذه الحقيقة - على هذا النحو - حين تستقر في ضمائر المؤمنين تشعرهم بأصالة ما هم عليه وثباته، ووحدة مصدره وطريقه، وتشدهم إلى مصدر هذا الوحي: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾» (٤٠٨). وقال الشوكاني: «هذا كلام مستأنف غير متعلق بما قبله: أي مثل ذلك الإيحاء الذي أوجي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحى إليك يا محمد في هذه السورة، وقيل: إِنَّ ﴿حَمَّ ① عَسَقَ ②﴾»

(٤٠٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٥٨.

(٤٠٨) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣١٣٩ - ٣١٤٠.

أُوحِيَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَتَكُونُ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: (كَذَلِكَ) إِلَيْهَا» (٤٠٩).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُوحَى) على المبني للمفعول أَنَّ جملة ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ بيانٌ للفاعل، كأنهم سألوا من يوحى إليك، ف قيل: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، و(كذلك) تكون مبتدأ على أَنَّ الكاف اسم بمعنى: مثل، أي: مثل ذلك يوحى، و(يوحى) خبرها. قال البغوي: «قرأ ابن كثير (يُوحَى) بفتح الحاء، وحجته قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فعلى هذه القراءة قوله ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تبين للفاعل لأنه قيل: من يوحى؟ ف قيل: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾» (٤١٠). وفي هذه القراءة تأكيد على حقيقة الوحي ووحدته ووحدة مصدره وهو الله العزيز الحكيم، وكأنهم شككوا في حقيقة الوحي وما جاء به النبي ﷺ، والموحي لهذا الرسول، ولذلك جاء الفعل (يُوحَى) بالمبني للمفعول للدلالة على أَنَّ الموحى معلوم لدى الجميع، ولمَّا سألوا من الموحى أجابهم بقوله: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال البقاعي: «ولمَّا كان الاهتمام بالوحي لمعرفة أَنَّهُ حقٌّ، كما أشارت إليه قراءة ابن كثير بالبناء للمفعول، والموحي إليه، لمعرفة أَنَّهُ رسولٌ حقاً وكان المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله لا يفيد الاستقبال صح أن يتعلق به قوله مقدماً على الفاعل: (وإلى الذين) والقائم مقام الفاعل في قراءة ابن كثير ضمير يعود على (كذلك)» (٤١١).

وأما قراءة (يُوحَى) بكسر الحاء على المبني للفاعل ففيها إسناد الفعل إلى الله تعالى مباشرة، فيكون «الفاعل (الله) و(العزيز الحكيم) نعتان، والكاف منصوبة المحل إما نعتاً لمصدر، أو حالاً من ضمير، أي: إِيحَاءُ

(٤٠٩) فتح القدير ج ٤ ص ٧٣٧.

(٤١٠) معالم التنزيل ج ٤ ص ١٠٦.

(٤١١) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٧٩.

مثل ذلك الإيحاء» (٤١٢)، وفي هذه القراءة تأكيد على وحدة الرسالة التي بعث الله بها إلى الرسل عن طريق الوحي، وكأن شك الكفار واقع على القرآن أنه من عند الله، ولم يكن الشك في الموحى وهو الله، لذلك جاء بالمبني للفاعل للإشارة إلى حقيقة ما جاء به النبي ﷺ هو مثل ما جاء به الأنبياء السابقون، أو أن ما تضمنته هذه السورة من معاني هو مثل ما أوحاه الله إلى الأنبياء من قبله، ولذلك تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وفي قراءة المبني للمفعول يوقف على (قبلك)، ويبدأ: بِـ ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وأمّا في قراءة المبني للفاعل لا يوقف إلا على (الحكيم)، قال مكي ابن أبي طالب: «كذلك يوحى» قرأه ابن كثير بفتح الحاء على ما لم يُسمّ فاعله، فيوقف في قراءته على (قبلك) ويبدأ: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، على التبيان لما قبله، كأنه قيل من يوحى؟ فيقال: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فالمعنى على هذه القراءة: (كذلك يُوحى إليك يا محمد مثل ما أوحى إلى الأنبياء قبلك)، وقيل معناه: (إنّ الله جلّ ذكره أعلمه أن هذه السورة أوحيت إلى الأنبياء قبل محمد)، و(إليك) يقوم مقام الفاعل، أو يضمّر المصدر يقوم مقام الفاعل، قرأ الباقر بكسر الحاء، فلا يوقف إلا على (الحكيم)، لأنهم أسندوا الفعل إلى الله جلّ ذكره، فهو الفاعل، فلا يوقف على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون نعتة» (٤١٣).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يُكشف لنا عن حقيقة هؤلاء الكفار وصدفهم وجدالهم الحق بالباطل، فهم لم يقفوا إلى حد إنكار مصدر هذا القرآن الكريم، وإنما تعدوه إلى إنكار حقيقة الوحي، والموحي وهو الله تعالى، لذلك حملت القراءتان الردّ على كل هؤلاء المجادلين المشككين في حقيقة

(٤١٢) (الباب ج ١٧ ص ١٦٢).

(٤١٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٠.



الوحي والرسالة والقرآن المنزل من عند الله تعالى، يقول الإمام سيد قطب: «ومن الناحية الأخرى تقرر هذه الآية وحدة الوحي، ووحدة مصدره، فالموحي هو الله العزيز الحكيم، والمُوَحَّى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحد في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان»<sup>(٤١٤)</sup>.

٢ - قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ قَوْفِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

### القراءات:

- ١ - قرأ نافع والكسائي (يَكَادُ) بالياء على التذكير.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء على التأنيث<sup>(٤١٥)</sup>.
- ٣ - قرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب (يَنْفَطِرْنَ) بالنون والتخفيف.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ بالتاء والتشديد<sup>(٤١٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

١ - «تكاد»: وضع كاد لمقاربة الفعل، يقال: كاد يفعل: إذا لم يكن قد فعل، وإذا كان معه حرف نفي يكون لما قد وقع، ويكون قريباً من أن لا يكون<sup>(٤١٧)</sup>، «كاد يفعل كذا، يكاد كوداً أو مكادة، أي قارب ولم يفعل»<sup>(٤١٨)</sup>.

(٤١٤) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣١٣٩، بتصرف قليل.  
 (٤١٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩١، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٠.  
 (٤١٦) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥١، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩١.  
 (٤١٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٢٩.  
 (٤١٨) الصحاح ج ٢ ص ٥٣٢.

٢ - يتفطرون: «أصل الفطر: الشق طولاً»<sup>(٤١٩)</sup> «فطر الشيء يفطره فطراً وفطره: شقّه، وتفطّر الشيء: تشقّق»<sup>(٤٢٠)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن حال المخلوقات وحركتها عند سماع كلمة الكفر، ووصف الله بما لا يليق به من صفات النقص، فهذه السموات تقارب أن تشقق واحدة فوق الأخرى من فظاعة وهول قول المشركين، بأن لله ولداً، أو أن الملائكة بنات الله، وأما الملائكة فإنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ولا يجوز في وصفه، ويتعجبون من جرأة المشركين على خالقهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فيدعون للكافرين بالتوبة والهداية، وللمؤمنين بأن يتجاوز ربهم عما قرط منهم من سيئات.

يقول د. محمد محيسن: «لفظاعة قول المشركين: إنّ لله ولداً، واتخاذهم آلهة يعبدونها من دونه تعالى مع قيام الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أنه هو الله الواحد القهار الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، لفظاعة ذلك القول، وشدة هوله تكاد السموات يتشققن من فوق بعضهن»<sup>(٤٢١)</sup>، «وهؤلاء الملائكة الذين هم خلقٌ من خلقه يسبحون حامدين ربهم شاكرين له نعمه التي لا تحصى، ويستغفرون لمن في الأرض إما للكافرين فيدعون لهم بالتوفيق والهداية، وإما للمؤمنين فيدعون لهم بأن يتجاوز ربهم عما قرط منهم من سيئات»<sup>(٤٢٢)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إنّ قراءة (تكاد) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل

(٤١٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٥٣.

(٤٢٠) لسان العرب ج ٥ ص ٥٥.

(٤٢١) المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٥١.

(٤٢٢) التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ١٠.

(السموات) مؤنث غير حقيقي فيكون التذكير لأن التأنيث غير حقيقي، والتأنيث حملاً على لفظه<sup>(٤٢٣)</sup>.

ولكن يجوز عند العرب تذكير فعل المؤنث للقلة والتأنيث للكثرة، قال ابن زنجلة: «قرأ نافع، والكسائي: (يَكَاذُ السَّمَوَاتُ) بالياء، لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله: ﴿فَإِذَا أُنْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، ولم يقل: انسَلخت، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠] ولم يقل: وقالت»<sup>(٤٢٤)</sup>.

تعرضت الباحثة أمال حماد لهذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ [مريم: ٩٠] فقالت: «قراءة (يَكَاذُ السَّمَوَاتُ) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها، وهم لا يدرون عظمها.

أما قراءة ﴿نَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ فهي إشارة إلى عظم هذه السموات مقابل عظم قول المشركين على الله جل جلاله»<sup>(٤٢٥)</sup>.

وقراءة (يَنْفَطَرْنَ) بالنون والتخفيف أفادت أن السموات تقارب أن تنشق غيظاً من فظاعة وهول قول المشركين، بادعاء الشريك والولد له ﷻ.

وأما قراءة ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ فقد أضافت معنى المبالغة والتكثير والتكرير في الإنشقاق مرة بعد مرة استعظاماً لقول المشركين إِنَّ اللَّهَ وَلَدٌ، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بالتاء مشدداً أنه جعله مضارع: فَطَرَ، وَفَطَّرَ من التكثير، والتكثير أليق بهذا المعنى، لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوا: إِنَّ اللَّهَ وَلَدٌ»<sup>(٤٢٦)</sup> وقال ابن زنجلة: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ بالتاء، أي: يتشققن،

(٤٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٩٣ و ٢٥٠.

(٤٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٠.

(٤٢٥) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء - الكهف - مريم) رسالة ماجستير للباحثة أمال حماد ص ٣١٣.

(٤٢٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٩٠.

والأمر في التاء والنون يرجع إلى معنى واحد، إلا أن التاء للتكثير، وذلك أن (يَنْفَطِرْنَ) من (فَطِرْتُ، فانفطرت) مثل (كُسِرَتْ، فانكسرت) و﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ من قولك (فَطِرْتُ فتفطرت) مثل (كُسِرَتْ فتكسرت) فهذا لا يكون إلا للتكثير»<sup>(٤٢٧)</sup>.

وقال البقاعي: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ أي: يتشققن وينفطر أجزاءهن مطلق انفطارٍ في قراءة من قرأ بالنون، وخفف، وتنفطراً شديداً في قراءة الباقيين بالتاء المشاة من فوق مفتوحة، وتشديد الطاء»<sup>(٤٢٨)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً ترسمان صورةً دقيقةً للأثر المترتب على هذه الكلمات الشنيعة، التي يحسبها هؤلاء الجاهلون هيئةً قليلةً وهي عند الله عظيمة، فمن هولها وفظاعتها وشناعة كفرها، تتحرك هذه المخلوقات بدءاً بالسموات على عظم خلقهن ووثاقة إبداعهن، تغيطاً واستنكاراً تقارب على التصدع والتشقق الشديد المتكرر، خضوعاً وخشيةً من سلطان الله تعالى وتعظيماً له وطاعةً<sup>(٤٢٩)</sup>. وأمّا الملائكة فإنهم يقبلون على التسبيح لله تعالى فينزهونه عما لا يليق به، ويقدسونه بإثبات الكمال له وحده ملتبسين بحمده ﷻ، «لأنَّ تسبيح الملائكة وتنزيههم له تعالى لمزيد عظمته تبارك وتعالى وعظيم جلاله جل وعلا، والاستغفار لغيرهم للخوف عليهم من سطوة جبروته ﷻ»<sup>(٤٣٠)</sup>.

٣ - قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّرَدَّ لَّهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

(٤٢٧) حجة القراءات ص ٦٤٠.

(٤٢٨) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٩٨.

(٤٢٩) انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ٢٦.

(٤٣٠) روح المعاني ج ٢٥ ص ١٢.

## القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان الباء، وضم الشين مخففة.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿يُبْشِرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء، وكسر الشين مشددة (٤٣١).

## المعنى اللغوي للقراءات:

جاء في لسان العرب: البشارة: ما يعطاه المُبَشِّرُ بالأمر، والبشير: المُبَشِّرُ الذي يُبَشِّرُ القومَ بأمرٍ خيرٍ أو شرٍّ، وُبُشْرًا جمع بُشُورٍ، وُبُشْرًا مخففٌ منه وقوله ﴿يُبْشِرُكَ﴾، وقرئ: يَبْشُرُكَ، قال الفراء: كأنَّ المشدّد منه على بشارات البُشْرَاءِ، وكأنَّ المخفف من وجه الإفراج والسُرُورِ، وقال الزجاج: معنى يَبْشُرُكَ يَسُرُّكَ ويُفرِّحُكَ، وَبَشَرْتُ الرَّجُلَ أَبْشَرُهُ إذا أفرحته وَبَشَرَ يَبْشُرُ إذا فرح قال: ومعنى يَبْشُرُكَ، وَيُبْشِرُكَ من البشارة، قال: وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور (٤٣٢).

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: «وبشرته: أخبرته بشار بسط بشرة وجهه، وذلك أنَّ النفس إذا سُرَّتْ انتشر الدم... وأبشرت الرجل بشرته على التكثير» (٤٣٣).

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن فضل كبير وإنعام كريم، أعدهما الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين، يبشرهم بهما ليتعجلوا السرور، ويزدادوا شوقاً إلى لقائه، وليحفزهم ذلك على الجد والإخلاص في العمل، لأنَّ الله تعالى لا

(٤٣١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٥٢.

(٤٣٢) انظر لسان العرب ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٤٣٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٢٥.

يتقبل إلا من المؤمنين المخلصين، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أنني أعددت له للذين آمنوا، وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشري التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بطاعته فيها»<sup>(٤٣٤)</sup>.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَتْلُو عَلَيْكُمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى أي: قل لهم يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً من مال أو غيره، إلا أن تحفظوا حق قرابتي ولا تؤذوني حتى أبلغ رسالة ربي، قال ابن كثير: «أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة»<sup>(٤٣٥)</sup>. وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَمْ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: ومن يكتسب حسنة واحدة، ويفعل طاعة من الطاعات يضاف له ثوابها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: كثير المغفرة للمذنبين، كثير الشكر للمطيعين، فلا يضيع عنده عمل العاملين<sup>(٤٣٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُبَشِّرُ) بالتخفيف على رأي بعض العلماء، أن الله تعالى يبشر المؤمنين الذين آمنوا به وعملوا الصالحات في الدنيا مطلق بشاره لجميع المتقين بما أعد الله للمؤمنين في الآخرة من روضات الجنات، والنعيم المقيم، قال البقاعي: ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ أي: مطلق بشاره عند من خفف، وبشارة كثيرة عند من ثقل<sup>(٤٣٧)</sup>.

وبعض العلماء قال: يَبَشِّرُ بالتخفيف أي: يَبَشِّرُ الله وجوهمهم، بمعنى:

(٤٣٤) جامع البيان ١١ م ج ٢٥ ص ١٥.

(٤٣٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١١٤.

(٤٣٦) انظر المصدر السابق ج ٤ ص ١١٤.

(٤٣٧) نظم الدرر ج ٦ ص ٦٦٣.

ينور الله وجوههم، أو ينضر الله وجوههم، فترى النضرة فيها<sup>(٤٣٨)</sup>. وجاء في تفسير ابن عطية: «وقال الجحدري<sup>(٤٣٩)</sup> في تفسيرها ترى النضرة في الوجوه»<sup>(٤٤٠)</sup>.

ويؤيد هذا الرأي قول الفراء: «كأن المشدد منه على بشارات البُشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور»<sup>(٤٤١)</sup>.

وعلى هذا يكون المعنى: الله تعالى يخبر المؤمنين بما أعد لهم من الكرامة في الآخرة، ليسعدوا في الدنيا وينضر وجوههم حتى ترى النضرة فيها، وهذا من قبيل ثواب الدنيا الذي يجعله الله لهم.

وأما قراءة ﴿يُبَشِّرُ﴾ بالتشديد فقد أفادت معنى التكثير والاستمرار في البشري للمؤمنين على الاتساع والتجدد كلما عملوا صالحاً، فيبشره مطلق بشارة في البداية ثم يبشره بعد ذلك على الاتساع<sup>(٤٤٢)</sup>، وتزداد البشري له كلما زاد في طاعته لله تعالى وعمل صالحاً.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أنَّ الله تعالى يُبَشِّرُ هؤلاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأكثروا من الطاعات مطلق بشارة لجميعهم ليدخل الفرح والسرور إلى نفوسهم، فتنضر وجوههم وتنسبط سريرتهم وينور الله وجوههم، وبشري أخرى متجددة، بشري بعد بشري كلما عمل هذا الإنسان صالحاً وزاد في طاعته لله، زاد الله له في فضله وكرامته ونعيمه في الآخرة،

(٤٣٨) انظر حجة القراءات ص ٦٤١.

(٤٣٩) هو: عاصم بن العجاج الجحدري، أبو المحتسر، من بني قيس بن ثعلبة، وهو من عبّاد أهل البصرة وقرائهم، توفي سنة ١٢٩هـ، (انظر مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٩٤، الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٢٣٥).

(٤٤٠) المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٣.

(٤٤١) لسان العرب ج ١ ص ٢٨٧.

(٤٤٢) انظر اللباب ج ١٧ ص ١٨٧.

وذلك ليتعجلوا السرور، ويزدادوا حافزاً في طاعته ومرضاته، وشوقاً إلى لقائه، والله تعالى أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

### القراءات:

- ١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالخطاب.
- ٢ - قرأ الباقر (يَفْعَلُونَ) بالغيب<sup>(٤٤٣)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«الفاعل: كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد، فَعَلَ، يَفْعَلُ، فَعْلًا، وفِعْلًا، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح»<sup>(٤٤٤)</sup>، وجاء في المفردات «الفاعل: التأثير من جهة مؤثر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصِد أو غير قصِد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجَمادات والعمل مثله»<sup>(٤٤٥)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن سعة رحمة الله تعالى بعباده، وعظيم فضله وكرمه، وامتنانه عليهم بقبول التوبة من عباده إذا ما تابوا إليه وأنابوا، وشعروا بالندم على ما فعلوا، ويعفو عن الذنوب صغيرها وكبيرها لمن يشاء، قال الشوكاني: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي، واقتربوا من السيئات، والتوبة الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة لها، وقيل:

(٤٤٣) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٧، تحبير التيسير ص ٢٠٢.

(٤٤٤) لسان العرب ج ١١ ص ٥٢٨.

(٤٤٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤٠.



التوبة عن أوليائه، وأهل طاعته، والأول أولى، فإن التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم، وكافرهم إذا كانت صحيحة، صادرة عن خلوص نية، وعزيمة صحيحة، ﴿وَيَقُولُوا عَنِ النَّبِيِّاتِ﴾ على العموم لمن تاب عن سيئة، ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعْلُونَ﴾ من خيرٍ وشرٍ فيجازي كلاً بما يستحقه» (٤٤٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء اعتبر أن العلاقة بين القراءتين علاقةً بلاغيةً باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وعلى هذا يكون المقصود بالخطاب في كلتا القراءتين هم المشركون وفي الآية توعّد وتهديد لهم، وقراءة ﴿نَفَعْلُونَ﴾ بناء الخطاب أبلغ في التهديد والتخويف من قراءة الغيب لأن التهديد يكون موجهاً توجيهاً مباشراً لهم، قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور (ما يفعلون) بياء الغيبة أي: ما يفعل عباده، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف بناء الخطاب على طريقة الالتفات» (٤٤٧).

وقال صاحب زاد المسير: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقر، بالياء على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم» (٤٤٨).

وقال البقاعي: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب بالخطاب لافتاً للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ في التخويف، وقرأ الباقر بالغيب نسقاً على العباد وهو أعلم وأوضح في المراد ففعوه مع العلم عن سعة الحلم» (٤٤٩).

وبعض العلماء اعتبر أن كل قراءة تفيد معنى: فقراءة (يفعلون) بالياء تفيد الإخبار عن المشركين بأن الله يعلم ما يفعل هؤلاء العباد من المشركين.

(٤٤٦) فتح القدير ج ٤ ص ٧٥٠.

(٤٤٧) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥، انظر روح المعاني ج ٢٥ ص ٣٦.

(٤٤٨) زاد المسير ص ١٢٦٨.

(٤٤٩) نظم الدرر ج ٦ ص ٦٢٨.

وأما قراءة ﴿تَفْعَلُونَ﴾ فتفيد أنَّ الخطاب هنا لجميع العباد من مشركين وغيرهم قال أبو الحسن الفارسي: «حجة التاء: قبله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، ﴿وَعَلَّمْ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: ما يفعل عباده، وحجة التاء: أنَّ التاء تعمُّ المخاطبين والغيب، فتفعلون تقع على الجميع فهو في العموم مثل عباده» (٤٥٠).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الخطاب يعم الجميع من مؤمن وعاصٍ وكافر، ففي حق الكفار والعصاة تهديدٌ ووعدٌ لهم إن لم يتوبوا إلى ربهم، وربما كان الإخبار بالغيب للدلالة على أنهم غير حريين بالخطاب مباشرة، تحقيراً لهم، وأما في حق المؤمنين تحذيرٌ لهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمره، وحثٌ لهم على فعل الطاعات واجتناب أعمال العصاة والمشركين.

٥ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (يُنْزِلُ) بالتخفيف.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد (٤٥١).

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر (٤٥٢).

٦ - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

(٤٥٠) الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٦٢.

(٤٥١) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥١.

(٤٥٢) انظر ص ٥٧ من هذا البحث.

## القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب وخلف (يُنْزِل) بالتخفيف.

٢ - قرأ الباقر ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد (٤٥٣).

## المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر (٤٥٤).

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم بإنزال المطر النافع عليهم في وقت حاجتهم وفقدهم إليه بعدما يشسوا من نزوله، وفي الآية تعدادٌ لنعم الله تعالى وتذكير بها، ليستدعي ذلك شكر الله تعالى وحمده على جميع أفعاله، قال الطبرسي: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ أي: ينزله عليهم من بعد ما يشسوا من نزوله، والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون نافعاً، وقد يكون ضاراً في وقته وغير وقته، ووجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتي به، وتعظيمه، والمعرفة بموقع إحسانه، ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ أي: ويفرق نعمته ويبسطها بإخراج النبات، والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى تدبير عباده وتقدير أمورهم، ومصالحتهم المالك لهم ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحساناً ومنافعاً (٤٥٥).

(٤٥٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢.

(٤٥٤) انظر ص ٥٧ من هذا البحث.

(٤٥٥) مجمع البيان ٥ ج ٢٤ ص ٥٤.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بعدما يئسوا من نزوله رحمةً بالناس، والفعل (ينزل) من الإنزال يفيد وقوع الحدث مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة<sup>(٤٥٦)</sup>.

أما قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطرٍ بشكل دائم ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير، ويحتمل أنَّ قراءة التشديد تفيد أهمية الغيث الذي ينزل في ذلك الوقت لحاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، فقراءة التشديد تستعمل أحياناً فيما هو أهم وأبلغ<sup>(٤٥٧)</sup>.

## الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ بالتشديد مبيِّنة لقراءة (يُنْزِلُ) بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الغيث على الناس في وقت حاجتهم له رحمةً بهم ولينتفعوا به، أما قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتكرارها على الدوام، تذكيراً بكمال النعمة عليهم ليستدعي ذلك زيادة شكر المنعم وحمده.

٧ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [الشورى: ٣٠].

## القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء.

٢ - قرأ الباقر ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ بالفاء<sup>(٤٥٨)</sup>.

(٤٥٦) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٠.

(٤٥٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦١.

(٤٥٨) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٣، تحبير التيسير ص ٢٠٢.

## المعنى اللغوي للقراءات:

«الكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرة، والكسب يقال: فيما أخذه لنفسه ولغيره»<sup>(٤٥٩)</sup>.

وجاء في لسان العرب: الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع يقال: كسب يكسب كسباً، وتكسّب واكتسّب، وقيل: كَسَبَ: أَصَاب، واكتسب: تصرف واجتهد<sup>(٤٦٠)</sup>.

## التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينبّه الله تعالى الناس إلى أن ما أصابهم من مصائب في النفس أو الأهل أو المال، وما أصابهم من بؤس إلا بسبب معاصيهم التي اكتسبوها وأصابوها بأيديهم، على الرغم من أن الله تعالى برحمته يتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يعاقبهم عليها.

يقول د. محمد حجازي: «وما أصابكم أيها الناس في الدنيا من مصيبة فيما كسبته أيديكم، واقترفته جوارحكم حتى بعض الأمراض، والآفات الزراعية، ويظهر والله أعلم أن الذنوب نوعان، نوع يعذب الله صاحبه في الدنيا لأنه حين يسيط فيصيبه بسببه مرض أو ألم، ونوع عذابه شديد فهو في الآخرة فقط، وإذا أحب الله عبداً عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا كرهه لسوء عمله تركه يقترب من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر لحساب عسير وعذاب شديد، وقد ينال الإنسان منا بعض الألم تكفيراً له عن ذنوب أو زيادة له في الثواب، والله يعفو عن كثير من الذنوب عفواً مع القدرة الكاملة»<sup>(٤٦١)</sup> فلا يعاقبهم عليها.

(٤٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧١٠.

(٤٦٠) انظر لسان العرب ج ١ ص ٧١٦.

(٤٦١) التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٢٤.

وقال القرطبي: «وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» أي يعفو عن كثير من المعاصي ألا يكون عليها حدود، وهو مقتضى قول الحسن، وقيل: أي يعفو عن كثير من العصاة فلا يعجل عليهم بالعقوبة» (٤٦٢).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (بما كسبت) الإخبار من الله تعالى عن سبب المصائب التي تقع على الناس على سبيل الجواز والعموم بدون تعيين التسبب، و(ما) في (ما أصابكم) بمعنى: الذي، وهي مبتدأ وخبره (بما كسبت أيديكم) ولا تتضمن معنى الشرط، فالمعنى: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم<sup>(٤٦٣)</sup>، لأن ما الشرطية تدل على التسبب، أما الموصولية فتدل على الإيماء إلى جملة الخبر على الجواز، فقد يراد به واحد بعينه أو غيره بالقرينة<sup>(٤٦٤)</sup>.

قال أبو علي الحسن الفارسي: «إذا أثبت الفاء فدليل على أنَّ الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْأَثَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فثبت الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق... فإذا لم يذكر الفاء جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره»<sup>(٤٦٥)</sup>.

وأما قراءة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ أخبرت عن سبب المصائب التي أصابتهم على وجه التعيين، لما جاء في الحجة للقراء السبعة وغيره من الكتب، فتكون ما شرطية أو متضمنة معنى الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط (بما كسبت أيديكم) ويكون وقوع فعل الشرط ماضياً للدلالة على التحقق<sup>(٤٦٦)</sup>، «والمعنى:

(٤٦٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٥٢.

(٤٦٣) انظر حجة القراءات ص ٤٦٢.

(٤٦٤) انظر التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٥ ص ٩٩.

(٤٦٥) الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٦٣.

(٤٦٦) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٩٩.

ما تصبكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم»<sup>(٤٦٧)</sup> قال الثعالبي: «معنى الكلام مع ثبوتها - أي ثبوت الفاء (فبما) - التلازم، أي: لولا كسبكم ما أصابتكم مصيبة، والمصيبة: إنما هي بكسب الأيدي، ومعنى الكلام مع حذفها، يجوز أن يكون التلازم، ويجوز أن يعرى منه»<sup>(٤٦٨)</sup>.

وقال البقاعي: «وإثبات الفاء في قراءة الباقيين زيادة في إيضاح السببية، فقرأوا (فبما) لتضمن المبتدأ الشرط أي: فهو بالذي»<sup>(٤٦٩)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

بين القراءتين اتحاد في المعنى مع وضوح السبب وتعيينه في القراءة الثانية (فبما) عن القراءة الأولى (بما)، فالقراءة الثانية مبيّنة ومخصصة للقراءة الأولى، بتعيين سبب المصائب وهي أعمالهم التي ارتكبوها وفي ذلك قال ابن عاشور: «قراءة الجمهور (فبما) - معيّن معنى عموم التسبب لأفعالهم فيما يصيبهم من المصائب لأنّ (ما) في هذه القراءة إما شرطية، والشرط دال على التسبب، وإما موصولة مشبهة بالشرطية، فالموصولية تفيد الإيماء إلى علة الخبر، وتشبيهها بالشرطية يفيد التسبب، وقراءة نافع وابن عامر - (بما) - لا تعيّن التسبب بل تجوزه، لأن الموصول قد يراد به واحد معيّن بالوصف بالصلة، فتحمل على العموم بالقرينة، وبتأييد القراءة الأخرى، لأن الأصل في القراءات الصحيحة اتحاد المعاني، وكلتا القراءتين سواء في احتمال أن يكون المقصود بالخطاب فريقاً معيناً، وأن يكون المقصود به جميع الناس، وكذلك في أن يكون المراد مصائب معينة حصلت في الماضي، وأن يراد جميع المصائب التي حصلت والتي تحصل، ومعنى الآية على كلا التقديرين يفيد: أنّ مما يصيب الناس من مصائب الدنيا ما هو إلا جزاء لهم على أعمالهم التي لا يرضاها الله تعالى كمثل المصيبة، أو المصائب التي أصابت

(٤٦٧) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٥٦.

(٤٦٨) تفسير الثعالبي ج ٣ ص ١٣٢.

(٤٦٩) نظم الدرر ج ٦ ص ٦٣١.

المشركين لأجل تكذيبهم، وأذاهم للرسول» (٤٧٠).

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن ما أصاب الناس من مصيبة فمنه ما هو بسبب معاصيهم وأعمالهم فيجازون عليها في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وهذا في حق المشركين والعصاة من المسلمين، ومنه ما هو بسبب آخر غير ذلك لخير أراد الله تعالى لهذا المصاب، ولأجل تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، وهذا في حق المؤمنين، قال البيضاوي: «والآية مخصوصة بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم فلاسباب آخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه» (٤٧١).

فالقراءة الثانية تخص المجرمين فقط، وأما القراءة الأولى فالآية تعم جميع الناس مؤمنين وكافرين، والله تعالى أعلم.

قال ابن عاشور: «إن كانت (ما) موصولة كانت دلالتها محتملة للعموم وللخصوص، لأن الموصول يكون للعهد ويكون للجنس، وأياً ما كان فهو دال على أن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا ما سلطه الله عليهم جزاءً على سوء أعمالهم، وإذا كان ذلك ثابتاً بالنسبة لأناس معينين كان فيه نذارة وتحذيرٌ لغيرهم ممن يفعل من جنس أفعالهم أن تحل بهم مصائب في الدنيا جزاءً على أعمالهم زيادةً في التنكيل بهم إلا أن هذا الجزاء لا يطرد، فقد يجازي الله قوماً على أعمالهم جزاءً في الدنيا مع جزاء الآخرة، وقد يترك قوماً إلى جزاء الآخرة، فجزاء الآخرة في الخير والشر هو المطرد الموعود به، والجزاء في الدنيا قد يحصل وقد لا يحصل» (٤٧٢).

٨ - قال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٣) إِنَّ يَسْأَ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٤﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٣].

(٤٧٠) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٩٩.

(٤٧١) تفسير البيضاوي ج ٥ ص ١٣١.

(٤٧٢) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٠٠.



## القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر (الرَّيَّاح) على الجمع.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرَّيْح﴾ على الإفراد<sup>(٤٧٣)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّيْح: الهواء إذا تحرك، وتطلق على الرحمة، والقوة، يقال ذهب ريحه، وتطلق على النصر والغلبة<sup>(٤٧٤)</sup>.

قال الأصمغاني: «عامّة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة»<sup>(٤٧٥)</sup>. وهذا فيه نظر، لأن ما ذُكِرَ هو على وجه الغالب في القرآن وليس مطّرداً.

## التفسير:

تتحدث الآيتان الكريمتان عن دليل آخر من دلائل قدرة الله تعالى، ووحدانيته وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتواري ولا تنقطع، يقول ابن كثير: «ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة، وسلطانه، تسخير البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام أي: الجبال، ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أي: التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكّنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راکدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره أي: على وجه الماء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: في الشدائد ﴿شَكُورٍ﴾ أي: إنّ في تسخير البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه، لكل

(٤٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥١.

(٤٧٤) انظر المعجم الوسيط ص ٤٠٥.

(٤٧٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٠.

صبارٍ أي: في الشدائد، شكورٍ في الرخاء» (٤٧٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنه لا فرق من حيث المعنى بين القراءتين، «فمن وُحِدَ الريح فلائِه اسمٌ للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح» (٤٧٧).

إلا أن بعض العلماء اعتبر أن الريح إذا جاءت في القرآن مفردة فإنه يراد بها ريح العذاب خاصة، وإذا جاء بالجمع تأتي في الرحمة مستدلين على ذلك بقول النبي ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (٤٧٨)(٤٧٩). إلا أن ما ذكره بعض العلماء من استعمال الرياح في الخير، والريح في الشر فهو على الغالب في القرآن، قال ابن عاشور: «وفي قراءة الجمهور ما يدل على أن الرِّيح قد تطلق بصيغة الأفراد على الرِّيح الخير، وما قيل إنَّ الرِّيح للخير، والرِّيح للعذاب في القرآن هو غالب لا مطَّرد، وقد قرئ في آيات أخرى الرِّيح، والرِّيح في سياق الخير دون العذاب» (٤٨٠).

وجاء في حاشية الكشف: «وهم يقولون إنَّ الرِّيح لم ترد في القرآن إلا عذاباً بخلاف الرِّيح، وهذه الآية تخرم الإطلاق، فإنَّ الرِّيح المذكورة هنا نعمةً ورحمةً، إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت

(٤٧٦) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١١٩.

(٤٧٧) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٩٥.

(٤٧٨) مسند الإمام الشافعي باب ما هبت ريحٌ قط إلا جثا النبي ج ١ ص ٨١، والمعجم الكبير للطبراني: باب ٣ ج ١١ ص ٤٦٤ ح ١٣١٣، قال عنه الألباني ضعيف جداً، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ٩ ص ٢٨٨ ح ٤٢١٧، وضعيف الجامع الصغير ح ٤٤٦١.

(٤٧٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٢٧١، مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٠.

(٤٨٠) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٠٦.

لركدت السفن، ولا ينكر أنَّ الغالب من ورودها مفردة ما ذكره، وأما اطراده فلا، وما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» فلاجل الغالب في الإطلاق، والله أعلم<sup>(٤٨١)</sup>. وبمثله جاء في حاشية القونوي<sup>(٤٨٢)</sup>.

وعلى هذا يكون المقصود من قراءة الأفراد في هذا الموضع اسماً للجنس كما قاله بعض المفسرين، فلا اختلاف في معنى القراءتين والله أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخْدِلُونَ فِيَّ ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ [الشورى: ٣٥].

### القراءات:

١ - قرأ ابن عامر والمدنيان (وَيَعْلَمُ) بضم الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بفتح الميم<sup>(٤٨٣)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

العلم: نقيض الجهل، وَعَلِمْتُ الشيء أي: عرفته<sup>(٤٨٤)</sup>. وقال الأصفهاني: العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه. والعلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش<sup>(٤٨٥)</sup>.

(٤٨١) الكشف ج ٣ ص ٤٧٢.

(٤٨٢) انظر حاشية القونوي ج ١٧ ص ٢٤٤.

(٤٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٧.

(٤٨٤) انظر لسان العرب م ١٢ ج ٢٥ ص ٤١٧.

(٤٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨٠.

## التفسير:

قال القرطبي: «يعنى الكفار، أي: إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد، علموا أن لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة»<sup>(٤٨٦)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (ويعلم) بالرفع تفيد أن الجملة استئنافية بعد انقطاع ليس لها ارتباط بما قبلها، لأن الشرط والجزاء قد تم قبله<sup>(٤٨٧)</sup>، أو الجملة الفعلية تكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره وهو يعلم الذين<sup>(٤٨٨)</sup>.

«والرفع والاستئناف على أن ذلك تهديد للمشركين بأنهم لا محيص لهم من عذاب الله تعالى،... وحذف متعلق المحيص إبهاماً له تهويلاً للتهديد لتذهب النفس كل مذهب ممكن فيكون قوله (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ) خبراً مراداً به الإنشاء والطلب فهو في قوة: وليعلم الذين يجادلون، أو اعلموا يا من يجادلون وليس خبراً عنهم لأنهم لا يؤمنون بذلك حتى يعلموه»<sup>(٤٨٩)</sup>.

وأما قراءة ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالنصب تفيد أن الجملة معطوفة على تعليل محذوف تقديره، لينتقم منهم ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾<sup>(٤٩٠)</sup>. وقيل: إن الواو واو المعية التي يُنْصَبُ الفعل المضارع بعدها بـ (أن) مضمرة<sup>(٤٩١)</sup>، فيكون المعنى: أن الله تعالى يرسل الرياح عاصفة في البحر فيهلك من في السفينة بما كسبوا من الذنوب أو يعفو عن كثير من أهلها فينجيهم من الغرق، ليعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص.

(٤٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٥٧.

(٤٨٧) انظر حجة القراءات ص ٦٤٣.

(٤٨٨) انظر الكشف ج ٢ ص ٢٥١، الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٢٦٤.

(٤٨٩) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٠٣.

(٤٩٠) انظر الكشف ج ٣ ص ٤٧٢، التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ١٧٧.

(٤٩١) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٠٣.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الآية عامة للجميع على معنى: إن يشأ الله يعصف الرِّيح فيغرق بعضاً من السفن، وينجي بعضاً آخر عفواً منه، ويحذّر آخرين ليعلموا أن لا ملجأ لهم من الله تعالى، والله تعالى يعلم الذين يجادلون في آياته، فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من العذاب والإهلاك فليس لهم منجى من عقابه، وليتعتز غيرهم بذلك.

١٠ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

## القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (كَبِير) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد.

٢ - قرأ الباقر بفتح الباء وألفٍ وهمزة مكسورة بعدها على الجمع<sup>(٤٩٢)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الكبيرة: هي كل ذنب تعظم عقوبته، وجمعها كبائر، قيل: أريد به الشرك، وقيل: هي الشرك وسائر المعاصي الموبقة، كالزنا وقتل النفس المحرمة<sup>(٤٩٣)</sup>، وقال ابن منظور: «هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، العظيم أمرها كالقتل والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك»<sup>(٤٩٤)</sup>.

(٤٩٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص ٢٠٢.

(٤٩٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٩٧.

(٤٩٤) لسان العرب ج ٥ ص ١٢٦.

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن بعض صفات المؤمنين الذين آمنوا بربهم وعليه يتوكلون، فالآية معطوفة على الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، فبعد أن ذكر المولى ﷺ الذين يستحقون ثوابه، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، بيّن في هذه الآية الكريمة صفات هؤلاء المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ قال السمرقندي: «وهذا نعت المؤمنين أيضاً، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش... والكبيرة: ما أوجب الله تعالى الحدّ عليها في الدنيا أو العذاب في الآخرة، ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يعني: إذا غضبوا على أحد يتجاوزون، ويكظمون غيظهم»<sup>(٤٩٥)</sup>. وقال الشوكاني: «المراد بكبائر الإثم: الكبائر من الذنوب... والفواحش من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها، وذلك كالقتل، والزنا، ونحو ذلك وقال مقاتل: الفواحش موجبات الحدود، وقال السدي: هي الزنا»<sup>(٤٩٦)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين بمعنى واحد على اعتبار أن من أفرد فقد أراد الجمع لأنه اسم جنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاّنه أراد العموم، وهي موافقة لرسم المصحف.

قال السمين الحلبي: «قرأ الأخوان هنا وفي النجم (كبير الإثم) بالافراد، والباقون (كبائر) بالجمع في السورتين، والمفرد هنا في معنى الجمع، والرسم يحتمل القراءتين»<sup>(٤٩٧)</sup> وقال ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كبائر) بصيغة الجمع، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (كبير) بالافراد،

(٤٩٥) بحر العلوم ج ٣ ص ١٩٨.

(٤٩٦) فتح القدير ج ٤ ص ٧٥٧.

(٤٩٧) الدر المصون ج ٩ ص ٥٦١.

فكباثر الإثم: الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهياً جازماً، وتوعد فاعلها بعقاب الآخرة مثل القذف، والاعتداء، والبغي، وعلى قراءة (كبير الإثم) مراد به معنى كباثر الإثم لأن المفرد لما أضيف إلى معرّف بلام الجنس من إضافة الصفة إلى الموصوف كان له حكم ما أضيف هو إليه»<sup>(٤٩٨)</sup>.

واعتبر بعض العلماء أنّ المقصود بـ (كبير) على التوحيد: الشرك بالله على قول ابن عباس: كبير الإثم، هو الشرك<sup>(٤٩٩)</sup>، وقال ابن خالويه: ﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع، فالحجة لمن وحد أنه أراد: به الشرك بالله فقط، لأن الله تعالى أوجب على نفسه غفران ما سواه من الذنوب، ولذلك سمّاه ظُلماً عظيماً، والحجة لمن جمع: أنه أراد بذلك: الشرك، والقتل، والزنا، والقذف، وشرب الخمر، والفراؤ من الزحف، وعقوق الوالدين، فذلك سَبْعٌ<sup>(٥٠٠)</sup>.

وقال الفراء: «وَفُسِّرَ عن ابن عباس: أنّ كبير الإثم هو الشرك، فهذا موافق لمن قرأ (كبير الإثم) بالتوحيد وقرأ العوام ﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ فيجعلون كباثر كأنه شيء عام، وهو في الأصل واحد، وكأني أستحب لمن قرأ: كباثر أن يخفض الفواحش، لتكون الكباثر مضافةً إلى مجموع إذ كانت جمعاً»<sup>(٥٠١)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

يمكن الجمع بين القراءتين والمعاني بالتوفيق بينهما، وذلك أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا والذين يجتنبون الشرك بالله تعالى والفواحش

(٤٩٨) التحرير والتنوير ١٢ ج ٢٥ ص ١١٠.

(٤٩٩) انظر تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٧٠، الكشف ج ٣ ص ٤٧٢، جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٢٣.

(٥٠٠) الحجة في القراءات السبع ص ٣١٩.

(٥٠١) معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٥.

الأخرى من زنى وسرقه وقتل وغير ذلك من الكبائر، فقراءة التوحيد أشارت إلى الشرك بالله تعالى وأما قراءة الجمع فأشارت إلى الكبائر الأخرى إضافة إلى كبيرة الشرك التي هي أكبر هذه الكبائر.

١١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١].

### القراءات:

- ١ - قرأ نافع (أو يُرْسِلُ - فَيُوحِي) بضم اللام، وإسكان الياء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿أَوْ يُرْسِلَ - فَيُوحِي﴾ بفتح اللام والياء (٥٠٢).

### المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة، يقال إبِلَ مراسيل، أي: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه: الرسول المنبعث، والرسول يقال: تارة القول المتحَمَّل، وتارة لِمُتَحَمَّلِ القول والرَّسالة (٥٠٣).

وجاء في لسان العرب: الإرسال التوجيه، والاسم: الرِّسالة، والرَّسالة، والرَّسول، والرَّسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم، وسَمِيَ الرَّسول رسولاً لأنه ذو رسول، أي: ذو رسالة، ويقال أرسلت فلاناً في رسالة فهو مُرْسَلٌ ورسول (٥٠٤).

### التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله

(٥٠٢) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٢، النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص ٢٠٢.

(٥٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٥٣.

(٥٠٤) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.



ﷺ، والطرق التي يكلم الله تعالى بها أنبياءه ورسله<sup>(٥٠٥)</sup>. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحي الله إليه كيف شاء أو إلهاماً وإما غيره، أو من وراء حجاب، يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ، أو يرسل رسولاً، يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبرائيل وإما غيره، فيوحي بإذنه ما يشاء، يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمرٍ ونهيٍ وغير ذلك من الرُسالة والوحي»<sup>(٥٠٦)</sup>.

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه، فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ: «إنَّ موسى لم ينظر إليه»، فنزلت الآية<sup>(٥٠٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيَّةٌ مع اتفاقٍ بينهما في المعنى، قال ابن خالويه: «(أو يرسل رسولاً فيوحي) يقرآن بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنه استأنف بـ (أو) فخرج من النصب إلى الرفع، والحجة لمن نصب أنه عطفه على معنى قوله: (إلا وحياً)، لأنه بمعنى أن يوحي إليه أو يرسل رسولاً فيوحي، فيعطف بعضاً على بعضٍ بـ (أو) وبـ (الفاء)»<sup>(٥٠٨)</sup>.

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من رفع وأسكن الياء أنه استأنفه وقطعه مما قبله، أو رفعه على إضمار مبتدأ تقديره: أو هو يرسل رسولاً، ويجوز رفع (يرسل) على الحال، على أن يجعل (إلا وحياً) حالاً، ويعطف

(٥٠٥) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٢٣.

(٥٠٦) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٢٨.

(٥٠٧) انظر أسباب النزول ص ٢٨١، بحث عنه في كتب الحديث ولم أقف عليه.

(٥٠٨) الحجة في القراءات السبع ص ٣١٩.

عليه (أو يرسل) ويعطف عليه (فيوحي).

وحجة من نصب أنه حملة على معنى المصدر، لأن قوله (إلا وحيًا) معناه: إلا أن يوحي، فيعطف (أو يرسل) على (أن يوحي) فنصبه، تقديره: إلا أن يوحي أو يرسل رسولاً فيوحي، ولا يحسن عطفه على (أن يكلمه) لأنه يلزم منه تغير المعنى، لأنه يصير المعنى إلى نفي الرسل، أو إلى نفي المرسل إليهم الرسل، لأنه يصير التقدير: وما كان لبشر أن يرسل رسولاً، أي: أن يرسله الله رسولاً، فلا بد من حملة، إذا نصبه، على معنى وحي<sup>(٥٠٩)</sup>.

وقال أبو حيان: «قرأ الجمهور: بنصب الفعلين عطفاً، أو يرسل على المضمرة الذي يتعلق به من وراء حجاب تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب، وهذا المضمرة معطوف على (وحيًا)، والمعنى: إلا بوحي، أو سماع من وراء حجاب، أو إرسال رسول فيوحي ذلك الرسول إلى النبي الذي أرسل عنه بإذن الله ما يشاء... وقال الزمخشري: ووحياً، وأن يرسل، مصدران واقعان موقع الحال، لأن أن يرسل في معنى: إرسالاً، ومن وراء حجاب ظرف واقف موقع الحال أيضاً، كقوله: (وعلى جنوبهم) والتقدير: وما صح أن يكلم أحداً إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلًا<sup>(٥١٠)</sup>. وقرأ نافع وأهل المدينة، أو يرسل رسولاً فيوحي بالرفع فيهما، فخرج على إضمار هو يرسل، أو على ما يتعلق به من وراء، إذ تقديره: أو يسمع من وراء حجاب، ووحياً مصدر في موضع الحال، عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه، (أو يرسل) والتقدير: إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب<sup>(٥١١)</sup>.

القراءتان كلتاهما تقطعان أن هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرتها الآية

(٥٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٤، انظر الدر المصون للسمين الحلبي ج ٩ ص ٥٦٧.

(٥١٠) انظر الكشف ج ٣ ص ٤٧٥.

(٥١١) البحر المحيط ج ٧ ص ٥٠٤ بتصرف قليل.

(الإيحاء، وإسماع الكلام من وراء حجاب، وإرسال الرسل) هي من أنواع الكلام مع حصر التكليم فيها، وقراءة النصب ربما تزيل توهماً وقع عند البعض مفاده أن الرسالة ليست من أنواع التكليم على تقدير: (أو يرسل) بالرفع استئناف بعد انقطاع، أو خبرٌ لمبتدأٍ تقديره (هو).

قال ابن عطية: «وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الرسالة من أنواع التكليم، وأن الحالف المُرسِل حانثٌ إذا حلف ألاَّ يُكلِّم إنساناً»<sup>(٥١٢)</sup>.

(٥١٢) المحرر الوجيز ج ٥ ص ٤٤، وانظر البحر المحيط ج ٧ ص ٥٠٤.

## المبحث الثاني عرض وتفسير لآيات سورة الزخرف المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلف (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ بفتح الهمزة<sup>(٥١٣)</sup>.

### التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى سنة الله تعالى في التعامل مع خلقه، بإرسال الرسل إليهم وتذكيرهم بالله تعالى رغم إعراض المشركين عن دعوته، وتكذيبهم الرسل، واستكبارهم في الأرض<sup>(٥١٤)</sup>. قال ابن كثير: «اختلف المفسرون في معناها، فقليل: معناها أتحبسون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به. قاله: ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح، ومجاهد

(٥١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص ٢٠٣.

(٥١٤) انظر الجامع لأحكام القرآن م ١١ ج ٢٥ ص ٣١.

والسدّي، واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ  
الَّذِينَ صَفَحْنَا﴾ والله لو أن هذا القرآن رُفِع حين رُدَّته أوائل هذه الأمة  
لهلكوا، ولكنَّ الله تعالى عاد بعائذته، ورحمته فكَرَّره عليهم، ودعاهم إليه  
عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك، وقول قتادة لطيف المعنى جداً،  
وحاصله أن يقول في معناه: أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك  
دعاهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم، وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين  
معرضين عنه بل يأمر به ليهتدي من قَدَّر هدايته، وتقوم الحجة على من  
كتب شقاوته»<sup>(٥١٥)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ بفتح الهمزة على أَنْ (أَنْ) تعليلية وأنَّ أمرَ  
الإسراف والتكذيب قد كان ومضى، وأنه صار طابعاً لهم<sup>(٥١٦)</sup>، والمعنى:  
أفترك تذكيركم إعراضاً عنكم بسبب كونكم مسرفين في التكذيب والعصيان  
بل لا نزال نعيد التذكير رحمةً بكم<sup>(٥١٧)</sup>، والاستفهام الاستنكاري معناه: إنَّا  
لا نفعل ذلك<sup>(٥١٨)</sup>.

وعلى المعنى الذي ذكره ابن عباس وآخرون يكون المعنى: أفنضرب  
عنكم ذكر العذاب، لأنكم أسرفتم وكفرتُم<sup>(٥١٩)</sup>.

قال ابن الجوزي: «المراد بالذكر قولان: أحدهما: أنه ذُكِرَ العذاب،  
فالمعنى: أفنمسك عن عذابكم ونترككم على كفركم؟ وهذا على قول ابن  
عباس، ومجاهد، والسدّي. والثاني: أنه القرآن: فالمعنى: أفنمسك عن  
إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به؟ وهو معنى قول قتادة»<sup>(٥٢٠)</sup>.

(٥١٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٢٥.

(٥١٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٥.

(٥١٧) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٦٤.

(٥١٨) انظر مجمع البيان م ٥ ج ٢٤ ص ٧٠.

(٥١٩) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٠٣.

(٥٢٠) زاد المسير ص ١٢٧٤.

وأما قراءة (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الهمزة فتفيد أَنَّ أمر الإسراف لم يقع بعد على أَنَّ (إِنْ) شرطية، وجواب الشرط ما قبله من جملة الكلام ونظير ذلك قوله: ﴿أَنْ مَذُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢] (٥٢١).

قال ابن خالويه: «الحجة لمن كسر: أنه جعل (إِنْ) حرف شرط، وجعل الفعل بمعنى المستقبل، وحذف الجواب علماً بالمراد» (٥٢٢)، على معنى: «إِنْ تكونوا مسرفين أي: نضرب عنكم العذاب» (٥٢٣).

وقال ابن زنجلة: «ومن كسرهما فعلى معنى الاستقبال، والمعنى: إِنْ تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، المراد - والله أعلم - من الكلام استقبال فعلهم، فأراد ﷻ تعريفهم أَنَّهُمْ غير متروكين من الإنذار والإعذار إليهم» (٥٢٤).

وبعض العلماء اعتبر أَنَّ إسرافهم كان متحققاً أي: واقعاً بالفعل وهذا هو حالهم أي: أَنَّهُمْ متصفون بالإسراف، قال البقاعي: «وعلى قراءة نافع، وحمزة، والكسائي بكسر (إِنْ) على كونها شرطية يكون الكلام مسبوقة في غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى: أُنْزِلَ عَنْكُمْ مَهْمَلِينَ فَتَنْحِي عَنْكُمْ الذِّكْرَ وَالْحَالَ أَنْتُمْ قَوْمٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونُوا مُتَصِفِينَ بِالْإِسْرَافِ، يعني: أَنَّ الْمُسْرِفَ أَهْلٌ لِأَنْ يَوْعَظَ وَيَكْلَمَ بِمَا يَرُدُّهُ عَنِ الْإِسْرَافِ، وَأَنْتُمْ وَإِنْ ادَّعَيْتُمْ أَنْتُمْ مُصْلِحُونَ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَدْفَعُوا عَنْكُمْ إِمَّاكَانَ الْإِسْرَافِ فَكَيْفَ يَدْفَعُ عَنْكُمْ إِنْزَالَ الذِّكْرِ الْوَاعِظِ وَأَنْتُمْ بَحِيثٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونُوا مُسْرِفِينَ فَتَحْتَاجُوا إِلَيْهِ» (٥٢٥).

وقال النسفي: «(إِنْ كُنْتُمْ) مدنيّ وحمزة. وهو من الشرط الذي يصدر

(٥٢١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٥.

(٥٢٢) الحجة في القراءات السبع ص ٣٢١.

(٥٢٣) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦١.

(٥٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٥.

(٥٢٥) نظم الدرر ج ٧ ص ٧.

عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالمٌ بذلك»<sup>(٥٢٦)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر أنَّ الله تعالى: يعاتب هؤلاء المشركين المسرفين في التكذيب والعصيان موبخاً لهم ومحذراً من إمعانهم في الإعراض عنه قائلاً لهم على معنى: لا نترك تذكيركم ونعرض عنكم فلا نعظكم بالقرآن لأجل أنَّكم مسرفون في التكذيب والعصيان، بل لا نزال نذكركم، ونعظكم به إلى أن ترجعوا إلى طريق الحقِّ رحمةً بكم، أو تقوم الحجة على من استمر في إسرافه وتكذيبه، ورفض الهداية، والله تعالى أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠].

### القراءات:

١ - قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم، وسكون الهاء.

٢ - قرأ الباقون (مِهَادًا) بكسر الميم وفتح الهاء، وألفٍ بعدها<sup>(٥٢٧)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْد والمِهَاد: المكان المُمَهَّد المُوَطَّأ، وَمَهَّدْتَ لك كذا: هيأته وسويته<sup>(٥٢٨)</sup>.

(٥٢٦) تفسير السفي ج ٤ ص ١٠٩.

(٥٢٧) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٧١، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤.

(٥٢٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٨٠.

وجاء في لسان العرب: المهاد: الفراش، وقد مَهَّدْتُ الفراش مَهْدًا: بسطته ووطأته، والجمع أمهده ومُهْد. وقيل المهاد أجمع من المَهْد كالأرض جعلها الله مِهَادًا للعباد. وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها<sup>(٥٢٩)</sup>. وجاء في المعجم الوسيط: المِهَاد: الفراش والأرض المنخفضة المستوية، وجمعها أمهده، ومُهْد، والمَهْد: السرير يهيا للصبي ويوطأ لينام فيه والأرض السهلة المستوية وجمعها مُهُود<sup>(٥٣٠)</sup>.

### التفسير:

في سياق إقامة الدليل على وحدانية الله ﷻ، وتفرد به بالربوبية والألوهية، وبعد إقرار المشركين لله بالخلق والإيجاد، تأتي هذه الآية الكريمة لتقيم الدليل على وحدانيته وكمال قدرته، وتذكرهم بعظيم نعمه عليهم التي تقتضي الشكر له، وإفراده بالعبودية والوحدانية قال القرطبي: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبار منه عن نفسه، ولو كان هذا إخباراً عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض، ﴿مَهْدًا﴾ فراشاً وبساطاً...، ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: معاش، وقيل طرقاً، لتسلكوا منها إلى حيث أردتم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فتستدلون بمقدوراته على قدرته، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ في أسفاركم، وقيل: لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم، وقيل: تهتدون إلى معاشكم<sup>(٥٣١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اعتبر أكثر العلماء أنَّ القراءتين بمعنى واحد، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بألفٍ أنه جعله اسماً كالفراش، وهو اسم ما يمهّد، كما قال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾

(٥٢٩) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٤١٠.

(٥٣٠) انظر المعجم الوسيط ص ٩٢٧.

(٥٣١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٧٩ بتصرف يسير.



[نوح: ١٩] ، فالفرش والبساط اسم ما يفرش وما يبسط كذلك المهاد اسم ما يمهّد، ويجوز أن يكون جمع مهّد، فجمع المصدر، جعله اسماً غير مصدر ك (بغل وبغال). وحجة من قرأ بغير ألف أنه جعله مصدراً كالفرش، لكن عمل فيه عامل من غير لفظه، والتقدير: الذي مهّد لكم الأرض مهّداً، فـ (جعل) قام مقام (مهّد) ويجوز أن يكون المعنى: ذات مهّد، أي: ذات فرش، فيكون في المعنى كالمهاد، فالقراءتان على هذا بمعنى»<sup>(٥٣٢)</sup>. وقال د. محمد محيسن: «وهما مصدران بمعنى واحد، يقال مهّدت مهّداً، ومهاداً، والمهد والمهاد اسم لما يمهّد كالفرش اسم لما يفرش»<sup>(٥٣٣)</sup>.

وقال ابن عاشور: «(وقرأ الجمهور) (مهّداً) بكسر الميم وألفٍ بعد الهاء، وهو اسمٌ بمعنى الممهّد مثل الفرش واللباس، ويجوز أن يكون جمع مهّد، وهو اسمٌ لما يمهّد للصبي، أي يوضع عليه ويحمل فيه، فيكون لوزن كعابٍ جمعاً لكعبٍ، ومعنى الجمع على اعتبار كثرة البقاع. وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ مهّداً بفتح الميم وسكون الهاء، أي: كالمهد الذي يمهّد للصبي، وهو اسمٌ بمصدرٍ مهّده، على أن المصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، ثم شاع ذلك فصار اسماً لما يمهّد، ومعنى القراءتين واحد»<sup>(٥٣٤)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

إذا ما قسنا على المعنى اللغوي نجد أن معنى القراءتين متقاربان على معنى أن المهاد: هي الأرض المنخفضة المستوية، ومعنى المهد: الأرض السهلة المستوية.

وعلى ذلك يكون المعنى: إن الله تعالى جعل لكم الأرض ممهودةً

(٥٣٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٩٨.

(٥٣٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٥٦.

(٥٣٤) التحرير والتنوير ٨م ج ١٦ ص ٢٦٣ عند تفسيره للآية (٥٣) من سورة طه.

مسهلة ومستوية غير مرتفعة للسير والجلوس والاضطجاع بحيث لا يكون فيها كثير من التواء.

٣ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر (مَيْتًا) مشددة الياء.
- ٢ - قرأ الباقر ﴿مَيْتًا﴾ بتسكين الياء (٥٣٥).
- ٣ - قرأ ابن ذكوان، وحمزة، والكسائي، وخلف (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء.
- ٤ - قرأ الباقر ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء وفتح الراء (٥٣٦).

### المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - الموت: ضد الحياة وهي من (مات يموت ويمَات) ويقال: مَيِّتٌ ومَيِّتٌ بالتشديد، والتخفيف والمعنى واحد على قول الزجاج (٥٣٧).
  - ٢ - الخروج: نقيض الدخول، والمخرج: موضع الخروج (٥٣٨).
- «خرج خروجاً: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره داراً، أو بلداً أو ثوباً، وسواء كان حاله حالة في نفسه، أو في أسبابه الخارجة» (٥٣٩).

(٥٣٥) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٤، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤.  
 (٥٣٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.  
 (٥٣٧) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٩١.  
 (٥٣٨) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٢٣٩.  
 (٥٣٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٨١.

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن دليل آخر من دلائل وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، ونعمة أخرى من نعم الله تعالى التي امتن بها على الناس رحمة ولطفاً بهم تستوجب شكراً وحمداً خالصين لهذا المنعم، ومعنى قوله سبحانه وتعالى: «أي: إن الله هو الذي جعل الأرض ذلولاً، وأنزل من السماء ماءً بقدرٍ على حسب احتياج الناس، وبقدر منافعهم، فأحيا بهذا الماء الأرض القاحلة المجربة، فأنبئت وأينعت، وأخرجت الحب والزرع، والزهر، والثمر، (كذلك تخرجون) أي: كما بعث الحياة في الأرض المجربة قادرٌ على أن يخرجكم من قبوركم، ويحييكم بعد موتكم»<sup>(٥٤٠)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة لغوية بين القراءتين في (ميتاً) بالتخفيف و(ميتاً) بالتشديد، والمعنى واحدٌ على رأي بعض علماء التفسير واللغة، جاء في لسان العرب: القول في مَيِّت كالقول في مَيِّت، لأنه مخفف منه، وقال الزجاج: المَيِّت المَيِّت بالتشديد، إلا أنه يخفف، يقال: مَيِّت ومَيِّت، والمعنى واحدٌ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث<sup>(٥٤١)</sup>. وقال الرازي: «قال أهل اللغة: المَيِّت مخففاً تخفيف مَيِّت، ومعناها واحدٌ ثقل أو خُفف»<sup>(٥٤٢)</sup>.

وقال السمرقندي: «قرأ نافع (ميتاً) بالتشديد، وقرأ الباقر بالتخفيف، ومعناها واحدٌ»<sup>(٥٤٣)</sup>.

ولكن لا يمنع ذلك أن تضيف قراءة التشديد معنى زائداً على قراءة التخفيف، حيث إن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى في اللغة، وعليه

(٥٤٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٥٧.

(٥٤١) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٩١.

(٥٤٢) التفسير الكبير م ٧ ج ١٣ ص ١٧١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

(٥٤٣) بحر العلوم بتصرف قليل ج ١ ص ٥١١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

فإن قراءة التخفيف تدل على أن هذه الأرض تكون جافة يابسة خالية عن النماء والنبات بالكلية فتكون الأرض ساكنة والسكون موت على قول أهل اللغة.

وأما قراءة التشديد تعطي دلالة على شدة موت الأرض وبياستها بحيث أن من يراها لا يظن مطلقاً أن هذه الأرض يمكن لها أن تحيا مرة أخرى وتنبت بالزروع، ولكن بقدرة الله تعالى ومشيتته تصبح هذه الأرض حية مخضرة بالزروع بعد أن ينزل الله عليها الماء، وفي ذلك دلالة أبلغ على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى مرة أخرى وإخراجهم من قبورهم بأمر من أمره تعالى وأسهل شأن<sup>(٥٤٤)</sup>. بما يدل عليه قراءة المبني للمجهول في (تُخْرَجُونَ).

وأما قراءة (تَخْرُجُونَ) فقد أضاف الفعل إلى المخاطبين أي: هم الفاعلون على معنى أنكم تخرجون بأنفسكم، لأن الله تعالى إذا بعثهم من قبورهم يوم القيامة وأحياهم خرجوا بأمر من الله تعالى دون تلكؤ، مدفوعين بأنفسهم للخروج.

وأما قراءة ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بالمبني للمفعول، فالمخاطبون مفعول بهم قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارة إلى أن خروجهم من الأرض يوم القيامة يكون على غير إرادتهم قسراً وبأيسر أمر وأسهل شأن، وهم كارهون للخروج خوفاً مما ينتظرهم، وعلى هذا يمكن اعتبار قراءة المبني للمفعول ﴿تُخْرَجُونَ﴾ المقصود بها الكفار لبيان حالهم فهم لا يتمنون الخروج ولا يرغبون بملاقاة الله ﷻ خوفاً من عقابه، فيُخْرَجُونَ من قبورهم على الرّغم منهم وعلى غير إرادتهم.

وعلى عكس ذلك قراءة (تَخْرُجُونَ) بالمبني للفاعل فيمكن اعتبارها بياناً لحال المؤمن المطمئن الراغب في لقاء الله تعالى الذي ينتظر أمر الله تعالى له بالخروج ليخرج مندفعاً بذاته من غير تلكؤ.

وعلى كل حال «القراءتان متداخلتان في المعنى لأن الله تعالى إذا

أخرجهم خرجوا، وإذا خرجوا، فبإخراج الله خرجوا، فهم فاعلون مفعولون»<sup>(٥٤٥)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى أي: كما أحيأ الله تعالى هذه الأرض المجدبة الميتة التي لا أمل لكم فيها بالحياة والانتفاع، قادرٌ على أن يبعثكم من قبوركم، ويخرجكم أحياءً بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ سواء كنتم كارهين لذلك أم راغبين، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿أَوْمَن يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

﴾ [الزخرف: ١٨].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿يُنَشِّئُ﴾ بضم الياء، وفتح النون، وتشديد الشين.

٢ - قرأ الباقر (يَنْشَأُ) بفتح الياء، وإسكان النون، وتخفيف الشين<sup>(٥٤٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

النشء، والنشأة: إحداث الشيء وتربيته، يقال: نشأ فلان، والإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته<sup>(٥٤٧)</sup>.

ويُقال: نشأ يَنْشَأُ نَشْأً ونُشْوءاً، ونَشَاءً، أي: ربا وشبَّ، والنشوء

(٥٤٥) حجة القراءات ص ٢٨٠ بتصرف قليل.

(٥٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص ٢٠٣.

(٥٤٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٠٧.

التربية، وعليه قولهم: نَشَأْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ، نَشَأْتُ وَنُشُوءًا، أي: شَبِثْتُ فِيهِمْ<sup>(٥٤٨)</sup>.

### التفسير:

في هذه الآية الكريمة يستنكر المولى ﷺ على هؤلاء المشركين الذين ينسبون إليه ما يكرهونه ولا يحبونه، وتسود وجوههم، ويحزنون إذا ما بشروا به، فينسبون له البنات اللاتي يَتَرَبَّيْنَ فِي الْحُلِيِّ وَالزِينَةِ، بما يتصفن من ضعف البنية والجسم وعدم القدرة على الكفاح، ولا يملكن الحجة في مواجهة الخصم.

قال الشوكاني: «والمعنى: أَوْجَعُوا لَهُ سَبْحَانَهُ مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يُرَبَّى فِي الزِينَةِ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ يَقُومَ بِأُمُورِ نَفْسِهِ، وَإِذَا خُوصِمَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِقَامَةِ حُجَّتِهِ وَدَفْعِ مَا يَجَادِلُ بِهِ خَصْمَهُ لِنَقْصَانِ عَقْلِهِ وَضَعْفِ رَأْيِهِ»<sup>(٥٤٩)</sup>، قال القرطبي: «وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَيْضَافُ إِلَى اللَّهِ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ! أَي: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ»<sup>(٥٥٠)</sup>.

وقال المراغي: «وفي قوله: ﴿يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ إيماء إلى ما فيهنَّ مِنَ الدُّعَا وَالرَّخَاوَةِ وَالْخُلُقِ بِضَعْفِ الْمَقَاوِمَةِ الْجَسْمِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّةِ كَمَا أَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ النُّشُوءَ فِي الزِينَةِ وَنَعُومَةِ الْعَيْشِ مِنَ الْمَعَائِبِ وَالْمَذَامِ لِلرِّجَالِ، وَهُوَ مِنْ مُحَاسِنِ رِبَاتِ الْحِجَالِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوا ذَلِكَ وَيَأْنِفُوا مِنْهُ، وَيَرِيثُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ»<sup>(٥٥١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بمعنى واحد على رأي بعض أهل التفسير أو متقاربتا المعنى

(٥٤٨) انظر لسان العرب ج ١ ص ١٧٠.

(٥٤٩) فتح القدير ج ٤ ص ٧٧٠.

(٥٥٠) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٨٥.

(٥٥١) تفسير المراغي م ٩ ج ٢٥ ص ٧٧.

على رأي الطبري<sup>(٥٥٢)</sup>، فكلتا القراءتين بمعنى التربية من نشأ وأنشأ، ولكن كل قراءة لها دلالتها على المعنى، فقراءة يَنْشَأُ تفيد مطلق التربية على الطريقة التي جرت بها عوائدهم دون إفادة الاختلاف في طبيعة هذه التربية، مع نَسَبِ فِعْلِ النِّشَاءِ لهم، أي هم الذين نشؤوا، لأن الله تعالى أنشأهم، فيكون المعنى: أتجعلون الله ما يَتَرَبَّى في الزينة والحلية.

وأما قراءة ﴿يُنَشَّؤُا﴾ فتفيد اختلاف طبيعة كل نشأة عن الأخرى بما تحتاج إليه من جهد وعناية مستمرة حسب متطلبات هذه النشأة ومن يقوم عليها، والفعل المبني للمجهول يدل على ذلك لما فيه من خصوصية كل نشأة وعدم تقيدها بنشأة معينة، وقراءة التشديد فيها دلالة على زيادة ضعف الإناث مما يتطلب مزيد عناية وجهد في التربية شيئاً فشيئاً بالتدرج حتى تكبر، فقراءة التشديد تفيد مزيد إنكارٍ على هؤلاء الكفار، ومزيد توبيخ لهم على فعلتهم الشنيعة فيما ينسبون إلى الله تعالى ما هو أشدَّ ضعفاً وأقلَّ حيلةً في حين أنهم يرفضونه لأنفسهم.

قال ابن خالويه: «(أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ) يقرأ بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف، وبضم الياء، وفتح النون والتشديد فالحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل من قولهم: نشأ الغلام فهو ناشيء، والحجة لمن شدد: أنه جعل الفعل المفعول به لم يُسَمَّ فاعله، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٢٥) [الواقعة: ٣٥] فَأَنْشَأْتُ وَنَشَأْتُ بمعنى واحد»<sup>(٥٥٣)</sup>.

وقال البقاعي: «واتخذ من (يَنْشَأُ) أي: على ما جرت به عوائدكم على قراءة الجماعة، ومن تنشئونه وتحلونونه بجهدكم على قراءة ضم الباء وتشديد الشين»<sup>(٥٥٤)</sup>.

(٥٥٢) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٣٥.

(٥٥٣) الحجة في القراءات السبع ص ٣٢٠.

(٥٥٤) نظم الدرر ج ٧ ص ١٥.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أن القراءتين متداخلتان في المعنى كقوله تعالى: ﴿يُذْخِلُونَ﴾ و﴿يَدْخُلُونَ﴾ لأنه إذا أنشئ في الحلية نشأ فيها، ومعلوم أنه لا يَنشأ فيها حتى يُنشأ<sup>(٥٥٥)</sup>.

٥ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ أَنْثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَسَوَّلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [الزخرف: ١٩].

## القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب (عند الرَّحْمَنِ) بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.

٢ - قرأ الباقون ﴿عِندَ الرَّحْمَنِ﴾ بالباء وألف بعدها، ورفع الدال، جمع عبد.

٣ - قرأ المدنيان ﴿أَشْهَدُوا﴾ بهمزيين الأولى مفتوحة، والثانية مضمومة مسهلة على أصلها مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألف، أبو جعفر، وقالون بخلاف على أصلهما في الهمزيين من كلمة.

٤ - قرأ الباقون ﴿أَشْهَدُوا﴾ بهمزة واحدة مفتوحة، وفتح الشين<sup>(٥٥٦)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الشهادة: خبر قاطع، تقول: شهد الرجل على كذا، وربما قالوا شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف، وقولهم: اشهد بكذا: أي: احلف، والمشاهدة المعاينة، وشهده شهوداً، أي: حضره فهو شاهد<sup>(٥٥٧)</sup>.

قال الراغب: الشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر، أو

(٥٥٥) انظر حجة القراءات ص ٦٤٧.

(٥٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩.

(٥٥٧) انظر الصحاح ج ٢ ص ٤٩٤.



البصيرة، وهي قولٌ صادرٌ عن علم حصل بمشاهدة بصيرةٍ أو بصيرٍ، وقوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] يعني: مشاهدة البصر<sup>(٥٥٨)</sup>.

### التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً للآية السابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: «لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، فمن قال لهم إن الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إن هذا الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء»<sup>(٥٥٩)</sup>.

قال المراغي: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ أي: سموهم وحكموا لهم بذلك، وفي هذا كفرٌ من وجوه ثلاثة:

١ - إنهم نسبوا إلى الله الولد.

٢ - إنهم أعطوه أحسن النصيبين.

٣ - إنهم استخفوا بالملائكة بجعلهم إناثاً.

وقد ردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي: أحضروا خلق الله لهم، فشاهدوهم بنات حتى يحكموا بأنوثتهم؟ ونحو الآية قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٥٠] وفي هذا تجهيلٌ شديدٌ لهم، ورميٌ بهم بالسفه والحمق<sup>(٥٦٠)</sup>.

(٥٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٠.

(٥٥٩) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٥٩.

(٥٦٠) تفسير المراغي م ٩ ج ٢٥ ص ٧٨.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (عند الرحمن) على الظرفية فيها دلالة على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله ﷻ كما قال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] ، والقرب قرب كرامة وليس قرب المسافة، «فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم»<sup>(٥٦١)</sup>.

وأما قراءة ﴿عَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ فعلى أنها جمع عبد، وفيها دلالة على تكذيب الكفار في ادعائهم أن الملائكة إناث بنات الله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٥٠] وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى<sup>(٥٦٢)</sup>.

قال مكي ابن أبي طالب: «قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ قرأه الكوفيون وأبو عمرو (عباد) جمع (عبد)، وقرأ الباقون (عند) على أنه ظرف، وحجة من جعله ظرفاً إجماعهم على قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فهذا كله يراد به الملائكة، وفي هذه القراءة دلالة على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وحجة من جعله جمع (عبد) قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يعني الملائكة، وفيه التسوية بين الآدميين والملائكة في أن كلا عباد الله، و(عند) في هذا ليس يراد به قرب المسافة، لأن الله في كل مكان يعلمه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ولكن معنى (عند) الرفع في الدرجة والشرف في الحال، ومن جعله جمع (عبد) دلل بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، لأنه يخبر أنهم عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل على تكذيب من

(٥٦١) المصدر السابق ٩م ج ٢٥ ص ٧٨.

(٥٦٢) انظر الحجة في القراءات السبع ص ٣٢٠، حجة القراءات ص ٦٤٧.

ادّعى ذلك، وردّاً لقوله، فالقراءتان متكافئتان صحيحتا المعنى<sup>(٥٦٣)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تعطيان وصفاً دقيقاً للملائكة، أنهم عباد الرحمن تشريعاً لهم، وتنزيهاً عن أن يكونوا أبناء الله، وأنهم في منزلة قريبة ودرجة عالية عند الله تعالى، دلالة على إخلاصهم في الطاعة والعبودية، وقد جمع الله تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]<sup>(٥٦٤)</sup>، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بنات على القراءة الأولى ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، وإذا كانوا عند الرحمن في منزلة عالية وهم في السماء كيف علموا بحالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بحالهم<sup>(٥٦٥)</sup> على القراءة الثانية (عند الرحمن).

وأما قراءة (أشهدوا) و(أشهدوا) فقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد على اعتبار أن الهمزة في كلتا القراءتين للاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ وهي تفيد النفي<sup>(٥٦٦)</sup>. ولكن لكل قراءة دلالتها على المعنى.

فقراءة ﴿أشهدوا﴾ تفيد أن الفعل لهم أي: أحضروا هم بأنفسهم خلق الملائكة حين خلّقوا، وهي من الفعل الثلاثي شَهِدَ يَشْهَدُ، وفيها الاستنكار، والتوبيخ لهم على أن قالوا ما لم يحضروا ممّا حُكِّمَهُ أن يُعْلَمَ بالمشاهدة<sup>(٥٦٧)</sup>.

وقراءة (أشهدوا) بهمّزتين، الأولى للاستفهام، وهي تفيد الإنكار

(٥٦٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٧.

(٥٦٤) انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ٤٩.

(٥٦٥) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٠٥.

(٥٦٦) انظر معاني القرآن للقراء ج ٣ ص ٣٠، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٣.

(٥٦٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٧٣.

والتوبيخ مع التقرير، والثانية للتعدي إلى مفعولين، أحدهما يقوم مقام الفاعل<sup>(٥٦٨)</sup> «وجيء بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأنَّ الفاعل معلومٌ أنَّه الله تعالى، لأنَّ العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضره إلا من أمر الله بحضوره»<sup>(٥٦٩)</sup>، والمعنى: «أشهدهم الله خلق الملائكة، وفيه نفي وقوع ذلك كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١]»<sup>(٥٧٠)</sup> وهذه القراءة فيها تنبيه بالمبني للمفعول على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه، وهو الله رب العالمين، مما يزيد ذلك في توبيخهم وتقريعهم.

### الجمع بين القراءتين:

تعقيباً على القراءتين قال البقاعي: «فقال تهكماً بهم وتوبيخاً لهم، وإنكاراً عليهم، إظهاراً لفساد عقولهم بأن دعاويهم مجردة عن الأدلة: (أشهدوا) أي: أحضروا حضوراً هم فيه على تمام الخبرة ظاهراً، وباطناً هذا هو معنى قراءة الجماعة، وأدخل نافع همزة التوبيخ على أخرى مضمومة ببناء الفعل للمفعول، تنبيهاً على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه، وهو الخالق لا غيره، ومدها في إحدى الروايتين زيادةً في المادة عليهم بالفضيحة، وسهل الثانية بينهما، وبين الواو إشارةً إلى انحطاط أمرهم، وسفل آرائهم وأفعالهم، وجميع تقلباتهم، وأحوالهم كما سيكشف عنه الزمان، ونوازل الحداث»<sup>(٥٧١)</sup>.

٦ - قال تعالى: ﴿قَتَلَ أَوْلُوهُ جِحْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤].

(٥٦٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٧.

(٥٦٩) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٨٣.

(٥٧٠) المصدر السابق م ١٢ ج ٢٥ ص ١٨٣.

(٥٧١) نظم الدرر ج ٧ ص ١٦.

## القراءات:

- ١ - قرأ ابن عامر وحفص ﴿قُلْ﴾ على الخبر.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ على الأمر.
- ٣ - قرأ أبو جعفر (جِئْنَاكُمْ) بنونٍ وألفٍ على الجمع.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿جِئْتُكُمْ﴾ على التوحيد<sup>(٥٧٢)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

١ - القول: هو الكلام، أو كلُّ لفظٍ مَدَّلَ به اللسان، تاماً، أو ناقصاً، وجمعها أقوالٌ، وأقاويل، والقول في الخير، والقال، والقليل، والقالة في الشر<sup>(٥٧٣)</sup>.

٢ - جاء: قال الأصفهانى: «جاء يجيء ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته وأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»<sup>(٥٧٤)</sup>.

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن طبيعة الكفار في تعاملهم مع أنبيائهم ومواجهتهم دعوتهم إليهم بعبادة التوحيد وترك عبادة الأوثان، بالحنة الباطلة، وهي استئنافٌ للآية السابقة، والمعنى: «كان كل نبي يُرسل إلى قومه بعبادة التوحيد فيواجهونه بحجة باطلة وهي قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ هذا كان دأبهم وديدنهم فقد كانوا يرفضون

(٥٧٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩، تحبير التيسير ص ٢٠٣.

(٥٧٣) انظر القاموس المحيط ص ٩٤٧.

(٥٧٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١٢.

التزحزح عن دين آبائهم علماً بأن الدين الجديد أهدى مما وجدوا آباءهم عليه<sup>(٥٧٥)</sup>. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّقْتَدُونَ﴾ أولو جئتمكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق، وأدُلَّ لكم على سبيل الرشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدين والملة ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول: فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها إِنَّا بما أُرْسِلْتُمْ بِهِ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ كَافِرُونَ، يعني: جاحدون منكرون»<sup>(٥٧٦)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قال) على الماضي أنها إخبارٌ عن النذير أي: (نبيهم) أنه قال لهم ﴿أَوَلَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، ثم أخبر الله جل ذكره بجوابهم للنذير، فقال عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾<sup>(٥٧٧)</sup>.

وأما قراءة (قُل) على الأمر، ذهب بعض العلماء إلى «أنه أمرٌ من الله تعالى للنذير ليقول لهم ذلك، فهو حكاية عن الحال التي جرت من أمر الله جلَّ ذكره فأخبرنا الله: (أنه أمرٌ للنذير، فقال له: قل لهم أولو جئتمكم، وأخبرنا الله بما أجابوا به النذير في قوله: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾»<sup>(٥٧٨)</sup>.

ولكن بعض العلماء ذهب إلى أن (قُل) هي أمرٌ للرسول محمد ﷺ أن يقول ذلك جواباً على قول المشركين<sup>(٥٧٩)</sup>، قال أبو حيان: «والظاهر أن

(٥٧٥) المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٦٠.

(٥٧٦) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٣٨.

(٥٧٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٨، حجة القراءات ص ٦٤٩.

(٥٧٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٨، انظر مجمع البيان للطبرسي ج ٥، الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٧٥، المحرر الوجيز ج ٥ ص ٢٤.

(٥٧٩) انظر التحرير والتنوير ١٢ ج ٢٥ ص ١٨٩.

الضمير في قال، أو في قل، للرسول أي: قل يا محمد لقومك، أتتبعون آباءكم، ولو جثتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟» (٥٨٠).

وأما قراءة (جثتكم) فالضمير فيها يعود على النذير على رأي من قال أن المقصود بـ (قال) أو (قل) هو النذير وليس الرسول محمد ﷺ، وعليه فإن قراءة (جثناكم) يعود ضمير المتكلم فيها على النذر جميعهم، لأن تكذيب أحدهم هو تكذيبهم جميعاً، قال البقاعي: «أولو (جثتكم) الضمير فيه للنذير، وفي قراءة أبي جعفر: (أولو جثناكم) للنذر كلهم» (٥٨١).

وأما على رأي من قال: المقصود بـ (قال) أو (قل) هو الرسول ﷺ فيكون الضمير في (جثتكم) يعود على النبي ﷺ و(جثناكم) يعود الضمير على الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل عليهم السلام، قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (جثتكم) بضمير تاء المتكلم، وقرأ أبو جعفر (جثناكم) بنون ضمير المتكلم المشارك، وأبو جعفر من الذين قرءوا (قل) بصيغة الأمر فيكون ضمير (جثناكم) عائداً للنبي ﷺ المخاطب بفعل (قل) لتعظيمه ﷺ من جانب ربه تعالى الذي خاطبه بقوله: (قل)» (٥٨٢).

وقال د. محمد محسن: «قرأ أبو جعفر (جثناكم) بنون مفتوحة مكان التاء المضمومة، وألف بعدها على إسناد الفعل إلى ضمير الجمع، والمراد الرسول ﷺ وَمَنْ قبله مِنَ الرسل عليهم السلام، وقرأ الباقر (جثتكم) بتاء مضمومة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، والمراد الرسول ﷺ» (٥٨٣).

### الجمع بين القراءات:

من خلال الجمع بين القراءات يتبين أن الله تعالى لقن جميع رسله

(٥٨٠) البحر المحيط ج ٨ ص ١٢، انظر حجة القراءات ص ٦٤٩، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٣.

(٥٨١) نظم الدرر ج ٧ ص ٢٠.

(٥٨٢) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ١٨٩.

(٥٨٣) المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٦٠.

عليهم السلام بما فيهم محمد ﷺ، أن يجيبوا أقوامهم بهذا ويقولوا لهم (أولو جنتكم - أو جئناكم - بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم)، وأمّا الكفار فهذا هو دأبهم وديدنهم جميعاً عبر الأزمنة مع أنبيائهم، دائماً ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: منكرون وجاحدون لكل ما أرسلتم به من التوحيد والإيمان والبعث والنشور، وفي هذا مواساة للنبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه من إعراض عن دعوة الله ﷻ، وتكذيب لرسالته.

٧ - قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر (سُقْفًا) بفتح السين وإسكان القاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُقْفًا﴾ بضم السين والقاف (٥٨٤).

### المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «السقف: غماء البيت، والجمع سُقُوفٌ وسُقُفٌ، فأما قراءة من قرأ: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبُيُوتِهِمْ سُقْفًا من فضة فهو واحدٌ يدل على الجمع، أي: لجعلنا لبيت كل واحدٍ منها سُقْفًا من فضة» (٥٨٥).

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن قيمة الحياة الدنيا وحقارتها في ميزان الله تعالى وهوانها عليه بحيث إنه لو لا أن يرغب كثير من الناس في الكفر، ويجمعوا عليه، إذا رأوا الكافر في سعة من الرزق لخص هذه الدنيا بالكفار

(٥٨٤) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٥.

(٥٨٥) لسان العرب ج ٩ ص ١٥٥.



وجعل لهم القصور الشاهقة سقفا من فضة، وجعل لهم مصاعد وسلالم من فضة عليها يعرجون ويصعدون.

قال القرطبي: «قال العلماء: ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها، وأنها عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهباً وفضةً لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر، قال الحسن: المعنى لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله ﷻ» (٥٨٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سُقْفًا﴾ بضم السين والقاف أنها جمع سقْفٍ على لفظ (البيوت) لأن لكل بيتٍ سقفاً فُجِّعَ على اللفظ والمعنى، وأما قراءة (سَقْفًا) بفتح السين، وإسكان القاف أفادت أنها مفرد على التوحيد على معنى: أن لكل بيتٍ سقفاً، لأن الواحد يدل على الجمع، ولأن لفظ (البيوت) يدل على أن لكل بيت سقفاً.

### الجمع بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الأفراد (سَقْفًا) هي اسم جنس يشمل القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع ﴿سُقْفًا﴾ إذ المراد الكثير بقريئة (البيوت) (٥٨٧).

٨ - قال تعالى: ﴿وَلِيُؤْيِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّوْنَ﴾ (٢٤) ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنْ مِنْكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٥) [الزخرف: ٣٤ - ٣٥].

(٥٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٩٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٨، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٤، حجة القراءات ص ٦٤٩.

(٥٨٧) انظر حاشية القونوي ج ١٧ ص ٣١٧، التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ٢١٢.

## القراءات:

- ١ - قرأ عاصمٌ، وحمزة، وابن جمارٍ، وهشامٌ بخلافٍ عنه ﴿لَمَّا مَتَّعُ﴾ بتشديد الميم.
- ٢ - قرأ الباقون (لَمَّا متاع) بتخفيف الميم<sup>(٥٨٨)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

«لَمَّا»: يستعمل على وجهين:

- أحدهما: لنفي الماضي وتقريب الفعل نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [آل عمران: ١٤٢].
- والثاني: علماً للظرف نحو: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] أي: في وقت مجيئه<sup>(٥٨٩)</sup>.

وجاء في لسان العرب أنَّ لَمَّا مشددة الميم لها معانٍ في كلام العرب: أحدها أنها تكون بمعنى الحين إذا ابتدئ بها أو كانت معطوفةً بواوٍ أو فاءٍ وأجيبَت بفعلٍ يكون جوابها مثل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ أَلْسَعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ﴾ [الصفات: ١٠٢] معناه: حين، وتكون لَمَّا بمعنى: لم الجازمة مثل: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨]، أي: لم يذوقوه، وتكون بمعنى إلا مثل: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] معناه: ما كل نفس إلا عليها حافظٌ، وقد تكون انتظاراً لشيءٍ متوقع وقد تكون انقطاعاً لشيءٍ قد مضى<sup>(٥٩٠)</sup>.

## التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً للآيات السابقة التي تكشف عن حقيقة الحياة الدنيا وحقارتها، وهوانها على الله تعالى وأنها لا تساوي في ملك الله جناح

(٥٨٨) انظر تحبير التيسير ص ٢٠٣، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٥.

(٥٨٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٤٦.

(٥٩٠) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥٥٢.

بعوضة، فتأتي هذه الآية لتبين أن ما ذكر من وصف لهذه الحياة الدنيا، وما فيها من زينة وزخارف، ما هو إلا ترف زائل لا قيمة له بجانب ما أعدّه الله تعالى من النعيم المقيم للمتقين أهل التقوى والآخرة.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره، وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج، والأبواب، والسرر من فضة، والزخرف إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] يقول تعالى ذكره: وزين الدار الآخرة، وبهاؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدّوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله» (٥٩١).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لما) بالتشديد أن كل ما دُكر من البيوت المصفوفة من زخارف وفضة وغيرها، وكل ذلك النعيم العاجل الذي يعطيه الله تعالى للكفار ما هو إلا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا الزائلة وفي هذه القراءة تكون (إن) بمعنى ما النافية، و(لما) بمعنى إلا الاستثنائية، وفيها نفي ما يعتقد هؤلاء الكفار أن هذه السعادة في الدنيا وامتلاكهم لهذا النعيم هي بسبب مرضاة الله عليهم، وأن السعيد في الدنيا هو سعيد في الآخرة، وهذا ما تفيد (إن) بمعنى (ما) النافية، وفيها قصر هذا السعادة وهذا النعيم على متاع الحياة الدنيا، وفي ذلك زيادة تحقير لهذه الدنيا ومتاعها. وأن صاحبه لا يزال فقيراً وإن استوسقت له الدنيا ملكاً وملكاً، لأنه لا بد أن يبقى في نفسه شيء لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبوناً (٥٩٢)، وجاء في حاشية القنوي: «(إن) هي المخففة و(لما) بالتشديد بمعنى إلا بقرينة (أن) النافية، وفي هذه القراءة مبالغة لإفادة الكلام حيثنذ القصر» (٥٩٣).

(٥٩١) جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٤٢.

(٥٩٢) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ٢٧.

(٥٩٣) حاشية القنوي ج ١٧ ص ٣١٩.

وقال حَقِّي: «إن نافية ولمَّا بالتشديد بمعنى إلَّا أي: وما كل ذلك المذكور من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلَّا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا، لا دوام له ولا حاصل إلَّا الندامة والغرامة»<sup>(٥٩٤)</sup>.

وأما قراءة (لَمَّا) بالتخفيف فقد أفادت العموم والشمول مع التأكيد على أنَّ كلَّ هذه الأشياء المذكورة التي يتمناها الإنسان والتي يتمتع بها الكافر هي متاع الحياة الدنيا، وفيها تأكيد وإخبار من الله تعالى على دناءة الحياة الدنيا ومتاعها، وأنَّ لها ضرَّةً هي الآخرة، وهي خيرٌ وأبقى عند الله للمتقين من هذا المتاع الزائل بالموت، وفي هذه القراءة تكون (إنَّ) المخففة من إنَّ الثقيلة، واللام هي الفارقة بين المخففة وغيرها والميم زائدة للتأكيد<sup>(٥٩٥)</sup>، «أو موصولةً بتقدير (لما هو متاع)»<sup>(٥٩٦)</sup>، وعلى ذلك يكون المعنى: (وإنَّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا)<sup>(٥٩٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

قراءة (لَمَّا) بالتخفيف أفادت العموم والشمول مع التأكيد أنَّ كل هذه الأشياء متاع الحياة الدنيا، دون أن يشير إلى نفي توهم الكفار أنَّ هذا النعيم سبب مرضاة الله تعالى، ولم تقصر هذا النعيم على الحياة الدنيا في اللفظ.

وأما قراءة (لَمَّا) بالتشديد فإضافة على التأكيد أن هذه الأشياء المذكورة وهذا النعيم هو متاع الحياة الدنيا فإنها قصرت هذه السعادة وهذا النعيم على الحياة الدنيا، ونفت كلَّ توهم لهؤلاء الكفار أنَّ السعيد في الدنيا سعيدٌ في الآخرة، وأنَّ هذا النعيم سبب مرضاة الله تعالى.

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ كل ذلك النعيم وهذه الزخارف التي

---

(٥٩٤) روح البيان ج ٨ ص ٤٠٧.

(٥٩٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٥، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٦١.

(٥٩٦) روح المعاني ج ٢٥ ص ٨٠.

(٥٩٧) انظر حجة القراءات ص ٦٥٠، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٤.

يعطيها الله للكفار وهي أقصى ما يتمناه الإنسان من الغنى في الدنيا ما هي إلا أشياء يُتَمَتَّعُ بها في الدنيا وتنتهي بموت صاحبها وليس له نصيب في الآخرة، وكل ذلك لا يساوي شيئاً عند ربك، فالآخرة هي الأولى للمتقين ويعطاها الإنسان بسبب تقوى الله ومرضاته.

٩ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (يُقَيِّضُ) بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿نُقَيِّضُ﴾ بالنون (٥٩٨).

### المعنى اللغوي للقراءات:

قَيِّضُ: بمعنى هيا، وسبب، وقدر، فيقال: قَيِّضَ الله فلاناً لفلانٍ أي: جاءه به وأتاحه له، وقَيِّضَ الله قريناً أي: هياً، وسبباً من حيث لا يحتسبه (٥٩٩). وفي قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُمُ شَيْطَانًا﴾ قال الزجاج: «أي: نُسَبِّبْ له شيطاناً يجعل الله له ذلك جزاء» (٦٠٠)، وقال الأصفهاني: «أي: ننج، ليستولي عليه استيلاء الفيض على البيض، وهو القشر الأعلى» (٦٠١).

### التفسير:

يُبين الله تعالى في هذه الآية أن من يعرض ويتعام ويتغافل عن القرآن، وعن عبادة الرحمن فإنه يهيئ له شيطاناً يلازمه ولا يفارقه دائماً، فيتسلط عليه بالوسوسة والإغواء، ويدعوه دائماً إلى كل ضلال، ويزين له كل شر،

(٥٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩، تحبير التيسير ص ٢٠٣.

(٥٩٩) انظر لسان العرب ج ٧ ص ٢٢٥.

(٦٠٠) معاني القرآن وإعرايه للزجاج ج ٤ ص ٤١٢.

(٦٠١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٨٧.

وذلك لأنه أثر العمى على الهدى وأعرض عن النظر في القرآن<sup>(٦٠٢)</sup>، قال الألوسي: «نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا» أي: نتح له شيطاناً ليستولي عليه استيلاء القيقض على البيض وهو القشر الأعلى، «فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» دائماً لا يفارقه ولا يزال يوسوسه، ويغويه، وهذا عقابٌ على الكفر بالختم وعدم الفلاح، كما يقال: إنَّ الله تعالى يعاقب على المعصية بمزيد اكتساب السيئات<sup>(٦٠٣)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان أنَّ الله ﷻ هو الفاعل أي: أنَّ التقيض من فعل الله تعالى سواء قرأته بالياء أو النون<sup>(٦٠٤)</sup>، إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيانٌ لعظم الرَّحْمَن، وقدرته الواسعة على الفعل والانتقام، ففي ذلك مزيدٌ من التهديد والوعيد بالعقاب والانتقام من الذين يُعْرِضُونَ ويتعامون عن ذكر الرَّحْمَن وسماع قول الحقِّ، قال الطبرسي: «من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود على الرَّحْمَن، ومن قرأ بالنون، فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمة»<sup>(٦٠٥)</sup>.

١٠ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَفُوا بِأَن يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٨) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٢٩﴾ (الزخرف: ٣٧ - ٣٨).

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر (جاءانا) بألف بعد الهمزة على الشنية.

(٦٠٢) انظر التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٤٥.

(٦٠٣) روح المعاني ج ٢٥ ص ٨١.

(٦٠٤) انظر معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٤.

(٦٠٥) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٨٤.

٢ - قرأ الباقون ﴿جَاءَنَا﴾ بغير ألف على المفرد<sup>(٦٠٦)</sup>.

### التفسير:

هاتان الآيتان استكمالاً للآية السابقة، وَيُبَيِّنُ اللهُ ﷻ فيهما أن هؤلاء الشياطين الذين يتسلطون على الكفار يصدونهم عن سبيل الهدى، ومن جهل هؤلاء الكفار يحسبون أن الشياطين مهتدون فيطيعونهم.

«ولا يزال الشيطان يُغري أتباعه فإذا ما جاء يوم القيامة وبعث الله كل عاصٍ وشيطانه عندئذ يرى العصاة ما كانوا عليه من الضلال، فيقول كلٌّ منهم حسرةً وندامةً لشيطانه: يا ليت الدنيا فرقت بيني وبينك، وباعدت بيننا بعد المشرقين، فبئس الصاحب أنت، لقد جلبت عليّ الويلات، وأوقعني في تلك المصائب والنكبات»<sup>(٦٠٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (جاءنا) على التثنية، الإخبار عن الكافر وشيطانه المصاحب له بالمجيء إلى المحشر يوم القيامة.

وأما قراءة (جاءنا) على التوحيد أفادت الإخبار عن الكافر وحده بالمجيء إلى المحشر<sup>(٦٠٨)</sup>. وفي كلتا القراءتين يقول العاصي أي: (الكافر) لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) أي: قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك ولم أغتر بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم، حيث إنهما يكونان

(٦٠٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩.

(٦٠٧) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٦٢، انظر التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٤٥.

(٦٠٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٩.

مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وَعَمَّ (٦٠٩).

## الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن كلاً من الكافر وقرينه الشيطان الذي أغواه سيحشران معاً في عذاب واحد يوم القيامة، فقراءة ﴿جَاءَنَا﴾ بالإفراد أوضحت أن الكافر يجيء يوم القيامة إلى المحشر، ولا تصرح بمجيء الشيطان معه، ولكنه يفهم ضمناً من قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، وأما قراءة (جاءانا) بالتثنية فصرحت بمجيء الاثنين معاً في سلسلة واحدة الكافر وقرينه الشيطان، فأوضحت ما أبهمته القراءة الأولى، قال ابن عاشور: «والمعنى على القراءتين واحد، لأن قراءة التثنية صريحة في مجيء الشيطان مع قرينه الكافر، وأن المتندم هو الكافر، والقراءة بالإفراد متضمنة مجيء الشيطان من قوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ إذ عُلِمَ أَنَّ شيطانه القرين حاضر من خطاب الآخر إياه بقوله: (وبينك)، وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلف كثيراً كما في قوله: ﴿يَحْضَرُهُ﴾ [يس: ٣٠] وهو هنا للتلف والتندم» (٦١٠).

١١ - قال تعالى: ﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الزخرف: ٤١ - ٤٢].

## القراءات:

- ١ - قرأ رويس (نَذَهَبَنَّ - نُرِيَنَّكَ) بتسكين النون فيهما.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿نَذَهَبَنَّ﴾ - ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ بفتح النون مع التشديد فيهما (٦١١).

(٦٠٩) انظر مجمع البيان ٥ ج ٢٥ ص ٨٦.

(٦١٠) التحرير والتنوير ١٢ ج ٢٥ ص ٢١٣.

(٦١١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٦، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.



## المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - نَذَهَبْنَ: فعل مضارع من ذَهَبَ، ذَهَاباً، وَذُهِباً، وَمَذْهَباً: مرَّ ومضى ومات، ويقال: ذَهَبَ به الأثر: زال وأمَحَى، ويقال: ذَهَبَتْ به الخِيَلَاءُ: أزالته عن وقاره، وأذهبه: أزاله<sup>(٦١٢)</sup>.
- ٢ - تُرِيْنَك: فعل مضارع من رأى، والرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءى فلان: نظر إلى وجهه في المرأة ونحوها<sup>(٦١٣)</sup>.

## التفسير:

يخبر المولى ﷺ سيدنا محمداً ﷺ مطمئناً بإيَّاه ومواسياً له - بعد أن واجه الكثيرون من كفار مكة دعوته بالكفر والعناد والمعادة - بأن هؤلاء الكفار سينتقم الله منهم لا محالة إما بعد أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وإما في حياته. يقول الزحيلي: «أي: إنَّهم لا يفلتون من العقاب في العاجل أو الآجل، فإن قبضنا روحك وأمتناك أيها الرسول قبل نزول العذاب بهم، فنحن منتقمون منهم إما في الدنيا أو في الآخرة، وإن أبصرناك الذي وعدناهم به من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون أيضاً عليه، ومتى شئنا عذبناهم، وقد أقرَّ الله عينه في حال حياته، فقهرهم يوم بدر، وأصبح المتحكم فيهم، والمالك لحصونهم وقلاعهم. والتعبير بالوعد دليل على وقوعه حتماً، لأنَّ الله لا يخلف الميعاد»<sup>(٦١٤)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى: (نَذَهَبْنَ - تُرِيْنَك) بتسكين النون معنى الوعيد من الله تعالى لهؤلاء الكفار بالانتقام منهم إما في الدنيا أو في الآخرة، ووعد من الله لرسوله ﷺ بإظهار هذا الدين إن كان في حياته ﷺ أو بعد وفاته،

(٦١٢) انظر القاموس المحيط ص ٨١، المعجم الوسيط ص ٣٤٠.

(٦١٣) انظر القاموس المحيط ص ١١٥٧، المعجم الوسيط ص ٣٤٤.

(٦١٤) التفسير المنير ج ٢٥ ص ١٥٨.

والوعد مؤكد منه ﷻ بدخول (ما) بعد (إن) الشرطية، وبالنون الخفيفة للتأكيد، والمعنى: إننا منتقمون منهم في الدنيا سواء كنت حياً أو بعد موتك.

وأما القراءة الثانية: ﴿نَذَهَبَنَّ﴾ - ﴿نُرَيْنَكَ﴾ بفتح النون مع التشديد إضافةً إلى ما سبق فإنها تفيد زيادة التوكيد وتحقيق الانتقام من هؤلاء الكفار، للدلالة على أن الانتقام واقعٌ لهم لا محالة في الدنيا والآخرة، لأن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، والأمر قد وقع لهم في الدنيا، وأرى الله رسوله ﷺ الانتقام من الكفار بقتل صناديدهم يوم بدر وغيرها إلا من تحصن بالإيمان، وأراه النصّر عليهم أيضاً وإظهار هذا الدين في حياته<sup>(٦١٥)</sup>، كما أن قراءة التشديد تفيد التأكيد والشدة في الفعل، ممّا توحى بشدة الانتقام من الكفار.

### الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية بالتشديد مؤكدة للقراءة الأولى بالتخفيف، والقراءتان معاً تؤكدان أن وعد الله تعالى لنبيه ﷺ بالنصّر والتمكين لديه، ووعيده للكفار بالانتقام الشديد منهم متحققٌ لا محالة في الدنيا والآخرة، في الحال والمستقبل، والله تعالى أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَلْفَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزخرف: ٥٣].

### القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب وحفص ﴿أَسُورَةٌ﴾ بإسكان السين من غير ألف.
- ٢ - قرأ الباقون (أَسَاوِرَةً) بفتح السين وألف بعدها<sup>(٦١٦)</sup>.

(٦١٥) انظر روح المعاني ج ٢٥ ص ٨٤، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٥١.

(٦١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩، تحبير التيسير ص ٢٠٤.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الإِسْوَار: لغة في السَّوَار: للحلية التي تُلْبَس في المعصم، جمعها أسورة، وجمع الجمع أساور، وأساورَة<sup>(٦١٧)</sup>.

وقال الجوهري: «السَّوَار: سوار المرأة، والجمع أسورة، وجمع الجمع أساور، وقُرئ: (فلولا أَلْقِي عليه أسورة من ذهب)، وقد يكون جمع أساور»<sup>(٦١٨)</sup>.

## التفسير:

يخبر المولى ﷺ في هذه الآية عن موقف فرعون من دعوة موسى ﷺ وجداله الحق بحجج باطلة لا تستند إلى دليل، مستهزئاً بموسى ﷺ، ومشككاً الناس في نبوته، وصدق دعوته، فبعد أن أرسل الله موسى ﷺ إلى فرعون وقومه وجاءهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، جمع فرعون قومه ونادى فيهم قائلاً: «إنا إذا سودنا رجلاً، حليناه بأوسمة الشرف، وألبسناه أسورة من الذهب، فهذا موسى الذي يدَّعي أنه رسول من قبل ربِّ العالمين، وقد أَلْقِيت عليه مقاليد الشرف والسيادة، هل رأيت في يده أسورة من ذهب أَلْقِيت عليه من قبل الإله الذي أرسله، ولماذا لم يرسل معه حاشية من الملائكة يمشون وراءه صفّاً صفّاً مقترناً بعضهم ببعض ليكونوا أتباعه وأعوانه، كما تمشي الحاشية خلف الملك المتوج؟ فلا هو مُحَلَّى بالذهب كما هو الحال في أشرافنا، ولا هو مصحوبٌ بحاشية من الملائكة حتى نصدق، ونعرف أنه رسول رب العالمين كما يقول»<sup>(٦١٩)</sup>.

(٦١٧) انظر المعجم الوسيط ص ٤٨٧.

(٦١٨) الصحاح ج ٢ ص ٦٩٠.

(٦١٩) المستنير في تخريج القراءات العشر ج ٣ ص ٦٥، انظر التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٥٠.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، إلا أن قراءة ﴿أَسْوَرَةٌ﴾ تفيد أنها جمع السوار، وقراءة أساورة تفيد أنها جمع الجمع، ويقال أساور جمع سوار<sup>(٦٢٠)</sup>.

قال البغوي: «قرأ حفص ويعقوب ﴿أَسْوَرَةٌ﴾ جمع سوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع»<sup>(٦٢١)</sup>.

وبعض العلماء اعتبر أن العلاقة لغوية بين القراءتين على اعتبار أنه يجوز أن يقال (سوارٌ) و(أسوارٌ) وهي لغاتٌ، قال ابن عاشور: «الأساورة: جمع أسوارٍ لغةً في سِوَارٍ، وأصل الجمع أساوير مخففٌ بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن المحذوف كما عوضت في زنادقة جمع زنديقٍ إذ حقه زناديق، وأمّا سوارٌ فيجمع على أسورة»<sup>(٦٢٢)</sup>.

١٣ - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦].

## القراءات:

- ١ - قرأ حمزة، والكسائي (سُلْفًا) بضم السين واللام.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السين واللام<sup>(٦٢٣)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

السَّلَفُ: المتقدم، وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: معتبراً متقدماً<sup>(٦٢٤)</sup>.

(٦٢٠) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٠٩.

(٦٢١) تفسير البغوي ج ٤ ص ١٢٧.

(٦٢٢) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٣٢، انظر حجة القراءات ص ٦٥١.

(٦٢٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٥.

(٦٢٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٢٠.

قال ابن منظور: «وَالسَّالِفُ: المتقدم، والسَّلْفُ والسَّلِيفُ والسَّلْفَةُ: الجماعة المتقدمون، وقوله ﷺ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ ٥١، ويُقرأ: سُلُفًا وسُلُفَاءً، قال الزجاج: سُلُفًا جمع سَلِيف، أي: جمعاً قد مضى، ومن قرأ سُلُفًا فهو جمع سُلُفَةٍ أي: عصبة قد مضت، والتسليف: التقديم، وقال الفراء: يقول جعلناهم سُلُفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون» (٦٢٥).

### التفسير:

بعد أن أخبر الله جلّ وعلا في آية سابقة، عن موقف فرعون وقومه من دعوة موسى ﷺ وصدّهم عن دعوة الله تعالى، واستهزائهم بموسى ﷺ، ومن آمن معه، يخبر سبحانه في هذه الآية عن مصير فرعون وقومه، وما حلّ بهم من عذاب وانتقام شديد بسبب كفرهم وعنادهم، فأغرقهم جميعاً وجعلهم قدوة ومثلاً لمن بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب والدمار، يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك، قال البقاعي: «لَمَّا كَانَ إِهْلَاكُهُمْ بِسَبَبِ إِغْضَابِهِمْ لِلَّهِ وَبِالْكِبَرِ عَلَى رَسُولِهِ، كَانُوا سَبَباً لَّأَنْ يَتَعَذَّبَ بِحَالِهِمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق وغيره مما تقدم (سلفاً) متقدماً لكل من يهلك بعدهم إهلاكاً في الدارين أو إحداهما عاقبتهم كما قال سبحانه عز من قائل وتبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَذْعُبُونَ إِلَى آلِ الْكَافِرِ﴾ [القصص: ٤١] (ومثلاً) أي: حديثاً عجيباً سائراً مسير المثل (للآخرين) الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظةً للناس وإضلالاً للآخرين، فمن قضى أن يكون على مثل حالهم عمل مثل أعمالهم، ومن أراد النجاة ممّا نالهم تجنب أفعالهم» (٦٢٦).

(٦٢٥) لسان العرب ج ٩ ص ١٥٨.

(٦٢٦) نظم الدرر ج ٧ ص ٣٩.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد على اعتبار أن «من قرأ ﴿سَلَفًا﴾ فهو جمع سالفٍ وسَلَف، ومعناه: جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم من بعدهم، ومن قرأ (سُلفاً) فهو جمع سَلِيفٍ بالمعنى الأول، يقال سَلَفَتِ القوم أسلفُهم، إذا تقدمتهم»<sup>(٦٢٧)</sup>.

قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من ضمَّ أنه جعله لسَلَف، كَأَسَدٍ وَأُسْدٍ، وَوُثْنٍ وَوُثْنٍ، وهو كثير، وقيل: هو جمعٌ لسليفٍ، كَرغيفٍ وَرُغْفٍ، وهو كثيرٌ أيضاً، و(السليف) المتقدم، والعرب تقول: مضى منّا سألِف وسَلَف وسليف، وقيل: السلف جمع سالفٍ، نادرٌ، وسلفٌ جمع سليفٍ، كَرغيفٍ وَرُغْفٍ، فهو جمع الجمع.

وحجة من فتح أنه حملة على بناء يقع للكثرة في الجمع، وجعله جمع سالفٍ، كخادمٍ وَخَدَم، وغائبٍ وَغَيْبٍ، فالقراءتان بمعنى واحدٍ»<sup>(٦٢٨)</sup>. وبمثله قال القرطبي، وذكر أن معناه واحدٌ أيضاً<sup>(٦٢٩)</sup>. ويؤيده ما جاء في لسان العرب أن السالف: المتقدم والسلف والسليف والسلفة: الجماعة المتقدمون، وقول الزجاج: سُلفاً جمع سليفٍ أي جمعاً قد مضى<sup>(٦٣٠)</sup>، وعلى هذا فالقراءتان بمعنى واحد.

١٤ - قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

﴿٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧].

(٦٢٧) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٧، انظر زاد المسير ص ١٢٨١.

(٦٢٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٠.

(٦٢٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤١٠.

(٦٣٠) انظر لسان العرب ج ٩ ص ١٥٨.

## القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، والبصريان، وعاصم، وحمزة ﴿يَصْدُوكَ﴾ بكسر الصاد.

٢ - قرأ الباقون (يُصْدُونَ) بضم الصاد<sup>(٦٣١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الْصَّدُّ: الإعراض، وَصَدَّ عَنْهُ صُدُودًا: أَعْرَضَ، وَصَدَّ فَلَانًا عَنْ كَذَا صَدًّا: مَنَعَهُ وَصَرَّفَهُ<sup>(٦٣٢)</sup>، وَصَدَّ يَصْدُ صَدِيدًا: ضَجَّ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، أَي: يَضْجُونَ وَيَعْجَبُونَ، وَقَدْ قُرِئَ (يُصْدُونَ) بِالضَّم أَي: يَعْرِضُونَ<sup>(٦٣٣)</sup>.

وقال د. محمد حجازي: «صَدَّ يَصْدُ بِمَعْنَى: يَضْجُ وَيَضْحَكُ (جَدَلًا) أَي: لِأَجْلِ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ»<sup>(٦٣٤)</sup>.

## التفسير:

ذكر المفسرون: «أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُبَيْرِيِّ: هَذَا خَاصَّةٌ لَنَا وَلِأَهْلَتِنَا أَمْ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلْ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ» فَقَالَ: خَصِمْتُكَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، أَلَسْتُ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ نَبِيٌّ وَتُنْثِي عَلَيْهِ خَيْرًا وَعَلَى أُمِّهِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّصَارَى يَعْبُدُونَهُمَا، وَالْيَهُودُ يَعْبُدُونَ عَزِيرًا، وَالْمَلَائِكَةُ يُعْبَدُونَ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ فَقَدْ رَضِينَا أَنَّ نَكُونَ نَحْنُ وَأَهْلَتُنَا

(٦٣١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩.

(٦٣٢) انظر الصحاح ج ٢ ص ٤٩٥.

(٦٣٣) انظر القاموس المحيط ص ٢٦٥.

(٦٣٤) التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٥١.

معهم، فسكت النبي ﷺ، وفرح القوم وضحكوا، وَضَجُوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية أيضاً (٦٣٥)، (٦٣٦).

في هذه الآية الكريمة يخبر المولى ﷺ عن تعنت كفار قريش مع رسول الله ﷺ، وشدة كفرهم وعنادهم، وجدالهم الحق بالباطل، ومعنى الآية: «ولمَّا ضَرَبَ ابن الزبيري عيسى ابن مريم مثلاً، وحاجك في عبادة النصارى له حيث قال: أليست النصارى تعبد المسيح وأنت يا محمد تقول: إنَّه كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً، فإن كان في النار فقد رضىنا أن نكون وآلهتنا مع عيسى بن مريم، وقد فرحت قريش بهذه المحاجة وضحكوا وارتفعت أصواتهم» (٦٣٧)، قال القرطبي: «ولو تأمل ابن الزبيري الآية ما اعترض عليها لأنه قال: (وَمَا تَعْبُدُونَ) ولم يقل ومن تعبدون، وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين» (٦٣٨).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَصْدُونَ) بضم الصاد أن كفار قريش قد عدلوا وأعرضوا عما جاء به النبي ﷺ، بعد ضرب ابن الزبيري عيسى ابن مريم مثلاً وحاج النبي ﷺ به، لأنَّ معنى: (يَصْدُونَ) بضم الصاد، العدول والإعراض.

وأما قراءة (يَصِيدُونَ) بكسر الصاد أفادت أن كفار قريش قد ضحكوا

(٦٣٥) انظر أسباب النزول للواحي ص ٢٨١ - ٢٨٢، قال السيوطي عنه: صحيح، ذكره الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ١٠٤، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر أسباب النزول للسيوطي ص ٣٦١.

(٦٣٦) التفسير الكبير ١٤ ج ٢٧ ص ٢٢٢، انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤١١، أسباب النزول للواحي ص ٢٨٢.

(٦٣٧) التفسير الواضح ٣ ج ٢٥ ص ٥٢.

(٦٣٨) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤١١.



وضجوا، وعلت أصواتهم من احتجاج ابن الزبيري بالمثل بعيسى عليه السلام، لأن معنى ﴿يَصْدُونَ﴾ بالكسر من الضجيج والصخب <sup>(٦٣٩)</sup>.

قال ابن عاشور: «يَصْدُونَ» بضم الصاد من الصُدود، إما بمعنى الإعراض والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام، أي: يُعرضون عن القرآن لأنهم أوهموا بجَدْلِهِمْ أَنَّ في القرآن تناقضاً، وإما على أَنَّ الضم لغة في مضارع صد بمعنى ضجّ مثل لغة كسر الصاد، وهو قول الفراء والكسائي، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم، ويعقوب بكسر الصاد، وهو الصَّد بمعنى الضجيج والصخب، والمعنى إذا قريش قومك يصخبون ويضجّون من احتجاج ابن الزبيري بالمثل بعيسى <sup>(٦٤٠)</sup>.

وجاء في الجامع لأحكام القرآن: «من ضمّ فمعناه يعدلون، فيكون المعنى: من أجل الميل يعدلون، ولا يُعدّى يصدون بمن، ومن كسر فمعناه يضجّون ف (من) متصلة بـ ﴿يَصْدُونَ﴾، والمعنى: يضجّون منه» <sup>(٦٤١)</sup>. «وقيل: إنهما لغتان بمعنى (يضجّون)» <sup>(٦٤٢)</sup>.

### الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أَنَّ كفار قريش قد عدلوا وأعرضوا عمّا جاء به النبي ﷺ من الحقّ ولم يكتفوا بذلك الإعراض بل تعدّوه إلى السخرية والضحك والضجيج فرحاً بمحاجة ابن الزبيري ظناً منهم أَنَّهُ غَلَبَ النبي ﷺ في محاجّته.

(٦٣٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٠، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٧، إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣٠١.

(٦٤٠) التحرير والتنوير ١٢م ج ٢٥ ص ٣٣٨.

(٦٤١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤١١.

(٦٤٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٠، انظر جامع البيان ١١م ج ٢٥ ص ٥٢.

١٥ - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

### القراءات:

١ - قرأ الكوفيون، وروَّحَ ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وألف بعدها.

٢ - قرأ الباكون (أَلِهَتُنَا خَيْرٌ) بهمزة واحدة بعدها مدَّة أي: بالتسهيل (٦٤٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

الإله: هو الله ﷻ، وكلُّ ما اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ مَعْبُودًا إِلَهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِهِ، والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام، سَمَّوْهَا بِذَلِكَ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ تُحَقُّ لَهَا (٦٤٤).

والإلهيات: كل ما يتعلق بذات الإله وصفاته، والله: اسم علم على الإله المعبود بحق، وأصله إله، دخلت عليه أل، ثم حذفت همزته وأدغم اللأمان (٦٤٥).

### التفسير:

هذه الآية استكمالاً للآية السابقة فبعد أن قرأ الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وجادلت قريش رسول الله ﷺ في أمر هذه الآية وتقدَّم ابن الزبيري بمحاجَّته في عبادة النصراني لعيسى بن مريم، قال المشركون: ءألِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ ويقصدون بذلك: آلهتنا التي نعبدُها خيرٌ أَمْ المسيح عيسى بن مريم؟ فإن

(٦٤٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٠، تحبير التيسير ص ٢٠٤.

(٦٤٤) انظر لسان العرب ج ١٣ ص ٤٦٧.

(٦٤٥) انظر المعجم الوسيط ص ٤٥.

كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا معه<sup>(٦٤٦)</sup>، وقيل: المقصود محمد ﷺ على معنى أنهم قالوا: «يا محمد آلهتنا التي نعبدُها خيرٌ أم محمدٌ فنعبُدُ محمدًا ونترك آلهتنا»<sup>(٦٤٧)</sup> وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما قالوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل والمكابرة في القول لا لطلب الحق، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: شديدو الخصومة والجدال بالباطل<sup>(٦٤٨)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، وإنما الاختلاف من حيث تحقيق الهمزة الثانية في كلمة (آلهتنا) أو تسهيلها، وأما الهمزة الأولى، فالجميع متفقٌ على تحقيقها لأنها للاستفهام وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً.

قال صاحب غيث النفع: «(آلهتنا) هذا ما اجتمع فيه ثلاث همزات لأن أصله أألله بهمزتين، الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، والثالثة همزة الاستفهام، وأجمعوا على إبدال الثالثة ألفاً لسكونها، وانفتاح ما قبلها، كما أبدلت في آدم وآمنوا، وأجمعوا، أيضاً على تحقيق الأولى التي للاستفهام واختلفوا في الثانية، فقرأ الكوفيون بتحقيقها، والباقون بالتسهيل، ولم يُدخل أحدٌ بينهما ألفاً، وكذلك لم يبدل أحدٌ ممن روى إبدال الثانية عن الأزرق عن ورش في نحو أنذرتهم، بل اتفقوا على التسهيل، وورش على أصله من المد والتوسط والقصر لأنه مما وقع فيه حرف المد بعد الهمز، ولا يضرنا تغييره بالتسهيل إذ لا فرق في هذا الباب بين الهمز المُحَقَّق والمُعَيَّر»<sup>(٦٤٩)</sup>.

(٦٤٦) انظر تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٩٠.

(٦٤٧) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٥٣.

(٦٤٨) انظر التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ٢٢٢.

(٦٤٩) غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٧٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٥٨.

وقال ابن عادل: ﴿وَقَالُوا ۖ إِلَهُنَا﴾ قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين بين، ولم يدخل أحد من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بألف ألفاً كراهةً لتوالي أربع متشابهات، وأبدل الجميع الهمزة الثانية ألفاً، ولا بد من زيادة بيان، وذلك أن آلهة جمع إله كعمادٍ، وأعمدةٍ، فالأصل آلهةٌ، بهمزتين الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة، فوجب قلبها ألفاً (كآمن وبابه) ثم دخلت همزة الاستفهام على الكل فالتقى همزتان في اللفظ، الأولى للاستفهام، والثانية همزة (أفعلة) فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما، فأبقوهما على ما لهما، وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين، والثالثة ألف محضة لم تغير البتة<sup>(٦٥٠)</sup>.

١٦ - قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

## القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين.
- ٢ - قرأ الباقر ﴿خَوْفٌ﴾ بالضم مع التنوين<sup>(٦٥١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: الفرع، يقال: خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَخَيْفًا وَمَخَافَةً وَخِيفَةً بالكسر، وهو: انفعال في النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب، والخوف أيضاً بمعنى: القتل، قيل: ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥]<sup>(٦٥٢)</sup>.

(٦٥٠) الباب ج ١٧ ص ٢٨٣.

(٦٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.

(٦٥٢) انظر القاموس المحيط ص ٧٢٨، المعجم الوسيط ص ٢٨٦.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المؤمنين الأخلاء المتحابين في الله يوم القيامة وخطاب الله تعالى المؤمنين تطميناً وتأنيساً لهم بنفي الخوف والحزن عنهم، فيقول: «يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي فَإِنِّي قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فَإِنَّ الذي قد متم عليه خيرٌ لكم ممَّا فارقتموه منها»<sup>(٦٥٣)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (لا خوف) بالفتح دون تنوين تفيد نفي جنس الخوف مطلقاً عن المؤمنين بأيِّ حال من الأحوال، وبأيِّ وجهٍ من الوجوه بأن يقع بهم أي مكروه أو عقابٍ من الله تعالى على غرار أهل الضلال في الآخرة، «لأنَّ (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنها إذا بُني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصاً، وإذا لم يبنَ الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهراً مع احتمال أن يُراد نفي واحدٍ من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحاً لهذا الاحتمال»<sup>(٦٥٤)</sup>. وفي هذه القراءة (لا) نافية للجنس فهي تعمل عمل (إنَّ) من نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصاً، أي نفيًا عامًا على سبيل الاستغراق، لا على سبيل الاحتمال<sup>(٦٥٥)</sup>.

وأما قراءة ﴿لَا خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين فقد تفيد نفي الخوف الواحد، أو نفي المجموع عنهم احتمالاً لا نصاً، لأنَّ (لا) في هذه القراءة لا النافية العاملة عمل ليس، فهي تعمل عمل الأفعال الناسخة، واسمها (خوفٌ) نكرة مرفوعٌ، وهذا شرطٌ لعملها عمل ليس، وهي تفيد احتمال نفي

(٦٥٣) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٥٧.

(٦٥٤) التحرير والتنوير ٦م ج ١١ ص ٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.

(٦٥٥) انظر موسوعة الحروف في اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب ص ٣٨٤.

الواحد أو نفي الجنس<sup>(٦٥٦)</sup>. وأمّا ابن عاشور فيعتبر أنّ القراءتين برفع اسم (لا) أو بنائه على الفتح متساويتان في الدلالة في هذا الموضع، لأنّ النفي وقع في أجناس المعاني لا في أجناس الذوات، فما ذكر سابقاً ينطبق على الأجناس التي لها أفراد من الذوات مثل رجل<sup>(٦٥٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين تكون القراءة الأولى بالفتح مبيّنة للقراءة الثانية بالضم: أنّ الله تعالى نفى مطلق الخوف عن المؤمنين، الواحد والمجموع، في الحال وفي المستقبل، فلا خوف عليهم في أيّ حالٍ من الأحوال وبأيّ وجهٍ من الوجوه وفي أيّ وقتٍ من الأوقات.

١٧ - قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن عامر، وحفص ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بزيادة هاء ضمير المذكر بعد الباء.

٢ - قرأ الباقون (تَشْتَهِي) بحذف الهاء<sup>(٦٥٨)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«أصل الشّهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: صادقة، وكاذبة، فالصادقة: ما يختل البدن من دونه، كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة: ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتهى شهوة، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء: شهوة»<sup>(٦٥٩)</sup>.

(٦٥٦) انظر شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد ١م ج ٢ ص ٥.

(٦٥٧) انظر التحرير والتنوير ٦م ج ١١ ص ٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.

(٦٥٨) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٥.

(٦٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٨.

وشهِيَ الشَّيْءَ، وشهَاهُ يشهَاهُ شهوةً، واشتهَاهُ، وتَشَهَّاهُ، أحَبَّهُ ورَغِبَ فيه، وقوله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤]، أي: يرغبون فيه من الرجوع إلى الدنيا<sup>(٦٦٠)</sup>.

## التفسير:

تصف الآية الكريمة الحالة التي يكون عليها المؤمنون في الجنة، وما أعدَّ الله تعالى لهم من أنواع النعيم الدائم الذي لا ينقطع، ومنه: أنه يطوف عليهم ولدانٌ صباح الوجوه بأنية وأكوابٍ من ذهبٍ، وفيها كلُّ ما لذَّ وطاب، وما تشتهيه أنفسهم، ويخطر على بالهم، وما لا يخطر على بالهم، وتلذه أعينهم بالنظر إليه.

قال الطبرسي: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ» أي: بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: كيزان لا عرى لها، وقيل بأنية مستديرة الرأس، اكتفى سبحانه بذكر الصحف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب ﴿وَفِيهَا﴾ أي: وفي الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ من أنواع النعيم المشروبة والمطعمومة، والملبوسة، والمشمومة، وغيرها ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أي: وما تلذه العيون بالنظر إليه، وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين، وإنما الملتذ على الحقيقة هو الإنسان لأنَّ المناظر الحسنة سببٌ من أسباب اللذة فإضافة اللذة إلى الموضع الذي يلذ الإنسان به أحسن، لما في ذلك من البيان مع الإيجاز، وقد جمع الله سبحانه بقوله ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ فلو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم لم يزدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة وأنواع من الملاذ ﴿خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون مؤبدون<sup>(٦٦١)</sup>.

(٦٦٠) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٤٤٥.

(٦٦١) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٩٨.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تكون هاء الضمير في محل نصب مفعول به عائدة إلى (ما) الموصولة بمعنى الذي وحجة من قرأها قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولم يقل يتخبط.

وأما قراءة (تشتهي) فقد حذفت الهاء للاختصار، ومثاله كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، ولم يقل: بعثه الله<sup>(٦٦٢)</sup>.

وعلى هذا فالقراءتان بمعنى واحد على رأي بعض أهل التفسير، قال الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ فقرأته عامة قراء العراق تشتهي بغير هاء، وكذلك هو في مصاحفهم، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب<sup>(٦٦٣)</sup>».

إلا أن الباحث يرى أن إلحاق هاء الضمير بالفعل (تشتهي) لها دلالات على المعنى، فالضمائر أعرف المعارف، تفيد التعريف، وعليه فإن الضمير في ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تفيد حصر أنواع النعم المشتهاة في النفوس من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها من الأشياء المعروفة لديه.

قال البقاعي: «ولمّا كانت اللذة محصورة في المشتهى قال تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا<sup>(٦٦٤)</sup>. وقال الزمخشري: «وقرئ تشتهي، وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إمّا مشتهاة في القلوب وإمّا مستلذة في العيون<sup>(٦٦٥)</sup>».

(٦٦٢) انظر حجة القراءات ص ٦٥٤.

(٦٦٣) جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٥٨.

(٦٦٤) نظم الدرر ج ٧ ص ٥١.

(٦٦٥) الكشف ج ٣ ص ٤٩٩، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ج ٩ ص ١٠٥.



ويُحتمل أن هاء الضمير خصصت الشهوة بما لا يتعارض مع حكمة الله تعالى بحيث إنه لا يظن امرؤ بأن كل ما يخطر على باله في الدنيا وتشتهيه فهو مشتتهٍ له في الآخرة ومتحقق، فمثلاً لا يشتتهي الإنسان في الآخرة شيئاً من مناهي الشريعة الإسلامية كفعل فاحشة أو غيرها، قال حقي: «﴿وَفِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ من فنون الملاذ والمشتهيات النفسانية كالمطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب ونحو ذلك، قال في (الأسئلة المُقحمة): أهل الجنة هل يعطيهم الله جميع ما يسألونه وتشتهي أنفسهم، ولو اشتته نفوسهم شيئاً من مناهي الشريعة كيف يكون حاله، والجواب معنى الآية: أن نعيم الجنة كله مما تشتهيه الأنفس، وليس فيها ما لا تشتهيه النفوس، ولا تصل إليه، وقد قيل يعصم الله أهل الجنة من شهوة محالٍ أو منهي عنه، يقول الفقير: دل هذا على أنه ليس في الجنة اللواط المحرمة في دبر امرأته فليس فيها اشتهاؤ اللواط لكونها مخالفة للحكمة الإلهية... وأما الخمر فليست كاللواط لكونها حلالاً على بعض الأمم، والحاصل أنه ليس في الجنة ما يخالف الحكمة كائناً ما كان، ولذا تستتر فيها الأزواج عن غير محارمهن، وإن كان لا حل ولا حرمة هناك» (٦٦٦).

ومما يؤيد قصر الشهوة على ما لا ينافي حكمة الله تعالى، حديث رسول الله ﷺ الذي أورده ابن خالويه في كتابه: «سأل أعرابي رسول الله ﷺ فقال: إني سمعتُ الله يقول: وفيها ما تشتهي الأنفس، وإنني رجلٌ أشتهي النوم فهل في الجنة نوم؟ فقال ﷺ: إنَّ النَّومَ أَخُو الْمَوْتِ، وَلَا مَوْتَ فِي الْجَنَّةِ» (٦٦٧) (٦٦٨).

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه ليس كل ما يشتهيه الإنسان في الدنيا فهو مشتتهٍ له في الآخرة.

(٦٦٦) روح البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٦٦٧) أخرجه أبو نعيم في مصنفه، باب صفة الجنة: ج ٢ ص ٥٧.

(٦٦٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣٠٤.

وأما قراءة (تشتهي) بدون هاء الضمير فإنها أفادت العموم بدون تخصيص للشهوة ولا حصر لأنواع النعم على معنى: أن في الجنة كل ما تشتهي النفس من الأشياء المعلومة والمعروفة، وغير المعروفة فجاءت القراءة بهاء الضمير ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ لتفيد تخصيص العموم بما لا يتعارض مع الحكمة الإلهية.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أن في الجنة كل ما تشتهي الأنفس من متاع ونعم تخطر على بال الإنسان من الأشياء المعروفة لديه والمشتهيات في النفوس بدون انقطاع على الدوام، يعطيه الله تعالى لمن سأل واشتهاه، وكل ذلك في حدود ما لا يخالف حكمة الله تعالى وفيما أجازته من شهوة للإنسان، والله تعالى أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ [الزخرف: ٨١ - ٨٢].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي (وُلِدَ) بضم الواو وإسكان اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللام<sup>(٦٦٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الوَلَدُ: كُلُّ مَا وُلِدَ، وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْمُنْثَى وَالْجَمْعُ، وَتَجْمَعُ عَلَى أَوْلَادٍ، وَوَلَدَةٌ، وَإِلْدَةٌ، وَوُلْدٌ بِالضَّمِّ<sup>(٦٧٠)</sup>.

(٦٦٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٧، البدور الزاهرة ص ٤٠٣.

(٦٧٠) انظر القاموس المحيط ص ٢٩٥، المعجم الوسيط ص ١٠٩٩.

## التفسير:

يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أن يخاطب الكفار الذين يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله، ويعبدون المسيح ويزعمون أنه ابن الله، وذلك على سبيل التهكم والتقريع، قائلاً لهم إن كان الله ولدٌ كما تزعمون في قولكم، فأنا أول من عبدَ الله وحده، لأن من عبدَ الله وحده فقد دفع أن يكون له ولدٌ، هذا على أحد الأقوال، والمعنى: ما كان للرحمن ولدٌ. وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولدٌ فأنا أول من يعبد الولد الذي تزعمون ثبوته، لأنَّ تعظيم الولد تعظيمٌ للوالد، ولكنه يستحيل أن يكون له ولدٌ، وفيه نفيٌ للولد على أبلغ وجهٍ وأتم عبارةً وأحسن أسلوبٍ، ولا سبيل إلى اعتقاد ذلك<sup>(٦٧١)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (وَلَدٌ) بفتح الواو واللام، تفيد الجنس لأنها تصلح للإفراد والجمع، لادعائهم في عيسى أنه ابن الله، وفي الملائكة أنها بنات الله.

وأما قراءة (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللام، فإنها تفيد إرادة الجمع على الكثرة، فتكون قد جمعت كل ما يدعون الله من ولد.

قال البقاعي: «قل إن كان للرحمن ولدٌ كما زعمتم، والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة، وَغَيْرُهُمْ فِي غَيْرِهِمْ، وقراءة حمزة، والكسائي، بضم ثمَّ سكون على أنه جمعٌ على إرادة الكثرة»<sup>(٦٧٢)</sup>.

وقال د. محمد محيسن: «قرأ حمزة، والكسائي، بضم الواو وسكون اللام جمعٌ (وَلِدٍ) مثل (أَسَدٌ، وَأُسْدٌ). وقرأ الباقون بفتحهما اسم مفرد قائم مقام الجمع»<sup>(٦٧٣)</sup>. وقيل: إِنَّ (الْوَلَدَ) بالفتح الابن، والابنة، (الْوُلْدُ) بالضم

(٦٧١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٢٥، فتح القدير ج ٤ ص ٧٩٢.

(٦٧٢) نظم الدرر ج ٧ ص ٥٥ بتصرف يسير.

(٦٧٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٦٩.

### الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية (وُلِدَ) جاءت لتبيّن أنّ المقصود هو إرادة الجمع وليس الأفراد على أنّ ليس لله الابن كما يزعمون في عيسى عليه السلام، وليس له البنات كما يزعمون في الملائكة، وليس له الأهل كما يزعم غيرهم، فهو منزّه عمّا يصفونه من الولد، والأهل.

١٩ - قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ

﴿٨٢﴾ [الزخرف: ٨٣].

### القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (يَلْقُوا) بفتح الياء التحتية وإسكان اللام بلا ألف وفتح القاف.

٢ - قرأ الباقر ﴿يَلْقُوا﴾ بضم الياء وإثبات الألف وضم القاف (٦٧٥).

### المعنى اللغوي للقراءات:

اللقاء: هو: «مقابلة الشيء ومصادفته معاً، وقد يُعَبَّرُ به عن كل واحدٍ منهما، يقال: لقيته، يلقيه لقاءً ولقياً ولقيه، ويقال: ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر، والبصيرة» (٦٧٦).

وتقول: لاقيتُ بين طرفي قضيبٍ أي: حَنَيْتُهُ حتى تلاقيا والتقيا، وكلُّ شيءٍ استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها، واللَّقِيَان: كل شيئين يلقي أحدهما صاحبه فهما لَقِيَان (٦٧٧).

(٦٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٩٢.

(٦٧٥) انظر إتحاق فضلاء البشر ص ٤٩٧، تحبير التيسير ص ٢٠٤.

(٦٧٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٤٥.

(٦٧٧) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٢٥٤.

## التفسير:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يترك كفار مكة حين كذبوا بعذاب الآخرة، يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم كما يشاءون ويحبون حتى يُلاقوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة، بما فيه من عذاب شديد بسبب كفرهم وتكذيبهم نبيهم ﷺ<sup>(٦٧٨)</sup>، والمقصود من هذا الخطاب التهديد والوعيد لكفار قريش، كما قال المراغي: «ولا يخفى ما في هذا من شديد الوعيد والتهديد»<sup>(٦٧٩)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَلْقُوا) أنهم يلقون هذا اليوم الذي توعدهم الله تعالى به يوم القيامة وما فيه من عذابٍ ونكالٍ مدفوعين إليه بذاتهم ومن تلقاء أنفسهم منساقين إليه.

وأما قراءة ﴿يُلْقُوا﴾ أفادت أنهم يلاقون هذا اليوم بما فيه من عذابٍ شديدٍ مدفوعين إليه بغيرهم، أي: بقوة خارجية تدفعهم لذلك على غير إرادتهم، حيث إنَّ فعل (يلاقوا) من صيغ المفاعلة التي تدل على اشتراك أكثر من طرف في الفعل، أو تدل على الملاقة بين الطرفين بالقدر نفسه بحيث يكون الكفار مدفوعين للقاء العذاب، ويكون العذاب مدفوعاً إليهم، وفي هذا دلالة على شدة العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة، وفي ذلك زيادة تهديد ووعيد لهم، «قال سيبويه: اعلم أنك إذا قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته، وهذا يعني اشتراك طرفي الفعل في المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، فيكون البادئ فاعلاً صريحاً والثاني مفعولاً صريحاً، ويجيء العكس ضمناً أي: الغرض من ألف المفاعلة اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ والاشتراك فيهما من حيث المعنى»<sup>(٦٨٠)</sup>.

(٦٧٨) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٢٦.

(٦٧٩) تفسير المراغي ج ٩ ص ١١٥.

(٦٨٠) أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ص ٥٤، دكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي.

وقال أ. د. حمد الحملاوي: «فَاعَلَ يَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي مَعْنِيَيْنِ، إِحْدَاهُمَا: التَّشَارِكُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَعَلًا، فَيُقَابِلُهُ الْآخَرُ بِمِثْلِهِ، وَحِينَئِذٍ يَنْسَبُ لِلْبَادِئِ نِسْبَةُ الْفَاعِلِيَّةِ، وَلِلْمُقَابِلِ نِسْبَةُ الْمَفْعُولِيَّةِ» (٦٨١).

ويحتمل إضافة لما سبق ذكره، أَنَّ قِرَاءَةً (يُلْقُوا) تدل على سرعة لقاء العذاب لهؤلاء الكفار في الدنيا كما حصل معهم في غزوة بدر.

وأما قراءة ﴿يُلْقُوا﴾ تدل على طول فترة الإمهال لهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون في الآخرة، لأنَّ المد يدل على طول زمن الفعل، وفي ذلك زيادة تهديد أيضاً لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أَنَّ الله تعالى يتوعد هؤلاء الكفار بملاقاة العذاب مدفوعين إليه منساقين بسهولة ويسرٍ على غير إرادتهم، فمنهم من يلقي عذابه سريعاً في الدنيا والآخرة، ومنهم من يطيل الله في إمهاله حتى إذا أخذه لم يفلته فيلاقي أشدَّ العذاب في الآخرة والله تعالى أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿وَبَارِكْ أَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس (يُرْجَعُونَ) بياء الغيب.

٢ - قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بقاء الخطاب (٦٨٢).

(٦٨١) شذا العرف في الصرف ص ٤٠، للأستاذ الدكتور أحمد الحملاوي.

(٦٨٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٠، تحبير التيسير ص ٢٠٤.

## المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة  
فُصِّلَتْ (٦٨٣).

## التفسير:

يَرُدُّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة على مَنْ ادَّعى الله تعالى الولدَ،  
ووصفه بما لا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، فأثبت لنفسه ما لا ينبغي  
لغيره، ويُستحال لهم، ونَزَّه نفسه عن العيوب والنقائص، فهو خالق  
السموات والأرض، وصاحب الأمر فيهما، وهو وحده الذي يعلم متى تقوم  
الساعة، ويُبعثُ الناس من قبورهم لِيُجازَى كُلُّ بعمله الذي اكتسبه في الدنيا،  
فإن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشرّاً.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وتبارك الذي له سلطان السموات  
السبع، والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه،  
ماض فيهم قضاؤه، يقول: فكيف يكون له شريكاً من كان في سلطانه،  
وحكمه فيه نافذٌ ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم  
فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، قوله ﴿وَالْيَوْمَ  
تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه أيها الناس تُردُّون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه،  
فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته» (٦٨٤).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُرْجَعُونَ) بياء الغيب بالمبني للمفعول أنَّ الإخبار واقعٌ  
من الله تعالى عن هؤلاء المشركين، أنَّهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة  
بأسرٍ أمرٍ وبدون كلفةٍ لِيُحاسَبوا على أعمالهم في الدنيا (٦٨٥).

(٦٨٣) انظر ص ٩٨ من هذا البحث.

(٦٨٤) جامع البيان م ١١ ص ٢٥ ص ٦٢.

(٦٨٥) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢١٤.

وأما قراءة ﴿تَرْجَعُونَ﴾ بقاء الخطاب بالمبني للمفعول أفادت على رأي بعض أهل التفسير أن الخطاب موجّه إلى الرسول ﷺ بأن يقول لهم ذلك، قال مكي بن أبي طالب: «وقرأ الباقر بالتاء على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون»<sup>(٦٨٦)</sup>.

واعتبر بعض العلماء القراءة الثانية هي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتهديد وعليه فإن المخاطبين هم المجرمون المذكورون وفي هذه القراءة التهديد أشدّ وأبلغ لأنّ العتاب بالمواجهة أشدّ تأثيراً وأدّل على شدة الغضب<sup>(٦٨٧)</sup>.

قال البقاعي: «وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن يعقوب بالخطاب أشدّ تهديداً من قراءة الباقرين، وأدّل على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب»<sup>(٦٨٨)</sup>، وقال بعض العلماء: يجوز أن يراد به الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة فيكون الغيب مرادين مع غيرهم<sup>(٦٨٩)</sup>.

وقال حقّي: «الالتفات للتهديد، أي: تردّون للجزاء فاهتموا بالاستعداد للقاءه قال بعض الكبار وإليه تُرْجَعُونَ بالاختيار والإضطرار فأهل السعادة يَرْجَعُونَ إليه بالاختيار على قدم الشوق والمحبة والعبودية، وأهل الشقاوة يَرْجَعُونَ إليه بالإضطرار بالموت بالسلاسل والأغلال يُسْحَبُونَ على وجوههم إلى النار»<sup>(٦٩٠)</sup>.

(٦٨٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٢.

(٦٨٧) انظر حاشية القونوي ج ١٧ ص ٣٦٢، روح المعاني ج ٢٥ ص ١٠٧.

(٦٨٨) نظم الدرر ج ٧ ص ٥٨.

(٦٨٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٢.

(٦٩٠) روح البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ٤٤١.



## الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين على المبني للمجهول تدلان على أن الجميع راجع إلى الله تعالى على وجه التأكيد ليجازى كل بعمله، وذلك يتم بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ دون كلفةٍ على الله تعالى سواءً رغبوا بذلك أم لم يرغبوا، وبالجمع بين القراءتين فالخطاب يعُمُّ الجميع من الحاضرين من كفار قريشٍ على وجه التهديد والوعيد، وغيرهم من الغائبين تحذيراً لهم من أن يبقوا على كفرهم أو أن يفعلوا مثلهم، أو إخباراً عَمَّنْ قضى منهم، والله تعالى أعلم.

٢١ - قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَنْزِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

[الزخرف: ٨٨].

## القراءات:

١ - قرأ حمزة، وعاصم ﴿وَقِيلِهِ﴾ بخفض اللام، وكسر الهاء.

٢ - قرأ الباقون (قِيلَهُ) بفتح اللام وضم الهاء<sup>(٦٩١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لها عند تفسير الآية (٢٤) من هذه السورة<sup>(٦٩٢)</sup>.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن علم الله تعالى بشكوى رسول الله ﷺ قومه إلى ربه بأنهم تخلفوا عن الإيمان بالله تعالى وحده وكذبوا به وبرسالته وبما أنزل عليه، وهذه الشكوى صدرت منه ﷺ بعد ما ضَجِرَ منهم وعرف إصرارهم على الكفر والعناد.

قال الزحيلي: «ثم أعلن الله تعالى علمه بشكوى النبي ﷺ من إعراض

(٦٩١) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٠، تحبير التيسير ص ٢٠٤.

(٦٩٢) انظر ص ١٦٨ من هذا البحث.

قومه قائلاً: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: ويعلم الله تعالى علم الساعة، وقول النبي ﷺ وشكواه إلى ربه من قومه الذين كذبوه: يا رب إن هؤلاء القوم الذين أرسلتني إليهم قومٌ لا يؤمنون، ولا يصدقون بك، ولا برسالتي إليهم، كما أخبر تعالى في آية أخرى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] (٦٩٣).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف علماء التفسير والقراءات فيما تفيده كل قراءة من القراءتين السابقتين على عدة أوجهٍ فذكر مكي بن أبي طالب خمسة أوجهٍ لقراءة النصب وهي جميع ما ذكره العلماء ووجهاً واحداً لقراءة الكسر، وغيره زاد عليه في قراءة الكسر وجهاً آخر، فقال: «وحجة من قرأ بالنصب أنه يَنْصُب (قِيلَ) على أحد خمسة أوجهٍ: الوجه الأول: أنه معطوفٌ على مفعول (يكتبون) المحذوف، تقديره: ورُسِّلنا لديهم يكتبون ذلك وقيله يا رب (٦٩٤)، والوجه الثاني: أن يكون معطوفاً على مفعول (تعلمون) المحذوف، تقديره: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون الحق وقيله، أي: يعلمون قيله يا رب (٦٩٥)، والوجه الثالث: أن يكون معطوفاً على قوله ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ أي: نسمع سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ونسمع قيله يا رب (٦٩٦). والوجه الرابع: أن يكون معطوفاً على موضع الساعة، في قوله: ﴿وَعِنْدُ عِلْمِ السَّاعَةِ﴾، لأنَّ معناه: يعلم الساعة ويعلم قيله (٦٩٧)، والوجه الخامس: أن ينتصب على

(٦٩٣) التفسير المنير ج ٢٥ ص ١٩٨.

(٦٩٤) انظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣٠، فتح القدير ج ٤ ص ٧٩٥.

(٦٩٥) انظر المرجعين السابقين ج ٨ ص ٣٠، ج ٤ ص ٧٩٥.

(٦٩٦) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٣، الكشف ج ٣ ص ٤٩٨، زاد المسير ص ١٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٢٩.

(٦٩٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٢، الكشف ج ٣ ص ٤٩٨، زاد المسير ص ١٢٨٥، روح المعاني ج ٢٥ ص ١٠٨.

المصدر كأنه قال: ويقول قِيلَهُ<sup>(٦٩٨)</sup>.

«وحجة من خفضه أنه على لفظ الساعة، أي: وعنده علمُ الساعة وعلمُ قِيلِهِ يا ربِّ، أي: ويعلمُ وقت قيام الساعة، ويعلمُ قوله وتضرعه»<sup>(٦٩٩)</sup>، وذكر ابن عاشور وجهاً آخر إلى قراءة الكسر فقال: «(قيله) يجوز في جرّه وجهان: أحدهما أن يكون عطفاً على الساعة في قوله: ﴿وَعِنْدُكُمْ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: وعلمُ قيل الرسول: يا ربِّ، وهو على هذا وعد للرسول بالنصر وتهديدٌ لهم بالانتقام، وثانيهما: أن تكون الواو للقسم ويكون جواب القسم جملة ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على أن الله أقسم بقول الرسول: يا رب تعظيماً للرسول ولقيله الذي هو تفويضٌ للربِّ وثقةً به»<sup>(٧٠٠)</sup>.

٢٢ - قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

## القراءات:

١ - قرأ المدنيان وابن عامر (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بقاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بياء الغيب<sup>(٧٠١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى<sup>(٧٠٢)</sup>.

(٦٩٨) انظر معاني القراءات ج ٢ ص ٣٦٩، الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٢، التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٧٢.

(٦٩٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣، انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧٩٥.

(٧٠٠) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٧٣، انظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣٠.

(٧٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٠، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٠٢) انظر ص ١٤٣ من هذا البحث.

## التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عن علمه بشكوى رسول الله ﷺ قومه إليه بسبب كفرهم وإصرارهم على عداوته، أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالإعراض عنهم، ونبذ إشراكهم قائلاً: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)، أي: اصفح عن المشركين صفح المغاضب لا الموافق المجامل، وأعرض عما يقولون، وما يرمونك به من السحر والكهانة، واصبر على دعوتهم إلى أن يأتي أمر الله، وقل: أمري معكم مسالمة ومتاركة إلى حين، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، وهذا تهديد شديد ووعد أكيد من الله لهم، ووعدٌ ضمني بنصر الإسلام والمسلمين عليهم (٧٠٣).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بقاء الخطاب على رأي أهل التفسير أن الخطاب موجه إلى سيدنا محمد ﷺ، على معنى قل لهم يا محمد: (سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)، قال الطبري: «واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بالتاء على وجه الخطاب بمعنى: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلام» (٧٠٤).

وفي قراءة (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بالخطاب مبالغة وشدة في التهديد والوعيد لكفار قريش لأن التهديد بالمواجهة أشد تأثيراً وأدُل على تناهي الغضب وشدة (٧٠٥).

وأما قراءة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب فإنها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنهم سوف يعلمون يوم يلاقون العذاب، عاقبة إجرامهم

(٧٠٣) انظر التفسير المنير ج ٢٥ ص ١٩٨.

(٧٠٤) جامع البيان م ١٠ ج ٢٥ ص ٦٣، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٣، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ص ٣٦٨.

(٧٠٥) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ٦.

وكفرهم، وفي هذه القراءة تهديدٌ ووعدٌ أيضاً للكافرين، قال الطبري: «وقرأته عامة قراء الكوفة، وبعض قراء مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على وجه الخبر وأنه وعيدٌ من الله تعالى للمشركين، فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلامٌ، ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلحقون من البلاء، والنكال، والعذاب على كفرهم»<sup>(٧٠٦)</sup>.

وقال ابن عاشور: «وقرأه الجمهور بياءٍ تحتيةٍ على أنه وعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه منتقمٌ من المكذبين»<sup>(٧٠٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان ثبوت التهديد والوعيد لكفار قريش، إلا أن قراءة (تعلمون) بالخطاب أشدّ تهديداً وأبلغ في التهويل من قراءة (يعلمون) بالغيب، لأنّ العتاب بالمواجهة أشدّ تأثيراً وأدلّ على شدة الغضب<sup>(٧٠٨)</sup>.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لكفار قريش تهديداً لهم إنكم سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة جرمكم وكفركم عندما تلاقون أشدّ العذاب كما سيعلم غيْرهم من الكفار والظالمين عاقبة ظلمهم وكفرهم يوم القيامة.

(٧٠٦) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٦٣، انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٣٠.

(٧٠٧) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٧٤.

(٧٠٨) انظر حاشية القنوني ج ١٧ ص ٣٦٢، عند تفسيره للآية (٨٥) من هذه السورة.

### المبحث الثالث

## عرض وتفسير لآيات سورة الدخان المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧].

### القراءات:

١ - قرأ الكوفيون ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بخفض الباء.

٢ - قرأ الباقون (رَبُّ السَّمَوَاتِ) برفع الباء<sup>(٧٠٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال الرَّبُّ في غير الله تعالى إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك، وتقول: الله رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أي: مالكه ومستحقه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رَبُّ الأرباب، ومالكُ الملوك.

ويُقال لكلِّ من مَلَكَ شيئاً، هو رَبُّه، فيقال: هو رَبُّ الدَّابة، وربُّ الدَّار، وربُّ البيت.

(٧٠٩) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

وَالرَّبُّ فِي اللِّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى الْمَالِكِ، وَالسَّيِّدِ، وَالْمُدَبِّرِ، وَالْمُرَبِّي،  
وَالْقَيِّمِ، وَالْمُنْعِمِ<sup>(٧١٠)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن حقيقة مصدر القرآن الكريم الذي لا ينبغي إلا  
لله العظيم الذي له أجل الصفات وأعظمها وهو مالك هذا الكون كله وهو  
ربُّ السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، قال الطبري: «يقول  
تعالى ذكره: الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك إلى هؤلاء  
المشركين رحمةً من ربك مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من  
الأشياء كلها، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة  
ما أخبرتكم من أن ربكم ربُّ السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله  
هو الذي هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمداً ﷺ رسوله حقٌّ  
يقينٌ فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء وغيره»<sup>(٧١١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نحويةٌ والمعنى متقاربٌ بينهما، حيث إنَّ  
كل قراءة كان لها أثرها في الإعراب، فعلى قراءة (رَبُّ) بالرفع يكون إعرابها  
على أحد ثلاثة أمور:

- إمّا أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والمعنى: (هُوَ رَبُّ السموات والأرض).

- وإمّا أن يكون مبتدأ وخبره جملة (لا إلهَ إلاَّ هو).

- وإمّا أن يكون بدلاً من (السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) والمعنى: (الذي أنزلَ القرآنَ هو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وهو ربُّ السموات والأرض).

(٧١٠) انظر لسان العرب ج ١ ص ٣٩٩، مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٦.

(٧١١) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٦٦.

وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ (رَبِّ) بِالْكَسْرِ يَكُونُ إِعْرَابُهَا عَلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ:

- إِمَّا بَدَلًا مِنْ (رَبِّكَ) وَالْمَعْنَى: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٧١٢).

- وَإِمَّا نَعْتًا مِنْ (رَبِّكَ) أَيْضًا وَالْمَعْنَى: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٧١٣).

قَالَ مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَرَأَهُ الْكُوفِيُّونَ بِخَفْضِ (رَبِّ) عَلَى الْبَدَلِ مِنْ (رَبِّكَ) الْمَتَقَدِّمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، قَطَعُوهُ مِمَّا قَبْلَهُ، وَخَبَرَهُ الْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهُ، قَوْلُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، وَيَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، أَيْ: هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ» (٧١٤).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

## القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (يَوْمَ نَبْطِشُ) بضم الطاء.

٢ - قرأ الباقر (نَبْطِشُ) بكسر الطاء (٧١٥).

## المعنى اللغوي للقراءات:

الْبَطْشُ: أَخَذَ الشَّيْءَ بِقُوَّةٍ وَعَنْفٍ (٧١٦)، «وَيُقَالُ: بَطَشَ بِهِ بَطْشًا: أَخَذَهُ بِالْعَنْفِ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، وَيُقَالُ:

(٧١٢) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧٩٩، التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٨٣، مجمع البيان ٥٥ ج ٢٥ ص ١٠٦.

(٧١٣) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٧٩٩.

(٧١٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٤.

(٧١٥) المبسوط ص ٢٤٦، انظر البدور الزاهرة ص ٤٠٤.

(٧١٦) انظر القاموس المحيط ص ٥٢٦.



بَطِشَتْ به الدنيا، وبالشئ: أمسكه بقوة<sup>(٧١٧)</sup>.

### التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن توعده الله تعالى للمشركين بأن يأخذهم أخذاً عنيفاً وقاسياً، وينتقم منهم انتقاماً شديداً بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم وتكذيبهم نبيه ﷺ، واختلف علماء التفسير في المراد بيوم البطشة على قولين:

الأول: أنه يوم القيامة وهو قول ابن عباس والحسن.

والثاني: أنه يوم بدر، وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعب<sup>(٧١٨)</sup>.

قال الزحيلي: «يَوْمَ تَبِطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿٧١﴾» أي: إنكم مؤجلون إلى عذاب شديد هو عذاب النار في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يكون فيه البأس الأكبر، والأخذ الأشد، وفيه ننتقم أشد الانتقام، أي: نعاقب هؤلاء الكفار، وقيل كما روي عن ابن مسعود: إنه يوم بدر لما عادوا إلى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم، انتقم الله منهم بوقعة بدر، قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر<sup>(٧١٩)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أن العلاقة بين القراءتين لُغَوِيَّةٌ، ومعناها واحد، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (تَبِطُشُ) بفتح النون وكسر الطاء: أي تَبِطُشُ بهم، وقرأ الحسن، وأبو جعفر بضم الطاء وهي لغة<sup>(٧٢٠)</sup>، وقال أبو السعود: «وَقُرِئَ (تَبِطُشُ) بضم الطاء وهي لغة<sup>(٧٢١)</sup>».

(٧١٧) المعجم الوسيط ص ٨١.

(٧١٨) انظر زاد المسير ص ١٢٨٩.

(٧١٩) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢١٤.

(٧٢٠) فتح القدير ج ٤ ص ٨٠١.

(٧٢١) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٠٢.

وقال د. محمد محيسن: «نَبْطُش» قرأ أبو جعفر بضم الطاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان بمعنى واحد<sup>(٧٢٢)</sup>.

ويمكن أن يُحمل معنى كل قراءة على الحركة غير الإعرابية في كل قراءة من القراءتين المذكورتين «حيث إنَّ النطق بالضم أثقل ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسر»<sup>(٧٢٣)</sup>، ممَّا يجعل لذلك أثراً في المعنى، وعلى ذلك فإنَّ قراءة (نَبْطُش) بالضم تدل على ثقل حالة البطش الحاصلة للكفار فهي أثقل وأشقُّ وأعظم أنواع البَطْش عليهم من حالة البَطْش الناتجة عن قراءة (نَبْطُش) بالكسر فالبطش في هذه القراءة يكون شديداً ولكَّه أخفُّ ممَّا عليه حالة البطش في القراءة السابقة.

وعلى ذلك يمكن حمل المعنيين اللَّذَيْن ذكرهما كلٌّ من ابن عباس، وابن مسعود على القراءتين السابقتين، فيمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن مسعود وهو أنَّ المقصود بيوم البطش: هو يوم بدرٍ، على قراءة (نَبْطُش) بالكسر، لأنَّه مَهْمَا بلغت شدة البَطْش في الدنيا لا تبلغ درجة البَطْش في الآخرة يوم القيامة، ويمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن عباس، وهو أنَّ المقصود بيوم البَطْش: هو يوم القيامة على قراءة (نَبْطُش) بالضم، لأنَّ أعظم أنواع البَطْش وأشدُّه لا يتحقق إلا في الآخرة، والله تعالى أعلم.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى على ما ذكر سابقاً، أنَّ الله تعالى تَوَعَّد كفار مكة بأخذٍ شديدٍ وانتقامٍ عسيرٍ في الدنيا، وقد وقع لهم ذلك بقتل صناديدهم في معركة بدرٍ، وسيستقم منهم بأشدَّ من ذلك الانتقام وأعظمه في الآخرة يوم يلاقون أشدَّ العذاب في النَّار، فالانتقام والبطش بهم واقعٌ لهم في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

(٧٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٧٤.  
(٧٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ١٠٣ بتصرف قليل.

٣ - قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣].

### القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (فاسر) بهمزة وصل.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع<sup>(٧٢٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«السرى: سِير الليل، يقال: سَرَى وَسَرَى».

والسرى: سِير الليل عامته، وقيل: السرى سِير الليل كله، وسَرَيْتُ سُرَى وَمَسْرَى، وَأَسْرَيْتُ بمعنى إذا سِرْتُ لَيْلًا، وبالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن بهما جميعاً، ويقال: قد سَرَى به، وأسرى، وسَرَيْتُ بِاللَّيْلِ، وَأَسْرَيْتُ، إذا سِرْتُ لَيْلًا<sup>(٧٢٥)</sup>، ومعنى سَرَى أي: مضى، وفي التنزيل: ﴿وَأَلْبِئْ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤] أي: يمضي<sup>(٧٢٦)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن أمر الله تعالى لموسى ﷺ استجابةً لطلبه بعد أن اشتدَّ الحال بمن آمن مع موسى ﷺ من بني إسرائيل، وتأمّر فرعون وقومه على قتله، بأن يأخذ من آمن معه ويسير بهم لَيْلًا حتى لا يدركه فرعون وقومه، إذا ما علموا بخروجه لأنهم سيتبعونه بحثاً عنهم.

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا﴾ أي: فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أسر بعبادي بمن آمن بالله من بني إسرائيل (ليلاً) أي: قبل الصباح»<sup>(٧٢٧)</sup> ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ قال ابن عاشور: «تفيد تعليلاً للآخر

(٧٢٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٩، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٣.

(٧٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٨.

(٧٢٦) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٣٨٢.

(٧٢٧) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٤٠.

بالإسراء ليلاً لأنه مما يستغرب، أي: إنكم مُتَّبِعُونَ، فأردنا أن تقطعوا مسافةً يتعذر على فرعون لحاقتكم»<sup>(٧٢٨)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أن العلاقة بين القراءتين هي من قبيل اللُّغات والمعنى واحد، قال الرازي: «قرأ ابن كثير، ونافع ﴿فَأَسْرَى﴾ موصولة الألف والباقون مقطوعة الألف، سَرَى وأسْرَى لغتان»<sup>(٧٢٩)</sup>.

وقال السمرقندي: «قرأ ابن كثير، ونافع، (فاسرٍ) بجزم الألف، وقرأ الباكون: ﴿فَأَسْرَى﴾ ومعناها واحد يُقَال: سَرَيْت، وَأَسْرَيْت: إذا سِرْتَ بالليل»<sup>(٧٣٠)</sup>.

إلا أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن القراءتين بينهما اختلاف في المعنى، فقليل إن: أسْرَى لأول الليل، وسَرَى لآخره، قال ابن عادل: القراءتان مأخوذتان من لُغَتِي هذا الفعل فإنه يقال: سَرَى، ومنه ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر: ٤]، وأسْرَى، ومنه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وهل هما بمعنيين واحدٍ أو بينهما فرق؟ خلاف، فقليل: هما بمعنيين واحدٍ، وقيل: أسْرَى لأول الليل، وسَرَى آخره<sup>(٧٣١)</sup>.

ويؤيد ذلك ابن عطية بقوله: «قرأ نافع وابن كثير (فاسرٍ) من سَرَى إذا سار في أثناء الليل، وقرأ الباكون ﴿فَأَسْرَى﴾ إذا سار في أول الليل»<sup>(٧٣٢)</sup>. وينحوه قال القرطبي<sup>(٧٣٣)</sup>.

(٧٢٨) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢٩٩.

(٧٢٩) التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص ٢٤٧، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٥٣٥ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٠) بحر العلوم ج ٢ ص ١٣٧، انظر تفسير البغوي ج ٢ ص ٣٣٤. عند تفسيرهما للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣١) انظر الباب ج ١٠ ص ٥٣٧، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٢) المحرر الوجيز ج ٣ ص ١٩٨، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٧٤، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله تعالى أمر موسى ﷺ أن يسري بمن آمن معه من بني إسرائيل من أول الليل حتى يجاوز البلد الخارج منها وهي مصر ويكون قد وقع له النجاة والخروج آخر الليل بالسحر وعلى ذلك جاءت القراءتان لتوضّحا بداية السري ونهايته مع النجاة - والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

## القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (فَكَهِنَ) بحذف الألف بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقر (فَكَهِنَ) بإثبات الألف بعد الفاء (٧٣٤).

## المعنى اللغوي للقراءات:

«الفاكهة: قيل: هي الثمار كلها، وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرُّمان» (٧٣٥).

وأما الفاكه: فقال ابن منظور: إنه الذي كثرت فاكهته، والْفَكْه: الذي ينال من أعراض النَّاسِ، والْفَكْه: الأَشِيرُ البَطْرُ، والفاكهة من التفكه، وقرئ: (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ)، أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين، وأهل التفسير يختارون ما كان في وصف أهل الجنة فاكهين، وما كان في وصف أهل النار فكهين أي: أشرين على الحال (٧٣٦).

(٧٣٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٩، البدور الزاهرة ص ٤٠٥.

(٧٣٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤٣.

(٧٣٦) انظر لسان العرب ج ١٣ ص ٥٢٣.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهة متنوعة متعددة، ولكنهم كانوا بطرّين مستخفين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئاً.

قال د. محمد حجازي: «يا ويلهم كم تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، وقصورٍ ومجالس للسمر والتمتع، وكم تركوا من نعمة كانوا فيها أصحاب فاكهة، وكانوا أشرين بطرّين مستخفين مستهزئين لا يقومون بالشكر لصاحب تلك النعمة»<sup>(٧٣٧)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَكَيْهٍ﴾ بالألف بعد الياء أن فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعة ومتعددة وكانوا متنعمين طيبي الأنفس.

وأما قراءة (فَكَيْهين) فقد أفادت أنهم كانوا يعيشون في نعم كثيرة ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخفين بشكرها.

قال ابن عادل: «قوله: ﴿فَكَيْهٍ﴾ العامة على الألف، أي: طيبي الأنفس، أو أصحاب فاكهة كلابن، وتأمّر، وقيل: (فَكَيْهين): لاهين.

وقرأ الحسن، وأبو رجاء: (فَكَيْهين)، أي: مستخفين مستهزئين بنعمة الله»<sup>(٧٣٨)</sup>.

وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿فَكَيْهٍ﴾ بالألف، وقرأ أبو جعفر (فَكَيْهين) بغير ألف، والمعنى على القراءة الأولى: متنعمين طيبة أنفسهم،

(٧٣٧) التفسير الواضح ج ٣ ص ٦٥.

(٧٣٨) اللباب ج ١٧ ص ٣٢٢، انظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣٦.

وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين<sup>(٧٣٩)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشة هنية ويستمتعون بأنواع اللذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٥].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وحفص، وورش ﴿يَغْلِي﴾ بالياء على التذكير.

٢ - قرأ الباقون (تَغْلِي) بالتاء على التأنيث<sup>(٧٤٠)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الغُلُو: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاءً، وإذا كان في القَدَرِ، والمنزلة غُلُوً، ويقال: غلا في القول والأمر والدين، أي: جاوز الحد، ومنه الغلي والغليان يقال: في القَدَرِ إذا طفحت، ومنه قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٤ - ٤٦]<sup>(٧٤١)</sup>. وأغلى الماء: جعله يغلي، ويقال: أغلى القَدَرُ، وغلَّتِ القَدَرُ، أي: فارت، وطفحت بقوة الحرارة<sup>(٧٤٢)</sup>.

(٧٣٩) فتح القدير ج ٤ ص ٨٠٥ بتصرف يسير، انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٤٣.

(٧٤٠) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٤١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦١٣.

(٧٤٢) انظر المعجم الوسيط ص ٦٩٣.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن وعيد الله تعالى للكفار الجاحدين لقاء المكذبين نبيهم، وما أنزل الله تعالى، فبعد أن أقام ربُّ العزة ﷻ الدليل على حقيقة البعث والقيامة في آيات سابقة أعقبه بذكر ما يتعرض له هذا الكافر الجاحد يوم القيامة من عذاب شديد، وإذلال مُهين في نار جهنم على أيدي ملائكة العذاب.

قال الزحيلي: «وبعد إقامة الدليل على أنَّ القيامة حقٌّ، ووصف ذلك اليوم، أردفه تعالى بوعيد الفُجَّار الكُفَّار الجاحدين لقاءه قائلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ أي: إِنَّ الشجرة التي خلقها الله في جهنم وهي الشجرة الملعونة، يكون ثمرها طعام أهل النار الكثيري الإثم، قولاً وفعلاً، فإذا جاعوا أكلوا منها ويدخل معهم أبو جهل، و﴿الْأَثِيرِ﴾: مبالغة الإثم، ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾، أي: وذلك الطعام يشبه دردي الزيت، وعكر القطران، والثُّحاس المذاب، يغلي في بطون الكفار كغلي الماء الشديد الحرارة، لحرارته ورداءته، شبه ما يصير في البطون منها بالمهل: وهو الثُّحاس المذاب» (٧٤٣).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَغْلِي﴾ بياء التذكير أنَّ الفعل (يغلي) يعود على الطعام أي: أنَّ الطعام يغلي فهو الفاعل، وأما قراءة (تغلي) بقاء التأنيث فقد أفادت أنَّ الفعل (تغلي) يعود على الشجرة أي: أنَّ الشجرة تغلي فهي الفاعل، قال الطبرسي: «من قرأ (تغلي) بالتاء فعلي الشجرة كأنَّ الشجرة تغلي، ومن قرأ بالياء حملة على الطعام وهو الشجرة في المعنى» (٧٤٤).

قال مكي بن أبي طالب: «والمعنى في القراءتين واحدٌ، لأنَّ (الشجرة)

(٧٤٣) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢٣٦.

(٧٤٤) مجمع البيان ٥ ج ٢٥ ص ١١٧، انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٥١، نظم الدرر ج ٧ ص ٨١.



هي (الطعام) فالطعام هو الشجرة، ولا يجوز حمل التذكير في (يغلي) على (المهل) لأن (المهل) إنما ذكر للتشبيه، فليس هو الذي يغلي»<sup>(٧٤٥)</sup>.

٦ - قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧].

### القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب (فاعتِلُوهُ) بضم التاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿فاعتِلُوهُ﴾ بكسر التاء<sup>(٧٤٦)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

«العُتْلُ: الأخذ بمجامع الشيء وجُرُّه بقهر، كَعَتَلَ البعير»<sup>(٧٤٧)</sup>.

وقال ابن منظور: العُتْلُ هو: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، وقيل: هو الجافي الغليظ، وقيل هو الشديد من الرجال والدواب، ويقال: عَتَلَهُ يَغْتَلُهُ، وَيَعْتَلُهُ عَتْلًا، فَانْعَتَلَ، أي: جَرَّهُ جَرًّا عَنِيفًا، وجذبه فحمله، وفي التنزيل: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]. قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو فاعْتِلُوهُ، بكسر التاء، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب فاعْتِلُوهُ، بضم التاء، قال الأزهري: وهما لغتان فصيحتان، والمعنى: خُذُوهُ فاقْصِفُوهُ كما يُقْصَفُ الحطب، والعُتْلُ: الدفع والإرهاق بالسُّوق العنيف<sup>(٧٤٨)</sup>.

### التفسير:

في سياق الحديث عن وعيد الله تعالى للكافرين الجاحدين، وما

(٧٤٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٤ انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٧.

(٧٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٤٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٦.

(٧٤٨) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٤٢٣.

يتعرضون له من عذابٍ شديدٍ مُذِلٍّ ومُهينٍ يوم القيامة، تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن مشهدٍ آخر من مشاهد العذاب، والإذلال يتعرض له هؤلاء الكفار المجرمون على أيدي ملائكة العذاب فيقول تعالى: ﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَبِيمِ﴾ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيمِ ﴿٤٨﴾ والمعنى: أي: «يقال لزبانية جهنم: خذوه فجزؤوه جزاً بعنفٍ وشدةٍ، خذوه فجزؤوه إلى وسط جهنم، ثم صُبُّوا فوق رأسه عذاباً وهو الحميم» (٧٤٩) قال الطبرسي: «قال مقاتلٌ إنّ خازن النار يمرُّ به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يُصَّبُ فيه ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَبِيمِ﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حرُّه» (٧٥٠).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض المفسرين إلى أنّ العلاقة بين القراءتين لغوية ومعناها واحدٌ، قال مكي بن أبي طالب: «قوله (فأعتلوه) قرأه الحرميان، وابن عامر، بضم التاء، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان (عَتَلَ يَعْتَلُ، وَيَعْتَلُ) مثل (عَكَفَ يَعْكَفُ، وَيَعْكَفُ، وَحَشَرَ، يَحْشُرُ، وَيَحْشُرُ) ومعناه: فرُدُّوه بعنف» (٧٥١).

وقال السمرقندي: «قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، (فأعتلوه) بضم التاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، معناهما واحدٌ، يعني: امضوا به بالعنف والشدة» (٧٥٢).

إلا أنّ قراءة الضمِّ لها دلالة المبالغة والشدة في جرّ الكفار إلى العذاب وتعنيفهم أكثر منه في قراءة الكسر، لأنّ الضمَّ أقوى الحركات مما يدل على ثقل حالة الفعل الحاصل للكفار من جرّ إلى نار جهنم، وقراءة

(٧٤٩) التفسير الواضح ج ٣ ص ٦٩.

(٧٥٠) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١١٨.

(٧٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٤، انظر معاني القراءات ج ٢ ص ٣٧٢.

(٧٥٢) بحر العلوم ج ٣ ص ٢٢٠.

الكسر تدل أيضا على شدة جرّ الكفار وتعنيفهم إلا أنّ قراءة الضم أشدّ وأبلغ وأعنف.

قال البقاعي: «(فاعثّلوه) أي: جرّوه بقهرٍ وعنفٍ وسرعةٍ إلى العذاب، والإهانة بحيث يكون كأنّه محمولٌ، وقال الرازي في اللوامع: والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجرّه، وقراءة الضمّ أدل على تناهي الغلظة، والشدة من قراءة الكسر»<sup>(٧٥٣)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح لنا أنّ الكفار والمكذّبين يُجرّون جميعهم إلى نار جهنم بعنفٍ وشدةٍ وإذلالٍ، إلا أنّ درجة العنف والشدة في تعامل الملائكة للكفار تتفاوت بما يتناسب ودرجة كفرهم وتكذيبهم وعداوتهم للمسلمين، فهي مع أرباب الكفر وزعمائه أشدّ وأعنف وأبلغ من عامّة المكذّبين والكافرين، فكلّما زادت درجة الكفر والتكذيب والعداء كلّما اشتد الإذلال والقهر والإهانة لهم، والله تعالى أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

### القراءات:

١ - قرأ الكسائي (ذُقْ أَنْكَ) بفتح الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ بكسر الهمزة<sup>(٧٥٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

إنّ وأنّ: معناهما التوكيد فتقول: إنّ زيدا قائمٌ، كأنّك قلت: زيدٌ قائمٌ. <sup>(٧٥٥)</sup>

(٧٥٣) نظم الدرر ج ٧ ص ٨٢.

(٧٥٤) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٧.

(٧٥٥) انظر توجيه اللّمع ص ١٤٩.

وأما عن الفرق بينهما فيقول ابن الخباز: «وأما فرقه بين إنَّ وإنَّ: فاعلم أنهما يتفقان عملاً وتركيباً ومعنى، ويختلفان صيغةً وموضعاً، أما اتفاهما في العمل: فإنَّهما ينصبان الاسم ويرفعان الخبر، وأما اتفاهما في التركيب: فلأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما من همزةٍ ونونين، وأما اتفاهما في المعنى: فلأنَّهما يؤكدان الجملة، وأما اختلافهما في الصيغة فلأنَّ أولَ إحداهما مكسورٌ، وأولُ الأخرى مفتوحٌ، وذلك للفرق. وإنَّما خصَّوا بالفتح المصدريَّة: لأنَّها واسمها وخبرها في موضع اسم مفردٍ، وأما اختلافهما في الموضع: فلأنَّ إنَّ المكسورة وما بعدها في موضع الجملة، وأنَّ المفتوحة وما بعدها في موضع المفرد»<sup>(٧٥٦)</sup>.

### التفسير:

بعد أن عرض الله تعالى في آياتٍ سابقةٍ لمشاهد العذاب الذي يتعرض له الكافر في عذاب جهنم يوم القيامة تأتي هذه الآية لتستكمل مشهداً آخر من الإذلال والقهر، فيقال: له على سبيل السخرية والاستهزاء والإهانة: ذُق هذا العذاب فإنَّك أنت العزيز الكريم.

قال الطبرسي: «وذلك أنَّه كان يقول: أنا أعزُّ أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له المَلَك: ذُق العذاب أيها المتعزز المتكبر في زعمك، وفيما كنت تقول، وقيل إنَّه على معنى النقيض، فكأنَّه قيل: إنَّك أنت الذليل المهين، إلَّا أنَّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به، وقيل: معناه إنَّك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم فما أغنى ذلك عنك»<sup>(٧٥٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة (أَنَّك) بالفتح يكون المعنى: «ذُق لأنَّك أنت العزيز الكريم

(٧٥٦) توجيه اللُمع ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٧٥٧) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١١٨.

عند نفسك في دعواك، فأما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً<sup>(٧٥٨)</sup>، وذلك على تقدير لام التعليل<sup>(٧٥٩)</sup>، وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والتهكم<sup>(٧٦٠)</sup>.

وأما على قراءة (إِنَّكَ) بالكسر تكون (إِنَّكَ) ابتدائية على جهة الإخبار حكاية عن هذا الكافر لما كان يقوله في الدنيا وقيل إِنَّ المقصود بذلك هو أبو جهل حيث كان يقول: (ما بالوادي أعزُّ مِنِّي ولا أكرم) فنزلت هذه الآية<sup>(٧٦١)</sup>، «والمعنى: إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الكريم في زعمك وفيما كنت تقول في الدنيا، فجرى الخبر على ما كان يقول هو في الدنيا، ويصف نفسه به، أو على ما كان يوصف به في الدنيا»<sup>(٧٦٢)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

القراءتان تتحدان في المعنى بحيث إن الملائكة تقول لهذا الكافر (أبو جهل)، على رأي أهل التفسير الذي كان يعتبر نفسه أعزَّ النَّاس وأكرمهم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ على زعمك كما كنت تدعي وتصف نفسك به في الدنيا عند قومك لذلك ذق مزيداً من العذاب، وهذا الكلام على سبيل التهكم والاستهزاء والتوبيخ والاستحقار.

٨ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن عامر (مُقَام) بضم الميم الأولى.

- 
- (٧٥٨) حجة القراءات ص ٦٥٧، انظر تفسير البغوي ج ٤ ص ١٣٩.  
 (٧٥٩) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٧٦، غيث النفع في القراءات السبع ٤٧٨.  
 (٧٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٥٣، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٧٢.  
 (٧٦١) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٨٢، لباب النقول للسيوطي ص ٣٨٨.  
 (٧٦٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٥.
-

٢ - قرأ الباقون ﴿مَقَامٍ﴾ بفتح الميم الأولى (٧٦٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

القيام: نقيض الجلوس، وهو بمعنى: الوقوف والثبات، فيقال: قاموا، أي: بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين (٧٦٤).

والمَقَام: موضع القدمين، والمُقَام والمُقَامَة: الموضع الذي تقيم فيه، والمُقَامَة الإقامة، والمُقَامَة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس، وقد يكون كلُّ منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١] أي: لا موضع لكم، وقرئ (لا مُقَام لكم) بالضم: أي: لا إقامة لكم (٧٦٥).

### التفسير:

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال أهل النار، ووعيده للكافرين الجاحدين، وما يروونه من أهوال ذلك اليوم، أعقب ذلك بذكر أحوال أهل الجنة، ووعده ﷺ للمتقين بما يلاقونه في جنّات النعيم من أنواع التكريم في الملابس والزوجات والمآكل، يتمتعون فيها بحياة طيبة رغيدة، ويعيشون في منزل كريم يليق بهم، يكونون فيه آمنين من كل شر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١) أي: «إِنَّ المتقين الله في الدنيا الخائفين عقابه، المنتظرين فضله وثوابه، يكونون في الآخرة في مجالس يأمنون فيها من الموت ومن كل ما يحزنهم، ويصيبهم من الآفات والآلام» (٧٦٦).

(٧٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٦٤) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٤٩٦.

(٧٦٥) المصدر السابق ج ١٢ ص ٤٩٨.

(٧٦٦) تفسير المراغي ج ٩ ص ١٣٧.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (في مقام) بالضم أن المقصود هو الإقامة، وأما قراءة (في مقام) أفادت أن المقصود هو مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه<sup>(٧٦٧)</sup>، وهذه القراءة أعم من حيث المعنى حيث إنها شملت الإقامة ومكان القيام وهو المجلس والمشهد معاً<sup>(٧٦٨)</sup>، والعلاقة بينهما تكون من قبيل علاقة الخصوص بالعموم، فلا تكون الإقامة أمانة إلا إذا كان المكان أميناً، وإذا كان المكان أميناً كانت الإقامة أمانة.

ويحتمل أنه يراد بكلا القراءتين المكان على المعنى اللغوي للقراءتين واستعمالتهما وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً<sup>(٧٦٩)</sup>.

قال الطبرسي: «من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد، كما قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ووصفه بالأمن يقوي أن المراد به المكان، ومن ضم فإنه يحتمل أن يريد به المكان من أقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً، ويجوز أن يجعله مصدراً ويقدر المضاف محذوفاً أي: موضع إقامة»<sup>(٧٧٠)</sup>.

(٧٦٧) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٣١٧.

(٧٦٨) انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٨٨.

(٧٦٩) انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٣٨٨، روح المعاني ج ٢٥ ص ١٣٤.

(٧٧٠) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١١٩.





### الفصل الثالث

## تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الجاثية - الأحقاف - محمد

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الجاثية المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأحقاف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة محمد المتضمنة للقراءات العشر.



## المبحث الأول عرض وتفسير آيات سورة الجاثية المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤].

### القراءات:

- ١ - قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آيات لقوم) بكسر التاء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ﴾ بضم التاء<sup>(٧٧١)</sup>. في الآيتين (٤) و(٥) من هذه السورة.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الآية في اللغة تطلق على عدة معانٍ منها:

- ١ - العلامة أو الدلالة أو الأمانة يقال: سُمِّيت الآية، من القرآن آيةً لأنها علامة لانقطاع كلامٍ من كلام.
- ٢ - الجماعة: يقال: خرج القوم بآيتهم أي: بجماعتهم. ويُقال: سُمِّيت الآية آيةً لأنها جماعةٌ من حروف القرآن.

---

(٧٧١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

٣ - المعجزة: قال تعالى: ﴿وَحَظَّنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: معجزة.

٤ - العبرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِقِينَ﴾ [يوسف: ٧] أي: أمور وعبر مختلفة.

وجمع الآية: آي، وآيات، والفعل تأيأ، أي: توقف وتمكث، تقديره تعي، ويقال: قد تأييت على وزن تفعّلت أي: تلبّث وتحبّست (٧٧٢).

### التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل قاطعة على وجود الله ﷻ ووحدانيته، وعظيم قدرته، وكمال قيومته، وتنزيهه عن كل نقص لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فبعد أن ذكر في الآية السابقة دلائل واضحة من الكون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣] أتبعها بذكر دليل آخر من الأنفس فقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [أي: إن في خلقكم دون وجود سابق، ومروركم في أطوار مختلفة من الخلق، من تراب، ثم من علقة ثم من مضغة إلى أن يصير الواحد منكم إنساناً كامل الذات والصفات البشرية، وفي خلق ما يفرق وينشر من دابة في نواحي الأرض المختلفة وأقاليمها المتفاوتة حرارة وبرودة واعتدالاً، وأراضيها الرطبة والجافة، وأنواع حيواناتها الإنسية والوحشية، والبرية والبحرية والجوية، آيات ودلائل أخرى شديدة الوضوح، تدل على قدرة الصانع العظيم وحكمته، التي يعتبر بها أهل اليقين، الذين آمنوا ثم قبلوا الحق... فأيقنوا يقيناً تاماً لا يخالطه أي شك (٧٧٣).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقة نحوية، فلكل قراءة أثرها في الإعراب،

(٧٧٢) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٦٢.

(٧٧٣) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢٥١.

والمعنى متقاربٌ بينهما. فعلى قراءة (آياتٍ) بالنَّصب في الموضعين تحمل على نصب (إِنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ فيكون المعنى: إِنَّ (في خلقكم آياتٍ لقوم يوقنون)، فتكون (آياتٍ) معطوفة على اسم (إِنَّ)، وخبرها (وفي خلقكم).

وأما على قراءة (آياتٍ) بالرفع في الموضعين فلها وجهان: إما أنها تحمل على العطف على موضع (إِنَّ) وما عملت فيه، لأنَّ موضعها رفع بالابتداء، وإما أنها تحمل على الاستئناف، بحيث يكون قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ ۝٧٧٤﴾ مستأنفاً، ويكون الكلام جملةً معطوفةً على جملة (٧٧٤).

٢ - قال تعالى: ﴿وَاخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا فِيهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٥].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (الرَّيح) بالتوحيد.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرَّيْح﴾ بالجمع (٧٧٥).

سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية (٣٣) من سورة الشورى (٧٧٦).

٣ - قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آياتٍ) بكسر التاء.

٤ - قرأ الباقون ﴿ءَايَاتٌ﴾ بضم التاء (٧٧٧).

(٧٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٧، مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١٢٣، المحرر الوجيز ج ٥ ص ٨٠.

(٧٧٥) انظر البدور الزاهرة ص ٤٠٦، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٧٦) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث.

(٧٧٧) انظر البدور الزاهرة ص ٤٠٦، النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١.

لقد تم الحديث عن هذه القراءة في الآية السابقة (٤) من هذه السورة<sup>(٧٧٨)</sup>.

٣ - قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا لَحِيطُ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَابْنِيهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

### القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن كثير، وأبو عمرو، وزوح، وحفص ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالغيب.

٢ - قرأ الباقون (تؤمنون) بالخطاب<sup>(٧٧٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، والأمانة ضد الخيانة<sup>(٧٨٠)</sup>، ومنه الإيمان: وهو ضد الكفر، ومعناه: التصديق والاعتقاد، وهو مصدر آمن يؤمن، إيماناً، وقيل: الإيمان: الثقة، آمن به أي: وثق به.

وعرّف الزّجاج الإيمان فقال هو: إظهار الخضوع وقبول الشريعة، ولَمَّا أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، وقيل: إنّ الإيمان هو: أداء الأمانة التي ائتمن الله الإنسان عليها من فرائض وعبادات، وقبول شريعته والعمل بها<sup>(٧٨١)</sup>.

### التفسير:

بعد أن عرض الله تعالى في الآيات السابقة آياته الباهرة الدالة على

(٧٧٨) انظر ص ٢٣١ من هذا البحث.

(٧٧٩) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٧.

(٧٨٠) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٠.

(٧٨١) انظر لسان العرب ج ١٣ ص ٢١.

وحدانيته وعظيم قدرته، خاطب الله تعالى في هذه الآية نبيه محمداً ﷺ قائلاً له: «تلك آيات الله الكونية، وآياته نتلوها عليك يا رسول الله بالحق لا شك فيها ولا لبس ولا تغير بل هي آيات بيّنات وحجج واضحة، وما يعقلها إلا العالمون، وأما أنتم يا أهل مكة، فبأي حديث بعد هذا الحديث الذي أنزل الله، وبأية آية بعد هذه الآية تؤمنون» (٧٨٢).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تؤمنون) بقاء الخطاب على رأي بعض المفسرين أن الخطاب موجّه إلى النبي ﷺ أن يقول ذلك للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون» (٧٨٣).

وبعض المفسرين اعتبروا أن المخاطبين هم المشركون، وهذا على وجه التهديد، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به، فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم، وأدلتيه التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا ربّ لكم سواه تصدقون إن أنتم كذبتُم لحديثه، وآياته، وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تؤمنون) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين» (٧٨٤).

وفي هذه القراءة يكون التهديد والتبكييت لهم أشدّ وأبلغ، قال البقاعي: «من خاطب - وهم الجمهور - ردّوه على قوله (وفي خلقكم) وهي أقوى تبكيتاً» (٧٨٥).

وأما قراءة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالغيب فإنها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمداً ﷺ عن المشركين، على معنى: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله تعالى يؤمن هؤلاء المشركون، قال الطبري: «وأما على قراءة من

(٧٨٢) التفسير الواضح ج ٣ ص ٧٣.

(٧٨٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٧، انظر معالم التنزيل ج ٤ ص ١٤٢.

(٧٨٤) جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٨٥، انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ٨٢.

(٧٨٥) نظم الدرر ج ٧ ص ٩٢.

قرأه (يؤمنون) بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك، وآياته هذه التي نبّه هؤلاء المشركين عليها، وذكّرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون»<sup>(٧٨٦)</sup> وقال القرطبي: «وقراءة العامة بالياء على الخبر»<sup>(٧٨٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان التوبيخ والتقريع مع التهديد لكفار قريش، إلا أن قراءة (تؤمنون) بالخطاب أشدّ توبيخاً، وتقريعاً وأقوى تهديداً من قراءة (يؤمنون) الغيب.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون الحُجج القاطعة والأدلة الباهرة على وحدانيته، موبخاً لهم ومهدداً إياهم، إن كنتم لا تؤمنون بها فبأي حديث بعد حديث الله تعالى وآياته تؤمنون أيها المشركون.

٤ - قال تعالى: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١١].

### القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب ﴿مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ بضم الميم.

٢ - قرأ الباقون (مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٍ) بخفض الميم<sup>(٧٨٨)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الألم: الوجع، والجمع آلام، والأليم: المؤلم المُوْجَع، والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، وإذا قلت عذاب أليم فهو بمعنى

(٧٨٦) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٨٥.

(٧٨٧) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٥٩.

(٧٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠١، البدور الزاهرة ص ٤٠٦.



مؤلم موجع<sup>(٧٨٩)</sup>.

### التفسير:

يخبر المولى ﷺ في هذه الآية الكريمة عن حقيقة القرآن الذي أنزله ﷻ على سيدنا محمد ﷺ، أنه هدى للناس، ودليل وبيان على الحق، يخرج الناس من الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وأن الذين كفروا بالله تعالى وجحدوا آياته الدالة على الحق لهم عذاب أليم موجع من أشد أنواع العذاب يوم القيامة.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد (هدى)، يقول: بيان ودليل على الحق يهدي إلى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهْنَ رَبِّهِمْ﴾، يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع»<sup>(٧٩٠)</sup> وقال البقاعي: «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ أَي: عقابٌ قَدْرٌ شَدِيدٌ جَدًّا عَظِيمٌ القَلْقَلَةُ والاضْطِرَابُ مُتَتَابِعُ الْحَرَكَاتِ»<sup>(٧٩١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَلِيمٌ﴾ بالضم أنها نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾ والمعنى: أن لهم عذاب أليم من جملة العذاب، على معنى: رجز هو العذاب<sup>(٧٩٢)</sup>، وعلى معنى: الرجز: أشد العذاب وأسوؤه، يكون المعنى: «لهم عذاب أليم من أسوأ أنواع العذاب وأشدّه ألماً وإهانة»<sup>(٧٩٣)</sup>.

(٧٨٩) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٢٢.

(٧٩٠) جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٨٥٦.

(٧٩١) نظم الدرر ج ٧ ص ٩٤.

(٧٩٢) انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ٨٢.

(٧٩٣) التفسير الوسيط م ١١ ج ٢٢ ص ١٤٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة سبأ.

قال ابن عاشور: «الرجز أشدُّ العذاب، ويجوز أن يكون حرف (من) للبيان فالعذاب هو الرُّجْز ويجوز أن يكون للتبعض، أي: عذابٌ ممَّا يسمى الرجز وهو أشدُّه»<sup>(٧٩٤)</sup>.

وعلى معنى الرجز: هو التَّجَسُّس أي: النجاسة، يكون المعنى: «لهم عذابٌ من تجرُّع رجسٍ أو شرب رجسٍ، فيكون تنبيهاً للعذاب»<sup>(٧٩٥)</sup>.

وأما قراءة (أليم) بالكسر فإنها أفادت أنها نعتٌ لـ (رجز) والمعنى يكون: «لهم عذابٌ من عذابٍ أليم، وذلك على معنى الرجز هو العذاب، فإذا كان عذابهم من عذابٍ أليم كان عذابهم أليماً»<sup>(٧٩٦)</sup>، ويحتمل أن يكون المعنى: لهم عذابٌ شديد القذارة سيئٌ جداً ووصفه أنه مؤلمٌ، وفي إسناد الألم إلى الرجز مبالغةٌ في وصف العذاب<sup>(٧٩٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية فيها زيادة بيانٍ للقراءة الأولى، حيث إنَّ القراءة الأولى بيَّنت أنَّ العذاب الذي يصيب هؤلاء المشركين أليمٌ، وأما القراءة الثانية بيَّنت أن هذا العذاب من أشدِّ أنواع العذاب وأقذره وأسوَّه، ممَّا تضيف مبالغةً تهديدٍ وزيادة تهويلٍ ووعيدٍ لهؤلاء الكفَّار.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: إنَّ الذين كفروا بآيات الله تعالى وجحدوها، لهم عذابٌ أليمٌ، قذرٌ وشديدٌ، من أسوأ أنواع العذاب وأشدِّه.

٥ - قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

(٧٩٤) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٣٣٥ بتصرف قليل.

(٧٩٥) اللباب ج ١٧ ص ٣٥٢.

(٧٩٦) المصدر السابق ج ١٧ ص ٣٥٢.

(٧٩٧) انظر تفسير أطفيش أباضي - المكتبة الإلكترونية - المكتبة الشاملة ج ١٠ ص ٣٩.

### القراءات:

- ١ - قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، (لَتَجْزِي) بالنون وكسر الزاي، وفتح الياء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿لَيَجْزِي﴾ بالياء، وكسر الزاي، وفتح الياء.
- ٣ - قرأ أبو جعفر (لَيُجْزَى) بضم الياء وفتح الزاي مجهلاً<sup>(٧٩٨)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الجزاء: هو المكافأة على الشيء، ويقال: جزاه به، وعليه جزاء، وجزاه مجازاةً وجزاءً، والجزاء يكون ثواباً، ويكون عقاباً، وقيل: إنَّ (جَزَيْتُهُ) لا يكون إلا في الخير، أمَّا (جَازَيْتُهُ) يكون في الخير والشر<sup>(٧٩٩)</sup>.

### التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ قائلاً له: يا محمد قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بَرِبَهُمْ وَاهْتَدُوا بِنُورِهِ، اغفروا للذين لا يخشون لقاء الله تعالى ولا يخافون بأسه وعذابه لأنَّ الله تعالى سيجازي المؤمنين بما عملوا من الصالحات، ويجازي الكافرين بما اجترحوا من السيئات<sup>(٨٠٠)</sup>. قال الطبري: «﴿لَيَجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله<sup>(٨٠١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿لَيَجْزَى﴾ بالياء وكسر الزاي وفتح الياء، أنَّ الله تعالى

(٧٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٧.

(٧٩٩) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٢٤٧.

(٨٠٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٨٢.

(٨٠١) جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٨٦.

يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاً بعمله وكسبه يوم القيامة وذلك على نسق قوله تعالى ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، أو أن الإخبار واقع من الرسول ﷺ عن ربه (أنه سيجزي) بتكليف من الله تعالى على معنى: «قل لهم يا محمد: ليجزي الله قوماً»<sup>(٨٠٢)</sup> قال ابن خالويه: «لِيَجْزِيَ قَوْمًا» يقرأ بالياء إخباراً من الرسول ﷺ عن ربه وبالنون إخباراً من الله ﷻ عن نفسه»<sup>(٨٠٣)</sup>.

وأما قراءة (لنجزى) بالنون وكسر الزاي، أفادت أن الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاً بعمله يوم القيامة، على معنى: نحن نجزي، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا﴾ [سبا: ١٧]<sup>(٨٠٤)</sup>، قال مكّي بن أبي طالب: «قوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ قرأه ابن عامر، وحمزة، والكسائي بالنون على معنى: الإخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه بالجزاء فهو المجازي كلاً بعمله»<sup>(٨٠٥)</sup>. وفي هذه القراءة التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

كلتا القراءتين أفادت أن الله ﷻ هو الفاعل وهو المجازي سواء قرأته بالياء أو النون إلا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيان لعظم الرحمن وقدرته الواسعة على المجازاة بالإحسان، أو بالعذاب والانتقام ففي ذلك مزيد ترغيب للمؤمنين، ومزيد تهديد ووعيد بالعقاب والانتقام من الكافرين الذين يؤذون عباده المؤمنين.

وأما قراءة (ليجزى) بضم الياء وفتح الزاي على التجهيل للفاعل على معنى: (ليجزى الخير أو الشرّ قوماً) فالخير أو الشر مفعول أول، أو أن يكون نائب فاعل بتقدير حرف الجر لجزائهم على اختلاف بين العلماء في إعرابها<sup>(٨٠٦)</sup>، أفادت الإبلاغ في تعظيم الفاعل لأنه معلوم لدى الجميع ولا

(٨٠٢) إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣١٣.

(٨٠٣) الحجة في القراءات السبع ص ٣٢٥.

(٨٠٤) انظر حجة القراءات ص ٦٦٠.

(٨٠٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٨.

(٨٠٦) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٨٢.

يحتاج إلى بيان أو دليل، وتعظيم ما أقيم مقام الفاعل، وهو الجزاء أيضاً لأنَّ عظمته على حسب ما أقيم مقامه<sup>(٨٠٧)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبين أنَّ الله تعالى أخبر عن نفسه أنه سيجازي كلَّ بعمله يوم القيامة، فالمؤمن يجازيه بإحسانه وإيمانه وصبره، إمعاناً وإكراماً عظيماً منه، والكافر سيجازيه بكفره ومعصيته وإيذائه للمؤمنين، انتقاماً شديداً منه يتناسب مع عظيم إثمهم ومعصيتهم لله تعالى.

٦ - قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [الجاثية: ١٥].

### القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء، وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَرْجَعُونَ﴾ بضم التاء، وفتح الجيم على المبني للمفعول<sup>(٨٠٨)</sup>.

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة فصلت<sup>(٨٠٩)</sup>.

٧ - قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الجاثية: ٢١].

(٨٠٧) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ٩٧.

(٨٠٨) انظر البدور الزاهرة ص ٤٠٧، إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٢.

(٨٠٩) انظر ص ٩٨ من هذا البحث.

## القراءات:

- ١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿سَوَاءٌ تَخَيَّرْتُمْ﴾ بالنصب.
- ٢ - قرأ الباقون (سواءً محياهم) بالرفع<sup>(٨١٠)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوب مساوٍ لذاك الثوب»<sup>(٨١١)</sup>، وسأواه: مائله وعادله، يقال ثوبٌ سواءٌ، ومكانٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعرضه<sup>(٨١٢)</sup>.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن ميزان العدل عند الله تعالى في التعامل مع الناس والحكم بينهم، فلا يمكن أن يساوي المشرك الذي اكتسب الشرك والمعاصي، بالمؤمن الذي صدق الله تعالى ورسوله في المنزلة والجزاء سواء في محياهم أو مماتهم، وفي هذه الآية ردٌّ على المشركين وأصحاب المعاصي الذين يظنون أنهم أفضل حالاً من المؤمنين في الآخرة لكونهم أحسن حالاً في الدنيا لأنهم يملكون القصور والأموال والسلطان.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أم ظنَّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله، وعملوا الصالحات فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلاً ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميَّز بين الفريقين فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير»<sup>(٨١٣)</sup>، «وهذا تهديد عامٌ لكل من خرج على الدين

(٨١٠) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، تحبير التيسير ص ٢٠٧.

(٨١١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٣٩.

(٨١٢) انظر المعجم الوسيط ص ٤٩٢.

(٨١٣) جامع البيان م ١١ ج ٢٥ ص ٨٩.

ولم يمثل أمره، بأنه ليس من العدل أن يُسَوَّى بينه وبين من سار على الصراط المستقيم»<sup>(٨١٤)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نحوية وكل قراءة لها أثرها في المعنى.

فقراءة (سواء) بالرفع تفيد أنها خبرٌ مقدّم والمبتدأ (محيائهم ومماتهم) والتقدير: محيائهم ومماتهم سواء، وعلى هذا يكون إخباراً من الله تعالى عنهم، أن محيائهم ومماتهم سواء، والضمير في محيائهم ومماتهم إما يختص بالكفار، وإما يعود على الفريقين من الكفار والمؤمنين، فتكون الجملة إخباراً عن حال كلٍّ من الكفار والمؤمنين بأن محيا الكفار ومماتهم سواء وهو غير كريم، ومحيا وممات المؤمنين سواء وهو كريم<sup>(٨١٥)</sup>.

قال البغوي: «وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، أي: محيائهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه: المؤمن مؤمنٌ ومماتٌ محيا، ومماتة أي: في الدنيا والآخرة، والكافر كافرٌ في الدنيا والآخرة»<sup>(٨١٦)</sup>، وفي هذا المعنى «قال مجاهد: المؤمن يموت مؤمناً، ويُبْعَثُ مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبْعَثُ كافراً»<sup>(٨١٧)</sup>.

وأما قراءة ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب تفيد أنها حالٌ من الضمير في (نجعلهم)، و(محيائهم) فاعلٌ، و(مماتهم) معطوفٌ عليه<sup>(٨١٨)</sup>، وبعض العلماء ذكر وجوهاً أخرى لقراءة النصب: أحدها أن تجعل (محيائهم ومماتهم) بدلاً من الضمير في (نجعلهم) فينصب (سواء) على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ (نجعل) على تقدير: أن نجعل محيائهم ومماتهم سواء، والثاني: أن تنصب (سواء) على أنه مفعول

(٨١٤) التفسير الواضح ٣ ج ٢٥ ص ٧٨.

(٨١٥) انظر المحرر الوجيز ٥ ص ٨٥.

(٨١٦) معالم التنزيل ج ٤ ص ١٤٣.

(٨١٧) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٦٥.

(٨١٨) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٨٣.

ثاني لـ (جعل) وتجعل محياهم ومماتهم ظرفين، والتقدير: أن نجعلهم سواء في محياهم ومماتهم ولكن على الوجهين الآخرين يلزم نصب محياهم ومماتهم<sup>(٨١٩)</sup>، ولم يثبت أن أحداً قرأ بها من القراء العشرة فيكون حمل قراءة النصب على الوجهين الآخرين مخالفاً للقراءة المتواترة لـ (محياهم ومماتهم بالرفع) فيبقى الوجه الأول لقراءة (سواء) على أنها حال من الضمير في (نجعلهم) هو المعتمد.

وعلى هذه القراءة يكون المعنى: «أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء، كلاً»<sup>(٨٢٠)</sup>. وفي ذلك إنكار حسابانهم، ونفي أن تكون حياة الكافرين وموتهم، كحياة المؤمنين وموتهم، ولذلك قال تعالى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي بنس ما حكم به هؤلاء الذين ساووا بين الذين اجترحو السيئات، والذين آمنوا وعلموا الصالحات.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى أنكر على هؤلاء المجرمين المجترحين للسيئات ادعاءهم أنهم في الآخرة في حال أفضل من المؤمنين لكونهم أكثر منهم مالاً وجاهاً في الدنيا، أو أنهم في منزلة المؤمنين في الآخرة فلا يمكن أن يتساوى الفريقان في حياتهم ولا في مماتهم فمن كان مؤمناً في الدنيا يبعث مؤمناً في الآخرة، ومن كان كافراً في الدنيا يبعث كافراً في الآخرة.

٨ - قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَفَّيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٨١٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٦٨.

(٨٢٠) معالم التنزيل ج ٤ ص ١٤٣.



## القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (عَشْوَةً) بفتح الغين، وإسكان الشين من غير ألف.

٢ - قرأ الباكون ﴿عَشْوَةً﴾ بكسر الغين، وفتح الشين، وألف بعدها<sup>(٨٢١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الغشاء: هو الغطاء وجمعها أغشية ومنه العِشَاوَةُ<sup>(٨٢٢)</sup>، ما يغطي به الشيء، والغاشية: كل ما يغطي الشيء كغاشية السرج، ويقال: غشيه غشاوة وغشاء أي: ستره<sup>(٨٢٣)</sup>.

## التفسير:

في هذه الآية الكريمة يرسم ربُّ العزة ﷻ صورةً حقيقيةً لطبيعة النفس البشرية التي تجحد آيات الله تعالى، وتتبع الهوى المتقلب، فتتجاذبها الشهوات ويتلاعب بها الشيطان، فكلُّما هوت شيئاً، اتبعته وركبته حتى أصبحت عبداً له، حتى أضلَّ الله صاحبها، وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في آيات الله تعالى، وجعل على بصره غطاءً حتى لا يبصر الرشd ولا يرى الحجة التي تنير له الطريق.

فيخاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ قائلاً له: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ أي: اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبته، لأنَّه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه في أموره، ولا يحجزه تقوى، وقيل: معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلَّت الدلالة على أنَّ العبادة تحقُّ

(٨٢١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، تحبير التيسير ص ٢٠٦.

(٨٢٢) انظر المعجم الوسيط ص ٦٨٦.

(٨٢٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠٧.

له، فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً، وكان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر، وقيل معناه: أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده، ويرتكب ما يدعو إليه ولم يرد أنه يعبد هواه ويعتقد أنه تحقق له العبادة لأن ذلك لا يعتقد أحد، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ﴾ أي: خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك، وقيل: أضله الله أي: وجده ضالاً على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه، وقيل معناه: أنه ضلَّ عن الله، ﴿وَحَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: من بعد هداية الله إياه، والمعنى: إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره، ووضوحه، فلا طمع في اهتدائه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون بهذه المواعظ» (٨٢٤).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقة لغوية، ومعناها واحد على رأي أهل التفسير.

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿غِشْوَةً﴾ بالألف مع كسر الغين، وقرأ حمزة، والكسائي (غِشْوَةً) بغير ألف مع فتح الغين، ومنه قول الشاعر:

لئن كنت ألبيستني غِشْوَةً لقد كنت أصغيتك الودَّ حيناً

وقرأ ابن مسعود، والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين، وهي لغة ربيعة، وقرأ الحسن وعكرمة بضمها» (٨٢٥)، وهي لغة عكل» (٨٢٦).

وقال السمرقندي: «قرأ حمزة، والكسائي، (غِشْوَةً) بنصب الغين بغير ألف، والباقون ﴿غِشْوَةً﴾ بكسر الغين، كما اختلفوا في سورة البقرة،

(٨٢٤) مجمع البيان ٥ ج ٢٥ ص ١٣٥، بتصرف يسير.

(٨٢٥) هذه القراءة ذكرها الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥١٢، وهي غير متواترة.

(٨٢٦) فتح القدير ج ٥ ص ١٢، انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ٨٧.

ومعناها واحد<sup>(٨٢٧)</sup>.

وقال د. محيسن: ﴿عَشَوَةٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر بفتح الغين وإسكان الشين وحذف الألف، والباقون بكسر الغين وفتح الشين، وإثبات الألف، وهما لغتان بمعنى واحد، وهو الغطاء<sup>(٨٢٨)</sup>.

٩ - قال تعالى: ﴿وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِئَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

### القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بنصب اللام.
- ٢ - قرأ الباقر (كل أمة) برفع اللام<sup>(٨٢٩)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الكل: اسم يجمع الأجزاء، يقال: كلهم منطلق، وكلهن منطلق، ومنطلق، الذكر والأنثى في ذلك سواء، والكل تدل على التناهي فتقول: العالم كل العالم، يريد بذلك التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخصال، فالكل عبارة عن أجزاء الشيء<sup>(٨٣٠)</sup>.

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن بعض أهوال يوم القيامة، وترسم صورة حقيقية لما يحدث مع الأمم من الناس في ذلك اليوم من هول ما يرون من شدة خوفهم ورعبهم.

(٨٢٧) بحر العلوم ج ٣ ص ٢٢٦، بتصرف قليل.

(٨٢٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٨٤.

(٨٢٩) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، تحبير التيسير ص ٢٠٦.

(٨٣٠) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٥٩٠.

يقول الزحيلي: ﴿وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ أي: وتنظر أصحاب كل ملة ودين واحد جائية على الركب من شدة الخوف والرعب، فالتأس لشدة الأمر يجثون بين يدي الله عند الحساب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: (كل أمة تدعى إلى كتابها المنزل على رسلهم، أو إلى صحيفة أعمالهم)، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّهَادَةِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في يوم القيامة يجزيكم الله بما عملتم في الدنيا من خيرٍ وشرٍ، تجازون بها من غير زيادة ولا نقص<sup>(٨٣١)</sup>، قيل: «إن الجثو للكفار خاصة، وقيل: هو عامٌ للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب»<sup>(٨٣٢)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقة نحوية ولكل قراءة أثرها في المعنى.

فقراءة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع تفيد أنها مبتدأ وخبرها ﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ والجمله استئنافٌ بيانيٌ لتبين أن الجثو للحساب<sup>(٨٣٣)</sup>. أي: أن بعد ذلك الجثو يكون الحساب.

وأما قراءة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب تفيد أنها بدل من (كل أمة) الأولى، والمعنى: وترى كل أمة تدعى إلى كتابها<sup>(٨٣٤)</sup>، وقراءة النصب فيها إيضاحٌ لسبب الجثو أن ذلك الجثو بسبب انتظار الحساب الذي يأتي بعد الجثو.

قال القرطبي: «قرأ يعقوب الحضرمي ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب على البدل من (كل) الأولى لما في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى، إذ ليس في جثوها شيء من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي

(٨٣١) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢٨٦.

(٨٣٢) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ١٣٨.

(٨٣٣) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٨٣٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ ص ٤٣٥، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٧٧.

إليه، وهو استدعاؤها إلى كتابها» (٨٣٥).

وقال ابن عاشور: «قرأ يعقوب (كلّ) بالنصب على البدل من قوله: ﴿وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ﴾ وجملة (تدعى) حال من (كلّ أُمَّةٍ) فأعيدت كلمة (كلّ أُمَّةٍ) دون اكتفاء بقوله (تدعى) أو يدعون، للتهويل، والدعاء إلى الكتاب بالأمم، تجثو ثم تدعى كلّ أُمَّةٍ إلى كتابها فتذهب إليه للحساب، أي: يذهب أفرادها للحساب، ولو قيل: وترى كلّ أُمَّةٍ جاثية تدعى إلى كتابها لأوهم أنّ الجثو والدعاء إلى الكتاب يحصلان معاً مع ما في إعادة الخبر مرة ثانية من التهويل» (٨٣٦).

### الجمع بين القراءتين:

القراءتان معاً توضحان أنّ جثو جميع الأمم يكون بسبب الحساب مع الترتيب بين الجثو والحساب، إذ الحساب يأتي بعد طول انتظارٍ من بعد الجثو، وفي ذلك زيادة تهويلٍ لتذهب أنفسهم كل مذهب، حيث إنّ انتظار الحساب أهول على النفس من الوقوع فيه، والله تعالى أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَقُضُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة (الساعة) بالنصب.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع (٨٣٧).

(٨٣٥) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٧٢.

(٨٣٦) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٣٦٨.

(٨٣٧) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، غيث النفع ص ٤٨٠.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَسْقَى الْقَمَرُ ۝﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿يَتَلَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] (٨٣٨).

## التفسير:

يخبر الله تعالى عما بلغه هؤلاء الكفار من الاستكبار، والعناد، والإصرار على الكفر، حيث إنهم إذا ذكروا بآيات الله تعالى وبحقيقة البعث، وقيام الساعة، أنكروها واستبعدوا وقوعها استغراباً أن ذلك قد يحدث، قال الزحيلي: «وإذا قيل لهؤلاء الكفار من طريق الرسول ﷺ والمؤمنين، إنَّ وعْدَ الله بالبعث والحساب، وبجميع الأمور المستقبلية في الآخرة حقٌّ ثابتٌ، وواقعٌ لا محالة، والقيامة لا شكٌ في وقوعها، فأمنوا بذلك، واعمَلُوا لما ينجيكم من العذاب، قلتم: لا نعرف ما القيامة، وإن نتوهم وقوعها إلَّا توهماً مرجوحاً أو ظناً لا يقين فيه ولا علم، وما نحن بمتحققين ولا موقنين أنَّ القيامة آتية» (٨٣٩).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نخوية والمعنى بينهما متقاربٌ على رأي الطبري (٨٤٠).

فقراءة (الساعة) بالنصب تفيد أنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ والمعنى: (وإذا قيل إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وإنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا) (٨٤١)، على أنَّ الجملتين متصلتان، وهما من تمام جملة مقول القول،

(٨٣٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٣٤.

(٨٣٩) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢٩٢.

(٨٤٠) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٥ ص ٩٦.

(٨٤١) انظر حجة القراءات ص ٦٢٦، معاني القراءات ج ٢ ص ٣٧٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ ص ٤٣٥.

سواء أكان من كلام النبي ﷺ أو من كلام المؤمنين.

وأما قراءة ﴿وَالسَّاعَةِ﴾ بالرفع تفيد أنها متبدأ وخبرها ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، على أنها استئناف بيان، أو أنها معطوفة على موضع (إِنَّ) وما عملت فيه، والمعنى: (وإذا قيل: إِنَّ وعد الله حق، وقيل والساعة لا ريب فيها)<sup>(٨٤٢)</sup>، وعلى ذلك ليس بالضرورة أن تكون الجملتان متصلتين فيمكن أن يقول الرسول ﷺ، أو المؤمنون جملةً منها، أو أن يقول الجملتان متصلتان، وفي كلتا الحالتين هم يشككون في آيات الله تعالى، وفي حقيقة البعث.

### الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبين شدة الحالة التي عليها الكفار من الإنكار والجحود لآيات الله تعالى ولحقيقة البعث وقيام الساعة، فهم في كل حال منكرون سواء ذكروا بآيات الله تعالى، أو بحقيقة البعث والحساب، أو بكلتيهما معاً.

١١ - قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اخْتَدْتُمْ إِلَهَ هُزُوا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾ [الجن: ٣٥].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (يُخْرَجُونَ) بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء<sup>(٨٤٣)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١١) من سورة الزخرف<sup>(٨٤٤)</sup>.

(٨٤٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٢، بحر العلوم ج ٣ ص ٢٢٨.

(٨٤٣) انظر إتخاف فضلاء البشر ص ٥٠٢، البدور الزاهرة ص ٤٠٧.

(٨٤٤) انظر ص ١٥٨ من هذا البحث.

## التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن سبب العقاب الذي يصيب هؤلاء المشركين يوم القيامة، ودخولهم النار، والمعنى: «أي: ذلكم العذاب الذي وقع بكم بسبب أنكم اتخذتم القرآن هُزواً ولعباً، وخذعتكم الدنيا بزخارفها وزينتها، فاطمأنتم إليها، وظننتم ألا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور، فاليوم لا يخرجون من النار، ولا يطلب منهم العتبي بالرجوع إلى طاعة الله، واسترضائه، لأنه يوم لا تقبل منه التوبة، ولا تنفع المَعذرة»<sup>(٨٤٥)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين بياء الغيبة، فيهما التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: لا تَخْرُجُونَ، بأسلوب الخطاب على نسق الخطاب السابق، ولكن عدل عن الخطاب إلى الغيبة تحقيراً وإهانةً لهم، قال أبو السعود: «وقرئ يَخْرُجُونَ من الخروج، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانةً أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيبة النار»<sup>(٨٤٦)</sup> إلا أن كل قراءة لها أثرها في المعنى.

ففي قراءة (يَخْرُجُونَ) بفتح الياء وضم الراء، أضاف الفعل لهم، أي: هم الفاعلون، على معنى أنهم يريدون أن يخرجوا من النار مندفعين بأنفسهم فلا يستطيعون الخروج لأن الله تعالى يمنعهم من ذلك، وهذا فيه إشارة إلى شدة ما يلاقونه من عذاب الآخرة مما يدفعهم للخروج دون تفكير ويؤيده قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]<sup>(٨٤٧)</sup>.

وأما في قراءة ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، بالمبني للمفعول،

(٨٤٥) التفسير المنير ج ٢٥ ص ٢٩٣، انظر تفسير المراغي م ٩ ج ٢٥ ص ١٦٦.

(٨٤٦) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١١٩، انظر روح المعاني ج ٢٦ ص ٢، فتح القدير ج ٥ ص ١٦.

(٨٤٧) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٣٧٦.



فالمحكي عنهم مفعولٌ به قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارةٌ إلى أنهم لا يستطيعون الخروج بأنفسهم، فيسألون من يُخرجهم من النار، فلا يُخرجهم أحدٌ، «لأنَّ الله لا يُخرجهم، ولا يقدر غيره على ذلك»<sup>(٨٤٨)</sup>.

قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور ﴿يُخْرِجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، فالمعنى: أنهم يسألون من يُخرجهم، فلا يخرجهم أحدٌ كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقوله: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقرأ حمزة، والكسائي (يُخْرِجُونَ) بفتح الياء، وضم الراء، فالمعنى: أنهم يفزعون إلى الخروج فلا يستطيعون لقوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]»<sup>(٨٤٩)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ هؤلاء الكفار من شدة ما يذوقون من عذاب جهنم يفزعون إلى الخروج من النار مندفعين فلا يستطيعون لأنَّ الله تعالى يمنعهم من الخروج ثم يعمدون إلى التوسل إلى الله تعالى ليخرجهم، أو إلى الملائكة فلا يخرجهم أحدٌ، لأنَّ الله تعالى كتب عليهم ذلك، فعلى القراءتين سواءً أرادوا الخروج بأنفسهم، أو اعتذروا إلى الله تعالى وتوسلوا إليه فلن يخرجوا منها، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾<sup>(٥٢)</sup> [غافر: ٥٢].

(٨٤٨) نظم الدرر ج ٧ ص ١١١.

(٨٤٩) التحرير والتنوير ١٢ ج ٢٥ ص ٣٧٦.

## المبحث الثاني عرض وتفسير آيات سورة الأحقاف المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

### القراءات:

- ١ - قرأ المدنيان، وابن عامر، ويعقوب (لِيُنذِرَ) بالتاء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالياء (٨٥٠).

### المعنى اللغوي للقراءات:

الإنذار: هو الإعلام مع التخويف، قال الأصفهاني: «الإنذار: إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]» (٨٥١).

يقال: أُنذره الشيء: أعلمه به، وَخَوَّفَه منه، ويقال: تناذر القوم: أي: أُنذر بعضهم بعضاً شراً، أو خَوَّفَ بعضهم بعضاً منه (٨٥٢).

---

(٨٥٠) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٢، تحبير التيسير ص ٢٠٦.

(٨٥١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٧.

(٨٥٢) انظر المعجم الوسيط ص ٩٥١.

## التفسير:

في سياق محاكاة النبي ﷺ المشركين لكفرهم بالقرآن وتكذيبهم النبي ﷺ، وفي سياق إقامة الأدلة على صدق الرسول ﷺ وصحة القرآن، وأنه من عند الله تعالى، تأتي هذه الآية لتقيم الدليل على صدق القرآن الكريم وصحته، ومعنى الآية: «ومما يدل على أن القرآن حق وصدق، وأنه من عند الله: اعترافكم بإنزال الله التوراة على موسى، الذي هو إمام، وقدوة يقتدى به في الدين، وهو رحمة لمن آمن به، وهذا القرآن الموافق للتوراة في أصول الشرائع، مصدق لكتاب موسى، ولغيره من الكتب الإلهية المتقدمة، أنزله الله حال كونه بلغة عربية، واضحة فصيحة يفهمونها، من أجل أن يُنذَر به هذا النبي من عذاب الله الذين ظلموا أنفسهم وهم مشركو مكة، ويبشر به المؤمنين الذين أحسنوا عملاً، فهو مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين، وهو ليس إفكاً قديماً كما يزعمون، بدليل توافقه مع التوراة»<sup>(٨٥٣)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لَتُنذِرَ) بالتاء على معنى المخاطبة أن المقصود بذلك هو النبي ﷺ خاصة، والمعنى: لتنذر أنت يا محمد<sup>(٨٥٤)</sup>، وعلى هذا يكون وصف النبي ﷺ بأنه منذر، ووصف الكتاب بأنه بشرى للمحسنين<sup>(٨٥٥)</sup>، أي: هذا الكتاب مصدق، وبشرى.

وأما قراءة ﴿لَتُنذِرَ﴾ بالياء على معنى الخبر عنه، فإنها تفيد أن الإنذار أسند إمّا إلى الكتاب، وعلى هذا يكون «(لَتُنذِرَ) علة للكتاب باعتبار صفته وحاله»<sup>(٨٥٦)</sup>، وإمّا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: ليخوف محمد ﷺ

(٨٥٣) التفسير المنير ج ٢٦ ص ٢٧.

(٨٥٤) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٣٢.

(٨٥٥) انظر التحرير والتنوير ١٢ ج ٢٦ ص ٢٦.

(٨٥٦) المصدر السابق ١٢ ج ٢٦ ص ٢٦.

بالقرآن الذين ظلموا<sup>(٨٥٧)</sup>، أو إلى الله تعالى، والمعنى: لينذر الله تعالى الذين ظلموا، ويحتمل أن يكون الإنذار أسند إلى القرآن، وإلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ في آن واحد «فيكون المعنى: لينذر القرآن، ولينذر الله تعالى، ولينذر محمد ﷺ»<sup>(٨٥٨)</sup>.

## الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى أنزل القرآن بهذه الصفات لينذر به الذين ظلموا، ويبشّر به المحسنين، وأمر النبي ﷺ أن ينذر ويخوف به الذين ظلموا أنفسهم وأشركوا بالله تعالى، لأن هذا القرآن مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين وهو مع ذلك موافق للكتب السماوية السابقة.

٢ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

## القراءات:

١ - قرأ يعقوب (خَوْفٌ) بالفتح بدون تنوين.

٢ - قرأ الباقون ﴿خَوْفٌ﴾ بالضم مع التنوين<sup>(٨٥٩)</sup>.

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٦٨) من سورة الزخرف<sup>(٨٦٠)</sup>.

٣ - قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي

(٨٥٧) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٣٢.

(٨٥٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣١٦.

(٨٥٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.

(٨٦٠) انظر ص ١٩٢ من هذا البحث.

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتٍ إِنَّيْ أَتُبْتُ لَكَ وَلِأَنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

### القراءات:

١ - قرأ الكوفيون ﴿إِحْسَنًا﴾ بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء، وألفٍ بعد السين.

٢ - قرأ الباقون (حُسْنًا) بضم الحاء، وإسكان السين من غير همزة ولا ألفٍ<sup>(٨٦١)</sup>.

٣ - قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، ويعقوب ﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف.

٤ - قرأ الباقون (كَرْهًا) بفتح الكاف<sup>(٨٦٢)</sup>.

٥ - قرأ يعقوب (وَفَضْلُهُ) بفتح الفاء، وإسكان الصاد من غير ألفٍ.

٦ - قرأ الباقون ﴿وَفَصْلُهُ﴾ بكسر الفاء، وفتح الصاد، وألفٍ بعدها<sup>(٨٦٣)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

١ - الحُسْن: عبارة عن كلِّ مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسن.

والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وعكسها السيئة، وأمَّا الإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الآخرين، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله،

(٨٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٣.

(٨٦٢) انظر تحبير التيسير ص ٢٠٦.

(٨٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٣، تحبير التيسير ص ٢٠٦.

وذلك إذا عمل عملاً حسناً، والإحسان أعظم من الإنعام، وهو فوق العدل، إذ إنَّ العدل أن يعطي الإنسان ما عليه ويأخذ أقل مما له، وأما الإحسان فهو أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له<sup>(٨٦٤)</sup>.

٢ - الكره: قيل إنَّ الكَرْه، والكَرْه واحدٌ بمعنى المشقة، وقيل الكَرْه بالفتح: المشقة التي تنال الإنسان من الخارج فيما يُحمل عليه بإكراه، أي: ما أكرهك عليه غيرك، والكَرْه بالضم: ما يناله الإنسان من ذاته، وهو يعاقبه، أي: ما أكرهت نفسك عليه، وهو قول الفراء<sup>(٨٦٥)</sup>.

٣ - «الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر، حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل المفاصل، الواحد مفصل، وفُصِلَت الشاة: قُطِعَت مفاصلها»<sup>(٨٦٦)</sup>.

والفصال: الفطام، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدى حمل المرأة إلى منتهى الوقت الذي يُفْصَل فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهراً، وفُصِلَت المرأة ولدها أي: فطمته<sup>(٨٦٧)</sup>.

## التفسير:

بعد أن ذكر الله تعالى في آياتٍ سابقاتٍ توحيدَهُ ﷻ، وإخلاص العبادَةِ له، والاستقامة في العمل، وجزاء المؤمنين الموحدين المستقيمين على الشريعة، أمرَ وَوَصَّى بِبِرِّ الوالدين، وخصَّ بالذكر في هذه الآية البارَّ بوالديه بعد بلوغه الأربعين عاماً، وبشَّره بقبول أعماله الصالحة، والتجاوز عن سيئاته، وجعله في عداد أصحاب الجنة.

قال المراغي: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما والبرُّ بهما في حياتهما، وبعد مماتهما، وجعلنا البرَّ

(٨٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٥.

(٨٦٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٠٧، لسان العرب ج ١٣ ص ٥٣٤.

(٨٦٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٣٨.

(٨٦٧) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٥٢٢.

بهما من أفضل الأعمال، وعقوقهما من الكبائر، والآيات، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ثم ذكر سبب التوصية، وخصّ الكلام بالأم لأنها أضعف وأولى بالرعاية، وفضلها أعظم كما ورد في صحيح الأحاديث، ومن ثم كان لها ثلث البر، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: إنها قاست في حمله مشقةً وتعباً من وحم وغثيان، وثقل إلى نحو أولئك مما ينال الحوامل، وقاست في وضعه مشقةً من تعب الطلق وألم الوضع، وكل هذا يستدعي البر بها واستحقاقها الكرامة وجميل الصحبة، ثم بين سبحانه مدة حمله وفصاله، فقال: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً تكابد الأم فيها الآلام الجسمية والنفسية، فتسهر الليالي ذوات العدد إذا مرض، وتقوم بغذائه، وتنظيفه، وكل شئونه بلا ضجر ولا ملال، وتحزن إذا اعتل جسمه، أو ناله مكروه يؤثر في نموه وحسن صحته<sup>(٨٦٨)</sup>.

قال الشوكاني: «وقد استدل بهذه الآية على أن أقل الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع سنتان»<sup>(٨٦٩)</sup>، فذكر في هذه الآية أقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: إذا بلغ كمال قوته وعقله، قيل: الأشد: سن الحلم، وقيل: إذا بلغ عمره ثماني عشرة سنة، وإذا بلغ أربعين سنة ﴿قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أَنۢ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾، أي: ألهمني شكر نعمتك عليّ بالهداية، وعلى والديّ حتى ربياني صغيراً ﴿وَأَنۢ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: ووفقني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي: اجعل ذريتي صالحين متمكنين في الصلاح، ﴿إِنِّي بُنْتُ لَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: إني يا رب تبنت إليك من جميع الذنوب، وإني لك من المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك<sup>(٨٧٠)</sup>. قال ابن كثير: «وفي الآية إرشاد لمن بلغ الأربعين

(٨٦٨) تفسير المراغي ج ٩ ص ٢٦.

(٨٦٩) فتح القدير ج ٥ ص ٢٦.

(٨٧٠) انظر المصدر السابق ج ٥ ص ٢٦.

أن يجدد التوبة، والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها»<sup>(٨٧١)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ذهب بعض العلماء إلى أن العلاقة بين القراءتين (حُسناً، وإِحْسَاناً) لغوية فقط ومعناها واحدٌ، قال الفراء: «قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأهل المدينة، وأهل البصرة يقرءون: (حُسناً) وكذلك هي في مصاحفهم، ومعناها واحدٌ والله أعلم»<sup>(٨٧٢)</sup>، على معنى: ووصينا الإنسان، وأمرناه بأن يحسن إلى والديه إحساناً أو حسناً.

إلا أن مكّي بن أبي طالب قال: «قوله ﴿بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ فقرأه الكوفيون (إحساناً) على وزن (إفعلاً) مثل (إكرام) وقرأه الباقون (حُسناً) على وزن (فُعْل) مثل (فُعل) وحجة من قرأ على وزن (إفعال) أنه جعله مصدرًا لـ (أحسن) على تقدير: أن أحسن إليهما إحساناً. وحجة من قرأ على وزن (فُعْل) أنه على تقدير حذف مضافٍ وحذف موصوفٍ، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حُسْنٍ، أي: ليأت الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وقام النعت مقامه وهو (ذا)، ثم حذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه، وهو حسنٌ»<sup>(٨٧٣)</sup>.

فما ذكره مكّي بن أبي طالب لا يعني أن القراءتين بمعنى واحدٍ، حيث إن قراءة (إحساناً) فيها زيادة الألف، وزيادة المبنى تدلُّ على زيادة في المعنى، وما ورد في قواميس اللغة يثبت ذلك، وبناءً على ما تقدم فإن قراءة (إحساناً) تضيف معنى زائداً على قراءة (حُسناً)، فالحسن هو: الوقوف عند حدِّ الواجب في التعامل مع الوالدين، فتكون هذه القراءة قد أشارت إلى أن الإنسان ملزَمٌ بأن يحسن إلى والديه ويعطيهم أحقهما وواجبهما عليه، دون

(٨٧١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦٠.

(٨٧٢) معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٥٢.

(٨٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٢، انظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١ ص ٦٦٨.



أن تشير إلى الإكرام الزائد عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حقّ الأبوين الكافرين، وأما قراءة (إحساناً) ففيها مبالغة الإحسان والإكرام إليهما بما يزيد على حدّ الواجب فلا يقف عند حدّ ما أوجبه الله عليه، بل لا بد أن يزيد في الإنعام والإكرام عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حقّ الأبوين المؤمنين.

ويؤيد ما سبق قول الشعراوي: «كلمة (الإحسان): تدل على المبالغة في العطاء الزائد... الذي نسميه مقام الإحسان»<sup>(٨٧٤)</sup>. وقال: «الإحسان: هو أن تفعل فوق ما كلّفك الله مستشعراً أنّه يراك، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان من أحسن، فيكون معناها أنّه ارتضى التكليف، وزاد على ما كلّفه»<sup>(٨٧٥)</sup>. وقال أيضاً: «كأنه يقول لك في الآية التي نحن بصددّها: إياك أن تعمل مع والديك القدر المفروض فقط، بل أدخل في برّهما، والإنعام عليهما، والتلطف بهما، والرحمة لهما، وذلة الانكسار فوق ما يطلب منك»<sup>(٨٧٦)</sup>.

٢ - ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين (كُزهاً) بالضم (وكُزهاً) بالفتح بمعنى واحد، وهما لغتان مثل: الضّعف والضعف، والشّهد والشّهد<sup>(٨٧٧)</sup>، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (كُزهاً) في الموضعين بضم الكاف، وقرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز بفتحهما. قال الكسائي: وهما لغتان بمعنى واحد، قال أبو حاتم: (الكُزّه) بالفتح لا يُحسن لأنّه الغضب والغلبة»<sup>(٨٧٨)</sup>.

إلا أنّه لا ينبغي لأبي حاتم أن يردّ قراءةً منهما أو يفاضل بينهما لأنّ القراءتين متواترتان، ولكلّ قراءة أثرها في المعنى، وعلى ذلك فإنّ قراءة

(٨٧٤) تفسير الشعراوي ج ٤ ص ٢١٩ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٥) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٦) نفس المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٨٦، الكشف ج ٢ ص ٢٧.

(٨٧٨) فتح القدير ج ٥ ص ٢٥، انظر روح المعاني ج ٢٦ ص ١٧.

(كُرْهًا) بالضم أفادت معنى المشقة أي: حملته أمه على مشقةٍ وألمٍ، ووضعته على مشقةٍ وألمٍ.

وأما قراءة (كُرْهًا) بالفتح، فقد أفادت معنى الغلبة والقهر، أي: حملته أمه على مشقةٍ وهي كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووضعته على مشقةٍ وألمٍ وهي كارهة لوضعه<sup>(٨٧٩)</sup>.

٣ - ذهب بعض العلماء إلى أن قراءتي (فَضْلُهُ) و(فِصَالُهُ) لغتان بمعنى واحد، على أنهما مصدران كالفطم والفظام<sup>(٨٨٠)</sup>. وردَّ الطبري قراءة (فَضْلُهُ) بدون ألف، واعتبرها شاذةً فقال: «واختلف القراء في قراءة قوله: (وَفِصَالُهُ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، غير الحسن، (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ) بمعنى فاصلته أمه فصلاً ومفاصلةً، وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (وَحَمْلُهُ وَفَضْلُهُ) بفتح الفاء بغير ألفٍ بمعنى: وفصل أمه إياه، والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه»<sup>(٨٨١)</sup>.

والصحيح أنه لا يحق للإمام الطبري أن يطعن في قراءة متواترة أو يردّها، لأنَّ القراءات المتواترة جميعها وحيٌّ من الله تعالى، ولا تفاضل بينها، ويرى الباحث أن كلَّ قراءةٍ من القراءتين أفادت معنى، فقراءة (فَضْلُهُ) أفادت معنى الفطم إذا فطمته أمه مرةً واحدةً من طرفها أي أن الفعل يقع من طرف الأم.

وأما قراءة (فِصَالُهُ) فقد أفادت معنى الفطام إذا فاصلته أمه مع وقوع الفعل على التراخي من طرفين لأن الفعل على صيغة (المفاعلة) التي تفيد المشاركة في الفعل، وعلى هذا يكون المعنى أنه فاصل أمه، وفاصلته أمه،

(٨٧٩) انظر حجة القراءات ص ٦٦٤، الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٨٦، التحرير والتنوير ١٢م ج ٢٦.

(٨٨٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٨٥ عند تفسيره للآية (١٤) من سورة لقمان.

(٨٨١) جامع البيان ج ٢٦ ص ١١.

وعلى هذا يتضح أن مدة الحمل مع نهاية الرضاع ثلاثون شهراً فإذا بلغ هذه المدة تفصله أمه أو أنه يفصل نفسه.

قال ابن عطية: «قرأ جمهور الناس: (وَفِصَالُهُ) وذلك أنها مفاعلة من اثنين، كأنه فاصل أمه وفاصلته، وقرئ (فُضْلُهُ) كأن الأم هي التي فصلته» (٨٨٢).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتضح أن الله تعالى وَصَّى الإنسان بأن يحسن إلى والديه سواء كانا كافرين، - فعليه أن يؤدي الواجب الذي فرضه الله عليه تجاههما - أو كانا مؤمنين فعليه أن يبالغ لهما في الإكرام والإنعام أكثر مما فرضه الله عليه لأنهما يستحقان أكثر من ذلك فأتمه حملته على مشقة وألم ووضعتة على مشقة وألم وهي كارهة لأحوال الحمل، لشدة ما تعانيه من آلام، ولكنها احتملت ذلك على غلبة وقهر، وَبَيَّنَّتِ الآية أن مدة الحمل مع الرضاع ثلاثون شهراً وعليه فإنه إذا بلغ الطفل نهاية مدة الرضاع فعلى الأم أن تفصله، فالطفل يكون مهياً للفصل واستجابته لذلك تكون كبيرة وهذا ما يتضح من قراءة (فِصَالُهُ) التي تدل على أن الفصال يقع من الطفل ومن الأم أيضاً وهي نهاية ما يحتاج إليه الطفل من الرضاع، والله تعالى أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ بنون مفتوحة في الفعلين ونصب (أحسن).

٢ - قرأ الباقون (يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ، وَيَتَجَاوَزُ) بالياء المضمومة في

الفعلين، وبرفع (أحسن) (٨٨٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

١ - تجاوز عن الشيء: أغضى وعفا عنه، ويُقال: تجاوز عن الذنب، أي: لم يؤاخذ به (٨٨٤).

ويُقال تَجَوَّزَ في هذا: أي: احتمله، وأغضى فيه، وعن ذنبه: لم يؤاخذ به، كتجاوز وجاوز (٨٨٥).

٢ - التقبل: هو «قبول الشيء على وجه يقتضي ثواباً كالهداية ونحوها» (٨٨٦).

### التفسير:

بعد أن وصَّى الله تعالى ببرِّ الوالدين، والإحسان إليهما، بيَّن في هذه الآية الكريمة، أنَّ هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات الكريمة من برِّ الوالدين، وطاعة الله تعالى، هم الذين يتَّقبل الله منهم الحسنات التي عملوها، ويتجاوز عن زلَّاتهم، ويغفرها لهم في جملة أصحاب الجنة الذين يكرمهم الله تعالى بالعفو والغفران، وذلك بوعده صادق من الله تعالى، وعدهم به على ألسنة الرسل في الدنيا، بأن يتقبل من محسنهم، ويتجاوز عن سيئهم (٨٨٧).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تَقَبَّلْ﴾ - ﴿وَنَتَجَاوَزْ﴾ بنون العظمة إسناد الفعل من الله

(٨٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٣، تحبير التيسير ص ٢٠٧.

(٨٨٤) انظر المعجم الوسيط ص ١٦٨.

(٨٨٥) انظر القاموس المحيط ص ٤٥٦.

(٨٨٦) لسان العرب ج ١١ ص ٥٣٦.

(٨٨٧) انظر التفسير الواضح م ٣ ج ٢٦ ص ١١.

تعالى إلى نفسه، فهو يخبر عن نفسه، والمعنى: نحن نتقبل عنهم، ونتجاوز عن سيئاتهم، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ليأْتلف الكلام على نظام واحد<sup>(٨٨٨)</sup>. قال مكي بن أبي طالب: «حجة من قرأ بالنون أنه حمّله على الإخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه بالتقبل والمجازاة، وحسن ذلك، لأنّ قبله إخباراً عن الله جلّ ذكره عن نفسه في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾، ونَصَبَ (أحسن) بوقوع يتقبل عليه»<sup>(٨٨٩)</sup>.

وأما القراءة الثانية (يُتَقَبَّل) بياء الغيبة فإنّه بنى الفعل للمفعول وأقام (أحسن) مقام الفاعل فرفعه، ولم يسمّ الفاعل لأنه معلومٌ بديهة أنّ المتقبل هو الله تعالى، فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل<sup>(٨٩٠)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين أفادت أنّ الفاعل هو الله تعالى وهو الذي يتقبل من عباده أحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، سواء قرأته بالياء أو بالنون، إلّا أنّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تشريفٍ وتكريمٍ للمؤمنين المتقين، وبيانٌ لعنايته بهم.

وأما قراءة المبني للمفعول ففيها بيانٌ ليسر وسرعة تقبل الله تعالى أعمالهم الصالحات وغفرانه لسيئاتهم وفي ذلك ترغيبٌ لهم بعمل الصالحات والإكثار منها.

فالقراءتان معاً بيّنتا منزلة هؤلاء المؤمنين المتقين - الذين يقدمون لله تعالى أحسن ما عندهم - عند الله تعالى.

٥ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِihanِ اللَّهَ وَيَلْكُ ءِامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا

(٨٨٨) انظر حجة القراءات ص ٦٦٤، إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣١٧.

(٨٨٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٢.

(٨٩٠) انظر مجمع البيان ج ٦ ص ٢٦٦، التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٦ ص ١٢.

إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ [الأحقاف: ١٧].

### القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب، وابن عامر، وابن كثير (أف) بفتح الفاء من غير تنوين.
- ٢ - قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر ﴿أَفِ﴾ بكسر الفاء مع التنوين.
- ٣ - قرأ الباقون (أف) بكسر الفاء من غير تنوين<sup>(٨٩١)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

أف: هو صوت ينبىء عن تضجّر وكراهة، قال الأصفهاني: «أصل الأف: كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به استقذاراً له، نحو: ﴿أَفِ لَكُمُ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقد أَقَفْتُ لكذا: إذا قلت ذلك استقذاراً له، ومنه قيل للضجر من استقذار شيء: أَقَفَ فلان»<sup>(٨٩٢)</sup>.

### التفسير:

بعد أن أمر الله تعالى عباده المؤمنين ببرّ الوالدين والإحسان إليهما، وبيّن حال الداعين للوالدين البارّين بهما، وما لهم من فوز ومغفرة وأجر عظيم عند الله تعالى يوم القيامة، يعرض في هذه الآية الكريمة صورةً متقابلةً من أصحاب الصنف الثاني، الذي لم يرع في الله حقاً، ولم يرع لوالديه حرمةً، وردّ الجميل بالقبيح، وجازى الحسنه بالسيئة، فهذا والداه قد تعبوا في تربيته، وسهرا لراحته، ورعياء حتى اكتمل، واجتهدا في نصيحته ودعوته إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلم يزد دعاؤهما إياه إلى الحقّ ونصيحتهما له إِلَّا عُتُوًّا وتمرداً على الله تعالى،

(٨٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٣٠، إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٤.

(٨٩٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩.

وتماذياً في جهله واستكباره، فقال لهما: أف لكما أتعدانني أن أبعث بعد الموت وأن أخرج من القبر للحساب، وقد مضت قرون من الأمم قبلي ومضت آلاف السنين، ولم يُبعث منهم أحد. والداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ويقرّ بالبعث، ويلجآن إلى الله أن يرشده ويهديه، ويقولون له: ويلك وهلاكك آمن مع المؤمنين، لأنّ وعد الله حقّ، وقد وعد المؤمنين بالثواب، والكافرين بالعقاب، فird عليهما قائلاً: ما هذا الذي تقولونه إلّا من أساطير وأباطيل الأولين<sup>(٨٩٣)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنّ القراءات الثلاث بمعنى واحد والاختلاف فيها من قبيل اللغات. قال البغوي: «﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍ﴾ فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: بفتح الفاء، وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين، والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحد وهي كلمة كراهية<sup>(٨٩٤)</sup>».

وقال مكي ابن أبي طالب: «وأصل (أف) المصدر من قوله: أفه وتفه، أي: تنأ ودفرأ، وهو اسمٌ سُمي به الفعل، فبني على فتح أو على كسر أو على ضمّ، منون أو غير منون، ذلك جائز فيه لأنّ فيه لغات مشهورة. فمن نوّنه قدّر فيه التنكير، ومن لم ينوّه قدّر فيه التعريف، ومعناه لا يقع منك لهما تكرّرة وتضجّر<sup>(٨٩٥)</sup>».

إلّا أنّ كلّ قراءة من القراءات الثلاث لها دلالتها على المعنى حسب ما تفيده كلّ حركة على آخر الكلمة.

(٨٩٣) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٦ ص ١٣ - ١٤، التفسير الواضح ٣ ج ٢٦ ص ١١.  
(٨٩٤) معالم التنزيل ج ٣ ص ٩١ عند تفسيره للآية (٢٣) من سورة الإسراء، انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٨٩، فتح القدير ج ٥ ص ٨٢.  
(٨٩٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٤٢، عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

فقرأة (أَفْ) بالفتح أفادت تعريف (أَفْ) وهو الصوت المعروف لدى الناس بالتأفف وهو الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة. وفي ذلك دلالة على النهي عن التأفف المتعارف عليه ولو كان بسيطاً.

وأما قرأة (أُفْ) بالكسر بدون تنوين أفادت تعريف (أُفْ) أيضاً ولكنه التأفف البسيط الذي يحمل الأذى باللسان، أو بالحركة، ولكن بدرجة أقل من سابقه. وفي ذلك دلالة على النهي عن التأفف ولو بأقل ما يسمع من صوت.

وأما قرأة ﴿أُفٍ﴾ بالكسر مع التنوين فقد أفادت تنكير (أُفْ) وهو أي صوت أو تذرير غير متعارف عليه ولو كان بسيطاً جداً. وفي ذلك دلالة على النهي عن أي تذرير ولو كان غير متعارف عليه.

قال أبو علي الحسن الفارسي: «من نَوَّنَ فقال: (أُفْ) جعله نكرة مثل غاقٍ وصه، ونحو ذلك من الأصوات، وهذا التنوين في الصوت دليل التنكير، ومن لم يُنَوِّنْ جعله معرفة، كأنه في المعنى الصوت الذي يُعرف، وكل واحد من الكسر والفتح، إنما هو لالتقاء الساكنين، فأما التنوين فدليل التنكير، وحذفه دليل التعريف» (٨٩٦).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبين أن كل أنواع التذرير والتضجر المتعارف عليه وغير المتعارف عليه ولو كان قليلاً ولو بأيسر جزء من لفظة أو حركة فيها أذى، بصوت أو بدون صوت فمنهي عنها.

٦ - قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴾ [الأحقاف: ١٩].

(٨٩٦) الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٣٩٩، انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج ١ ص ٣٦٧

عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.



## القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، والبصريان، وعاصم ﴿وَلِيُؤْفِيَهُمْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون (وَلْيُؤْفِيَهُمْ) بالنون<sup>(٨٩٧)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الوفاء: هو التمام، والوافي: الذي بلغ التمام، فيقال: درهمٌ وافي، وأوفيت الكيل والميزان، أي: أتممته، وأوفى: إذا تَمَّ العهد ولم ينقض حفظه، وضده الغدر<sup>(٨٩٨)</sup>. ومن قال أوفى فمعناه: أوفاني حقّه، أي: أتمّه ولم ينقص منه شيئاً، والوفّي: الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ<sup>(٨٩٩)</sup>.

## التفسير:

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة مراتب ودرجات كل من الفريقين يوم القيامة، فريق المؤمنين المحسنين، وفريق الكافرين المسيئين، «ولكلّ فريق من الفريقين المؤمنين المحسنين الأبرار، والكافرين الأشقياء المسيئين الأشرار من الجنّ والإنس مراتب، ومنازل عند الله يوم القيامة إما علياً، وإما دُنياً، من جزاء ما عملوا من الخير والشر، ومن أجل ما عملوا منها، وليوفيهم جزاء أعمالهم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، ولا يظلمهم الله مثقال ذرة فما دونها»<sup>(٩٠٠)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِيُؤْفِيَهُمْ) بياء الغيبة أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه

(٨٩٧) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٣، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٩.

(٨٩٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٧٨.

(٨٩٩) انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٩٨.

(٩٠٠) التفسير المنير ج ٢٦ ص ٤٤.

سيحاسب كلاً بعمله ليوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقص ثوابٍ أو زيادة عقاب، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ١٧]<sup>(٩٠١)</sup> أو على نسق قوله تعالى: ﴿نَنْقَلُ، وَنَجَاوُزُ﴾ [الأحقاف: ١٦] والمعنى: (يتقبل الله، ويتجاوز، وليوفيهم أعمالهم)، وذلك ليألف الكلام على نظام واحد<sup>(٩٠٢)</sup>.

وأما قراءة (لِنُوفِيَهُمْ) بالتون فقد أفادت أن الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة أنه سيحاسب كلاً بعمله يوم القيامة ليوفيهم جزاء أعمالهم، على معنى: لنُوفِيَهُمْ نحن أعمالهم، وحجتهم في ذلك أنها جاءت عقب قوله تعالى: ﴿نَنْقَلُ، وَنَجَاوُزُ﴾ [الأحقاف: ١٢] ليألف الكلام على نسق واحد<sup>(٩٠٣)</sup>. وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

### الجمع بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادت الإخبار من الله ﷻ عن نفسه أنه سيحاسب كلاً بعمله ويوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقصان ثوابٍ أو زيادة عقاب، إلا أن إسناده الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد عناية بالمؤمنين وترغيب لهم بالإكثار من الحسنات وتشويق لهم ليوم الجزاء، وبقدر ذلك فيه مزيد تهديد ووعيد بالعقاب للكافرين المسيئين والانتقام منهم على قدر ما عصوا الله تعالى وأساءوا في حياتهم.

٧ - قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ

(٩٠١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٣.

(٩٠٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٤٥، عند الحديث عن الآية (٥٧) من سورة آل عمران.

(٩٠٣) انظر معاني القراءات ج ٢ ص ٣٨١، حجة القراءات ص ٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٣.

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

### القراءات:

- ١ - قرأ ابن ذكوان، وروح (أَذْهَبْتُمْ) بهمزتين مفتوحتين محققتين من غير مدٍّ. وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس بهمزتين محققة فمسهلة. وهشام، وأبو جعفر أطول مدّاً على أصلهما في قراءة الهمز.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة واحدة على الخبر<sup>(٩٠٤)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

الذهاب: السير والمرور، يقال: يذهبُ ذهاباً، والمذهب: مصدر، كالذهاب، وذهب به وأذهبَه غيره: أزاله<sup>(٩٠٥)</sup>، ويقال: ذهب الأثر: زال وأمّحى، ويقال: ذَهَبَتْ به الخِيَلَاءُ: أزالته عن وقاره<sup>(٩٠٦)</sup>.

### التفسير:

بعد بيان إيصال الحق لكل إنسان واستيفاء جزاء أعماله كاملاً دون نقص يوم القيامة، بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أحوال العقاب وأحوال القيامة التي يتعرض لها الكفار المجرمون يوم القيامة، ومعنى الآية: «واذكر أيها النبي لقومك حين تعرض النَّارَ على الكُفَّار، يعذبون فيها، أو ينكشف الغطاء، فينظرون إلى النَّار، ويقربون منها، فيقال لهم تقرّباً وتوبيخاً: استوفيتم وأخذتم لذائذكم في الدنيا، وتمتعتم بها، باتِّباع الشهوات، واللذات في معاصي الله سبحانه دون مبالاة بالذنب، وتكذيباً منكم لما جاءت به الرُّسل من الوعد بالحساب، والعقاب، والثواب، فلم

(٩٠٤) انظر البدور الزاهرة ص ٤٠٩، تحبير التيسير ص ٢٠٧.

(٩٠٥) انظر لسان العرب ج ١ ص ٣٩٣.

(٩٠٦) انظر المعجم الوسيط ص ٣٤٠.

يبقى لكم بعد استيفاء حظوظكم شيء منها، ففي هذا اليوم تجازون بالعذاب الذي فيه ذلٌ لكم، وخزيٌ عليكم، وإهانةٌ بسبب تكبركم عن عبادة الله، والإيمان به، وتوحيده، وخروجكم عن طاعة الله، وعملكم بمعاصيه»<sup>(٩٠٧)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة واحدة أنَّ الكلام خبرٌ عنهم، أي: يقال لهم ذلك على سبيل التقرير والتوبيخ لهم، والمعنى: ويوم يُعرض الذين كفروا على النار يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طِينَكُمْ﴾<sup>(٩٠٨)</sup>.

وأما قراءة (أَذْهَبْتُمْ) بهمزين الأولى للاستفهام والثانية ألف القطع بدون مدٍّ بينهما، فقد أفاد الاستفهام الإنكار والتقرير والتوبيخ مع التهديد والوعيد، الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ والمعنى والله أعلم: أذهبتم طيباتكم وتلتمسون الفرج؟ هذا غير كائن<sup>(٩٠٩)</sup>. قال البقاعي: «(أَذْهَبْتُمْ) في قراءة نافع، وأبي عمرو، والكوفيين بالإخبار، وقراءة الباقيين بالاستفهام لزيادة الإنكار والتوبيخ»<sup>(٩١٠)</sup>.

وأما قراءة (أَذْهَبْتُمْ) بهمزين مع المد بينهما، فقد أفادت ما أفادته قراءة (أَذْهَبْتُمْ) بهمزين بدون مدٍّ، مع الإنكار والتوبيخ، إلا أنَّ فيها المبالغة والشدة في الإنكار على هؤلاء الكفار، وفيها زيادة تقرير وتوبيخ وتشنيع لهم على فعلهم، مع زيادة التهديد والتخويف، ممَّا يدل على شدة معصيتهم لله تعالى وإنكارهم لنعمه ولذلك جاءت قراءة الاستفهام مع المد لتدل على عظم معصيتهم، وكبر جرمهم في حق الله تعالى.

(٩٠٧) التفسير المنير ج ٢٦ ص ٤٥.

(٩٠٨) انظر حجة القراءات ص ٦٦٥.

(٩٠٩) المصدر السابق ص ٦٦٥.

(٩١٠) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ١٣٣.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبين أن الله تعالى يخبر عما سيحدث مع هؤلاء الكفار المجرمين يوم القيامة حيث سيقف الذين كفروا على النار فيرون سعيها ثم يلقون فيها، ويقال لهم على سبيل الزجر والتأنيب والتقريع والتوبيخ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ أي: ضيعتم وأتلفتم الطيبات التي أنعم الله بها عليكم في حياتكم الدنيا، لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره ونهيه ﷺ، ولذلك يقال لهم تهديداً ووعيداً ﴿فَالْيَوْمَ نَجْزِيكَمُ الْعَذَابَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ تَحْذِيرًا﴾ (٩١١).

٨ - قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَرْسَلْتُ قَوْمًا لِّمُجْهَلُونَ﴾ (٢٣: الأحقاف).

## القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (أُبْلِغُكُمْ) بسكون الباء، وتخفيف اللام.

٢ - قرأ الباقر (وَأُبْلِغُكُمْ) بفتح الباء وتشديد اللام (٩١٢).

## المعنى اللغوي للقراءات:

البلاغ في اللغة له عدة معانٍ ومنها: البلاغ بمعنى الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور، والبلاغ: بمعنى الكفاية، والبلاغ: بمعنى التبليغ، ومنه الإبلاغ: بمعنى الإيصال، يقال: بَلَّغْتُ القومَ بَلَاغاً وهو اسمٌ يقوم مقام التبليغ، بمعنى: أوصلتُ لهم رسالةً أو كلاماً، وَأَبْلَغْتُهُ، وَبَلَّغْتُهُ: بمعنى واحد (٩١٣).

(٩١١) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ١٣٣، التفسير الوسيط م ١٣ ج ٢٦ ص ٣٥.

(٩١٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٥، المستنير في القراءات المتواترة ج ٣ ص ٩٤.

(٩١٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٤، لسان العرب ج ٨ ص ٤١٩.

## التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن هود عليه السلام، إذ أرسله الله تعالى إلى قوم عاد كبقية الرسل إلى أقوامهم، لينذرهم من عذاب الله تعالى، ويبلغهم رسالة ربّه، فما كان منهم إلّا أن صدّوا عن دعوة الله تعالى، وطلبوا منه أن يأتيهم بما يعدّهم من عذاب إن كان صادقاً، مستبشرين أن يقع ذلك، فقال لهم عندئذٍ: «إنّما العلم عند الله، فهو وحده الذي يعلم متى يأتي العذاب، وإنّما أنا رسولٌ فقط لا علم لي بشيءٍ وظيفتي البلاغ، أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قوماً تجهلون الحقائق العامة» (٩١٤).

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أُبلغُكم) بالتخفيف: أن مهمّة الرسول هي إبلاغ الرّسالة التي أمره الله تعالى بها مطلق تبليغ إلى قومه بإيصالها إليهم دون بذل الجهد في التبليغ، وهي تدل على قصر الفعل وسرعته بدون مبالغة في الفعل والحاح عليهم بتقبل سبل الهداية.

وأما قراءة ﴿وَأُتْلِغُكُمْ﴾ بالتشديد: فإنّها تفيد أن مهمّة الرسول هي تبليغ الرّسالة التي أمره الله تعالى بها مع المبالغة في الفعل والتكرار وبذل كامل الجهد في إيصالها إليهم لإقامة الحجة عليهم، «والمعنى: أنّ الذي شأنني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصّرف عمّا يعرّضكم لسخط الله بجهدي» (٩١٥).

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أن مهمّة الرسل هي إبلاغ الرّسالة التي أمرهم الله تعالى بها، بما فيها من إنذارٍ ووعيدٍ بعذاب الله تعالى، إن لم يؤمنوا بها وذلك مجرد إيصالٍ وإبلاغٍ، ولكن لمزيد إقامة الحجة عليهم،

(٩١٤) التفسير الواضح ٣م ج ٢٦ ص ١٤.

(٩١٥) الكشف ج ٣ ص ٥٢٤.

يبدل الرسل كامل جهدهم ووقتهم في دعوتهم إلى الله تعالى وإقناعهم بها،  
وصرفهم عن عذاب الله تعالى أن يحقّ بهم، فإن لم يؤمنوا، بعد ذلك ينزل  
بهم عذاب الله تعالى، وتقام عليهم الحجة يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ  
كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

### القراءات:

١ - قرأ يعقوب، وعاصم، وحمة، وخلف ﴿يُرَى﴾ بضم الياء وفتح  
الراء، و﴿مَسَكِنُهُمْ﴾ بضم النون.

٢ - قرأ الباقر (تري) بتاء مفتوحة على الخطاب، و﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾ بفتح  
النون (٩١٦).

### المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢٩) من سورة  
فصلت (٩١٧).

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن عذاب قوم هود عليه السلام إذ كذبوا نبيهم  
هوداً عليه السلام، وصدّوا أنفسهم عن دعوة الله تعالى، فأرسل الله عليهم ريحاً  
فيها عذاب مؤلّم شديد عاصف تخرب وتهلك كل شيء تمرّ عليه من  
النّاس، والدواب، والأموال، بأمر الله تعالى، ولم يسلم من هذا العذاب إلا  
هود عليه السلام ومن آمن معه، فأصبحوا بعد هذا العذاب لا يرى من آثارهم إلا  
مساكنتهم لتبقى شاهدة عليهم، ولتكون عبرة لمن بعدهم، وبمثل هذه العقوبة

(٩١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٣، المستنير في القراءات العشر ص ٤٠٤.

(٩١٧) انظر ص ١٠٠ من هذا البحث.

يجزي الله تعالى الكافرين المجرمين<sup>(٩١٨)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يُرَى﴾ بالضم على المبني للمفعول ورفع ﴿مَسْكَنُهُمْ﴾ على أنها نائب فاعل، أن الفعل (يُرَى) عامٌ للجميع لكل من تتأتى منه الرؤية في ذلك الوقت وفي كل وقت والمعنى: لا يرى شيء إلا مساكنهم ما زالت قائمة لأنهم هلكوا جميعاً<sup>(٩١٩)</sup>.

وأما قراءة (تَرَى) بالتاء المفتوحة على الخطاب فقد أفادت أن المقصود هو النبي ﷺ على معنى: لا ترى يا محمد شيئاً إلا مساكنهم<sup>(٩٢٠)</sup>، أو أن المخاطب كل من تتأتى منه الرؤية حينئذٍ على قول بعض العلماء، قال ابن عاشور: «والخطاب في قوله: (لا تَرَى) لمن تتأتى منه الرؤية حينئذٍ إتماماً لاستحضار حالة الدمار العجيبة حتى كأن الآية نازلة في وقت حدوث هذه الحادثة»<sup>(٩٢١)</sup>.

وقال الألوسي: «وقرأ الجمهور (لا تَرَى) بقاء الخطاب (إلا مساكنهم) بالنصب، والخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم، لا يرى إلا مساكنهم، أو لسيد المخاطبين ﷺ»<sup>(٩٢٢)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الرؤية للجميع من تتأتى منه الرؤية

(٩١٨) انظر التفسير الواضح ٣م ج ٢٧ ص ١٤.

(٩١٩) انظر التفسير الواضح ٣م ج ٢٦ ص ١٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٩٥.

(٩٢٠) انظر بحر العلوم ج ٣ ص ٢٣٥، فتح القدير ج ٥ ص ٣٢، حجة القراءات ص ٦٦٦.

(٩٢١) التحرير والتنوير ١٢م ج ٢٦ ص ٥١.

(٩٢٢) روح المعاني ج ٢٦ ص ٢٦.



سواء كان في عهد قوم هود من غيرهم لمن حضر بلادهم، أو في عهد النبي ﷺ، وفي ذلك مزيد إعجازٍ وعبرة، بأن جعل الله تعالى بيوتهم قائمة حتى يراها كل إنسانٍ ليستحضر حالة الدمار والهلاك الحاصلة بهم فيعتبر منها.

١٠ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّمْ خَلْقَهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُغَيِّمَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

### القراءات:

١ - قرأ يعقوب (يَقْدِرُ) بالياء وسكون القاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَقْدِيرٌ﴾ بالياء والألف (٩٢٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

القادر والقدير: من صفات الله تعالى يكونان من القُدرة، ويكونان من التقدير، والقادر: اسم فاعلٍ من قَدَرَ يَقْدِرُ، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة (٩٢٤).

«والقدرة: إذا وصف بها الإنسان، فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفى العجز عنه» (٩٢٥).

### التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دليل قدرة الله تعالى على البعث والنشور، والإحياء بعد الإماتة رداً على الكفار المنكرين لحقيقة البعث يوم القيامة المستبعدين حدوثه، مع الاستدلال على ذلك بدليل قدرته الواسعة على خلق

(٩٢٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٥، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٩.

(٩٢٤) انظر اللسان ج ٥ ص ٧٤.

(٩٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٥٧.

السموات والأرض وما فيها بأيسر ما يمكن دون جهدٍ أو تعبٍ، قال ابن كثير: «يقول تعالى: أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون قيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْهُنَّ﴾ أي: ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كوني، فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلّة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ كما قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] ولهذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾» (٩٢٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿يَقْدِرُ﴾ بصيغة اسم الفاعل تدل على ثبوت القدرة لله تعالى التي لا تساويها قدرة، مع التأكيد على نفي ادعائهم وإنكارهم لحقيقة البعث والذي يدل عليه حرف الجر الذي سبق الاسم (بِقَادِرٍ)، قال البقاعي: «وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: ﴿يَقْدِرُ﴾ أي: قدرة عظيمة تامّة بليغة» (٩٢٧).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]: «وأثبت الجار تحقيقاً للأمر، وتأكيداً للتقرير فقال: (بقادرٍ) أي: بثابتٍ له قدرة لا يساويها قدرة» (٩٢٨).

وأما قراءة (يَقْدِرُ) بصيغة الفعل المضارع فإنها تفيد استمرار القدرة لله تعالى على الإحياء بعد الإمامة في المستقبل وعلى الدوام، حيث إنّ الفعل المضارع يفيد الاستمرار، والتكرار، والتجدد، قال البقاعي: «ومعنى قراءة رويس عن يعقوب (يَقْدِرُ) بتحتانية مفتوحة، وإسكان القاف من غير ألف،

(٩٢٦) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧٤.

(٩٢٧) نظم الدرر ج ٧ ص ١٤٤.

(٩٢٨) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

ورفع الرءاء، أنه يجدد تعليق القدرة على سبيل الاستمرار<sup>(٩٢٩)</sup>، وفي ذلك نفي العجز عن الله تعالى من كل وجه، كما أن هذه القراءة فيها مزيد بيان لقدرة الله تعالى، وزيادة استدلال على البعث.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الآية فيها تأكيد على كمال قدرة الله تعالى الواسعة في كل وقت في الماضي والحال والمستقبل على الإحياء وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الله تعالى، مع التأكيد على نفي إنكار الكفار لحقيقة البعث، وفي ذلك زيادة توبيخ وتقريع للمشركين على جهلهم وانطماس بصائرهم حيث لم يعرفوا أن الله تعالى الذي له هذه القدرة المطلقة الواسعة لقادر على أن يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم<sup>(٩٣٠)</sup>.

(٩٢٩) نفس المصدر السابق ج ٦ ص ٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

(٩٣٠) انظر التفسير الوسيط م ١٣ ج ٢٦ ص ٥٠.

### المبحث الثالث

## عرض وتفسير آيات سورة محمد المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَفِئَتُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَسَمُوا فَشَدُّوا الْوَتَاكَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَنَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَاقَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٤].

### القراءات:

- ١ - قرأ حفص وأبو عمرو، ويعقوب ﴿قُتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء.
- ٢ - قرأ الباقون (قاتلوا) بالالف وفتح التاء<sup>(٩٣١)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْل: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبرَ بفعل المتوَلَّى لذلك يُقال: قَتَلَ، وإذا اعتُبرَ بِفَوْت الحياة يُقال: مَوَتْ. والمُقَاتَلَةُ: المحاربة وتحري القتل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وهي على صيغة المفاعلة<sup>(٩٣٢)</sup> التي تعني المشاركة بين طرفي الفعل.

(٩٣١) انظر النشر في القراءات العشر ص ٣٧٤، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٥٠.

(٩٣٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٠٠.

## التفسير:

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين بجهاد الكافرين، مع بذل الجهد في قتلهم لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكة، ولا قوة في الأرض ليكونوا أدلةً صاغرين أمام عزة المؤمنين، كما ويرشدكم ﷺ إلى كيفية التعامل معهم في المعارك والحروب، فأمر ﷺ المؤمنين بضرب رقاب الكافرين في القتال فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، قال الزجاج: «أي فاضربوا الرقاب ضرباً»<sup>(٩٣٣)</sup>، وقال القرطبي: «خصَّ الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها»<sup>(٩٣٤)</sup>، قال الزمخشري: «وفي هذه العبارة ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حَزُّ العنق، وإطارة الرأس عن البدن، ولقد زاد من هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]<sup>(٩٣٥)</sup>، ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَتُدُوا النَّفَاةَ﴾ أي: حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات، ولم تبق لهم قوة فأسروهم وشدوا عليهم الحبل، ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ وَإِذَا مَنَّ اللَّهُ﴾، أي: فإذا أنتموا عليهم وتطلقوا سراحهم، وإما أن تطلقوهم نظير فدية، ﴿حَتَّىٰ تَصْعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون، وقيل: حتى لا يبقى أحدٌ من المشركين<sup>(٩٣٦)</sup>، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبَلَّوْا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكالٍ من عنده، ولكنه أمركم بالجهاد وقاتل الأعداء ليختبر إيمانكم وثباتكم ويظهر المطيع من العاصي، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: والذين استشهدوا وهم يدافعون عن دين الله فلن يذهب أعمالهم بل يكثرها، وينميها، ويجازيهم عليها يوم القيامة<sup>(٩٣٧)</sup>.

(٩٣٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٥ ص ٦.

(٩٣٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٥١٢، انظر فتح القدير ج ٥ ص ٤٣.

(٩٣٥) الكشف ج ٣ ص ٥٣٠.

(٩٣٦) انظر مجمع البيان ج ٦ ص ٢٦ ص ٣٠.

(٩٣٧) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧٦.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء بدون ألف: أن الله تعالى وعد الذين قُتِلُوا في سبيل الله تعالى على أيدي الكفار، بأنهم لن يُذهَبَ عملهم وسيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة، قال مكي بن أبي طالب: «وفي هذه القراءة قوة وزيادة معنى، وذلك أن من قُتِلَ في سبيل الله لم يقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله تعالى ثم القتل، فكان من قُتِلَ في قتال في سبيل الله، فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِلَ» (٩٣٨).

وأما قراءة (قاتلوا) بالألف، وفتح التاء، فإنها تفيد أن وَعَدَ الله تعالى عامً لجميع من قاتل في سبيل الله تعالى سواء قُتِلَ أو لم يُقَتَّل، قال ابن زنجلة: «وقرأ الباقر (قاتلوا) أعم ثواباً وأبلغ للممدوح في المجاهدين في سبيل الله، لأنه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله، وإن لم يُقَتَّل ولم يُقَتَّل كان أعم من أن يكون ذلك الوعد منه لمن قُتِلَ دون من قاتل» (٩٣٩).

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى وَعَدَ جميع من قاتل في سبيله قُتِلَ سواء قُتِلُوا أو لم يُقَتَّلُوا بأنه لن يُضَيَّعَ أعمالهم ولن يهلكها بل يجازيهم عليها في الآخرة، قال البقاعي: «وفي قراءة البصريين، وحفص ﴿قُتِلُوا﴾ وهي أكثر ترغيباً، والأولى (قاتلوا) أعظم ترجية» (٩٤٠).

٢ - قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ

(٩٣٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٦.

(٩٣٩) حجة القراءات ص ٦٦٦، انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٤٠٢.

(٩٤٠) نظم الدرر ج ٧ ص ١٥٣.

## القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (أسين) بغير مد بعد الهمزة.

٢ - قرأ الباقون (أسين) بالمد<sup>(٩٤١)</sup>.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الْأَسِينُ من الماء: مثل الآجِن<sup>(٩٤٢)</sup>، يقال: أَسِينَ الماء إذا تَغَيَّرَ ريحه وطعمه تَغْيِراً مَنكَراً<sup>(٩٤٣)</sup>.

## التفسير:

يُبَيِّنُ الله تعالى في هذه الآية الكريمة الفرق بين المؤمنين والكافرين في الجزاء، والمآل يوم القيامة، فذكر ما أعدَّه الله تعالى للمؤمنين المتقين من أنواع النعيم الكثيرة التي لا تخطر على بالٍ، ومن جملتها، أنهارٌ من ماءٍ لا يتسرب إليه نتنٌ ولا رائحةٌ كريهةٌ ولا يتغير طعمه لطول المكث، وفيها أنهارٌ من لبنٍ صابح<sup>(٩٤٤)</sup> لا يتغير طعمه بحموضةِ لبن الدنيا، وفيها أنهارٌ من عسل مصفى، خالص من الشمع والقذى والشوائب، ولهم أيضاً في الجنة من كل أصناف وأنواع الثمار وأشهاها وأحسنها، وإلى جانب كل ذلك، لهم مغفرةٌ عظيمةٌ من ربهم لذنوبهم، وذكر مقابل ذلك، ما أعدَّه للكافرين من خلودٍ في نار جهنم وعذابٍ شديدٍ بما كانوا يكسبون في الدنيا، ومن جملة عذابهم، الماء الحميم شديد الغليان يُسْقَاهُ الكافرون فيقطع أمعاءهم، إلى

(٩٤١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٤.

(٩٤٢) الآجِن: هو ما تغير طعمه ولونه ورائحته، انظر المعجم الوسيط ص ٢٧.

(٩٤٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٦، لسان العرب ج ١٣ ص ١٦.

(٩٤٤) الصَّابِح: البَيِّن، الواضح، المشرق، يقال: صَبَحَ الوجه صباحةً: أشرق وجُمِّلَ، ولَبِنٌ صابِحٌ أي: شديد البياض والوضوح. انظر المعجم الوسيط ص ٥٣٠.

جانب أنواع العذاب الأخرى، فلا يستوي حال الكافرين وجزاؤهم، وحال المؤمنين وجزاؤهم بحال<sup>(٩٤٥)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (غَيْرُ أَسِينٍ) بدون مدٍّ على صيغة (فَعِلَ)، أنها إخبارٌ من الله تعالى عن الحال التي يكون عليها الماء حين جريه، والمعنى: أنَّ في الجنة أنهاراً من ماءٍ غير متغيرٍ في حال جريه<sup>(٩٤٦)</sup>.

وأما قراءة (غَيْرُ آسِينٍ) بالمد على صيغة (اسم الفاعل) تفيد أنها إخبارٌ من الله تعالى عن حال الماء فيما لا يصير إليه في المستقبل مع طول المكث<sup>(٩٤٧)</sup>.

والمعنى: أنَّ في الجنة أنهاراً من ماءٍ لا يتغير على كثرة المكث<sup>(٩٤٨)</sup>.

قال الطبرسي: «قال أبو الحسن (أَسِينٍ) إنما هو للحال التي تكون عليها، ومن قرأ (آسِينٍ) على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل...، المعنى: (فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرُ آسِينٍ) أي: غير متغيرٍ لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا»<sup>(٩٤٩)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تكشفان عن صفة ماء الأنهار التي تجري في الجنة بأنه ماءٌ ثابتٌ غيرُ متغيرٍ الطعم واللون والرائحة حال جريه، ولن يتغير مستقبلاً

---

(٩٤٥) انظر التفسير الواضح ٣م ج ٢٦ ص ٢٦، فتح القدير ج ٥ ص ٤٩.

(٩٤٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٧، الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٤٠٣.

(٩٤٧) انظر حجة القراءات ص ٦٧٧.

(٩٤٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٧.

(٩٤٩) مجمع البيان ٦م ج ٢٦ ص ٣٤.



مع طول المكث، «وإن أضيف إليه غيره فإنه لا يقبل التغير بوجه»<sup>(٩٥٠)</sup>، والله تعالى أعلم.

٣ - قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

### القراءات:

- ١ - قرأ نافع (عَسَيْتُمْ) بكسر السين.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين<sup>(٩٥١)</sup>.
- ٣ - قرأ رويس (تَوَلَّيْتُمْ) بضم التاء والواو، وكسر اللام المشددة.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء والواو واللام المشددة.
- ٥ - قرأ يعقوب (تَقَطَّعُوا) بفتح التاء، وإسكان القاف، وفتح الطاء مخففة.
- ٦ - قرأ الباقون ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ بضم التاء، وفتح القاف، وكسر الطاء مشددة<sup>(٩٥٢)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - عسى: «فعل جامد من أخوات كاذ، وتكون للترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه»<sup>(٩٥٣)</sup>.
- وقيل: عسى كلمة تكون للشك واليقين، فإذا وقعت من الله تعالى فهي يقين، وإذا وقعت من العباد فهي ظن<sup>(٩٥٤)</sup>.

(٩٥٠) نظم الدرر ج ٧ ص ١٥٩.

(٩٥١) انظر غيث النفع ص ٤٨٨، البدور الزاهرة ص ٤١٢.

(٩٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٤، تحبير التيسير ص ٢٠٨.

(٩٥٣) القاموس المحيط ص ١١٨٠، منجد الطلاب ص ٤٧٧.

(٩٥٤) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٥٤.

٢ - تولّى: بمعنى أعرض، وولّى هارباً أي: أدبر وفرّاً، وتولّى الأمر: أي تقلّده، وتولّاه: أي اتخذهُ وليّاً<sup>(٩٥٥)</sup>، وإذا عدّي تولّى بـ (عن) لفظاً أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض، وترك قُرْبَةٍ، والتولّى قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والالتزام<sup>(٩٥٦)</sup>.

٣ - القطع: فصل الشيء وإبانتته عن أجزائه<sup>(٩٥٧)</sup>، والقطع: فصل الشيء مدرّكاً بالبصر، كقطع الأعضاء، أو مدرّكاً بالعقل، مثل: قطع الرحم، وهو الهجران، ومنع البرّ بهم<sup>(٩٥٨)</sup>.

### التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية المنافقين الذين إذا أنزلت سورةً محكمةٌ وُذِكِرَ فيها القتال، نظروا إلى رسول الله ﷺ، نظر المغشي عليه، فيقول لهم موبخاً ومحذراً إياهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: إن تولّيتُم عن تنزيل الله جل ثناؤه وفارقتُم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد ﷺ وعمّا جاء به، أن تفسدوا في الأرض بأن تعصوا الله، فتكفروا به وتسفكوا الدماء، وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليّتكم من التشتت والتفرّق، بعدما جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم<sup>(٩٥٩)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ذهب علماء التفسير إلى أنّ العلاقة بين القراءتين في (عَسَيْتُمْ) بفتح السين و(عَسَيْتُمْ) بكسر السين، علاقة لغوية فقط، وعلى هذا فإنّ

(٩٥٥) انظر القاموس المحيط ص ١٢٠٩.

(٩٥٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٨٨.

(٩٥٧) لسان العرب ج ٨ ص ٢٢٦.

(٩٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٧.

(٩٥٩) انظر جامع البيان ١١ ج ٢٦ ص ٣٥.

معناها واحد، قال ابن عاشور: «قرأ نافع وحده (عَسَيْتُمْ) بكسر السين، وقرأه بقية العشرة بفتح السين، وهما لغتان»<sup>(٩٦٠)</sup> في فعل عسى إذا اتصل به ضمير، قال أبو علي الفارسي: وجه الكسر أن فعله: عَسِيَ مثل رَضِيَ، ولم ينطقوا به إلا إذا أسند هذا الفعل إلى ضمير وإسناده إلى الضمير لغة أهل الحجاز، أما بنو تميم فلا يسندونه إلى الضمير البتة»<sup>(٩٦١)</sup>.

٢ - ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء واللام بمعنى الإعراض والمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بقتل بعضكم بعضاً. وقيل: بمعنى الولاية لأمر الناس، والمعنى: إن توليتم أمور الناس، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالجور والظلم، والتعذيب والتنكيل وحثهم في ذلك قراءة المبني للمفعول (توليتم)<sup>(٩٦٢)</sup>.

وقال أبو حيان: «والأظهر أن ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال، وهو الذي سبقت الآيات فيه، أي إن أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال»<sup>(٩٦٣)</sup>.

وعلى كل حال فجميع ما ذكر من معانٍ تحتمله الآية لأن التولي والإعراض عن الإسلام وعن الجهاد، وتولي أمور الناس بالظلم والجور، كل ذلك ثمرته ونتيجته الإفساد في الأرض، وقطيعة الرحم.

وأما قراءة (توليتم) بضم التاء وكسر اللام على المبني للمفعول فمعناها وتوليتم أمور الناس وتقلدتموها، ووكلكم الله إليهم<sup>(٩٦٤)</sup>. وقيل: «المعنى إن ولي عليكم ولاية جور تحركتم معهم في الفتنة وعاونتموهم على ظلمهم»<sup>(٩٦٥)</sup>.

(٩٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٥٢٩، فتح القدير ج ٥ ص ٥٥.

(٩٦١) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٦ ص ١١٢.

(٩٦٢) انظر زاد المسير ص ١٣١٣، معالم التنزيل ج ٤ ص ١٦٦.

(٩٦٣) البحر المحيط ج ٨ ص ٨٢.

(٩٦٤) انظر المحرر الوجيز ج ٥ ص ١١٨.

(٩٦٥) معاني القراءات ج ٢ ص ٣٨٨.

٣ - قراءة (تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ) بدون تشديد تفيد مطلق القطع للرحم وهو مجرد الهجران، والمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام أو توليتم أمور الناس بالظلم والتعذيب والجور، فإن ثمرة ذلك الإفساد في الأرض وقطع الرحم.

وأما قراءة ﴿وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ فإنها تفيد المبالغة في قطع الرحم مع التكثير، قال أبو منصور الأزهري: «من قرأ (وَتَقْطَعُوا) فهو من قولك قطع رحمهُ يقطعها، ومن قرأ ﴿وَتَقْطَعُوا﴾ فهو من (قَطَعَ) رَحِمَهُ يُقْطَعُهَا، وهو أبلغ في باب قطيعة الرحم من قَطَعَ يَقْطَعُ»<sup>(٩٦٦)</sup>.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبين أنَّ الله تعالى يخاطب المنافقين على سبيل التوبيخ والتهديد قائلاً لهم لعلكم أيها المنافقون إن أعرضتم عن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أو توليتم أمور الناس وأعمالهم وظلمتم في الأرض، أو اتبعتم ولاة الجور والظلم ودخلتم إلى دنياهم أن يؤدي ذلك إلى الإفساد في الأرض والتناحر ومقاتلة الأقارب وإهلاك البنات وهجران الرحم وقطعها، ومنع برهم كما كان ذلك سائداً أيام الجاهلية.

٤ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ [محمد: ٢٥].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو عمرو (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم الهمزة، وكسر اللام وفتح الياء.
- ٢ - قرأ يعقوب (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم الهمزة، وكسر اللام وتسكين الياء.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة واللام، وألف بعدها<sup>(٩٦٧)</sup>.

(٩٦٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٨٨.

(٩٦٧) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٤، تحبير التيسير ص ٢٠٩.

## المعنى اللغوي للقراءات:

الإملاء: الإمداد، ومنه قيل للمُدَّة الطويلة مَلَاوَةٌ من الدهر، وَمَلَّيَّ من الدهر، يقال: تَمَلَّيْتُ الثوب: تَمَتَّعْتُ به طويلاً، ومعنى قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] أي: أَمَهَلَ لَهُمْ، وأَصْلُ أَمَلَيْتُ: أَمَلْتُ فقلبت اللام ياءً تخفيفاً<sup>(٩٦٨)</sup>.

## التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وعادوا إلى الكفر بعد ما تَبَيَّنَ لَهُمْ طريق الحق والهداية بما جاءهم به رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والدلائل الواضحة، هؤلاء زَيْنَ لَهُم الشيطان خطاياهم، وسهَّلَ لَهُم الوقوع فيها، وحَسَّنَ لَهُم كفرهم، وخدعهم وغرَّهم بالأماني الكاذبة به، والآمال الزائفة، ووعدهم بطول العمر، ومدَّ الأجل<sup>(٩٦٩)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أَمْلَى لَهُمْ) بفتح الهمزة واللام على البناء للفاعل أنَّ الذي أَمْلَى لَهُمْ هو الشيطان على رأي بعض أهل التفسير، على معنى: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ أي: زين لَهُمْ خطاياهم، وأَمْلَى لَهُمْ أي: مدَّ لَهُمْ الشيطان في الأماني والآمال الكاذبة ووعدهم بطول العمر<sup>(٩٧٠)</sup>.

وقيل: إنَّ الذي أَمْلَى لَهُمْ هو الله تعالى وذلك بإسناد الفعل إلى الله ﷻ على رأي بعض أهل التفسير أيضاً، على معنى: الشيطان زين لَهُمْ كفرهم وخطاياهم، والله تعالى أَمْلَى لَهُمْ بأن أمهلهم الله ولم يعجل لَهُمْ

(٩٦٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٧٦ - ٧٧٧.

(٩٦٩) انظر التفسير المنير ج ٢٦ ص ١٢٣، التفسير الواضح م ٣ ج ٢٦ ص ٣٢.

(٩٧٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٥٣١، فتح القدير ج ٥ ص ٥٥.

العقوبة<sup>(٩٧١)</sup>، واختار هذا المعنى: الفراء<sup>(٩٧٢)</sup>.

وقال ابن زنجلة: «قوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾، التسويل راجع إلى الشيطان، والإملاء إلى الله»<sup>(٩٧٣)</sup>.

وأما قراءة (وَأَمْلَى لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على المبني للمفعول، والفعل ماضٍ، ولم يسمِّ الفاعل، فيحتمل أن يكون الفاعل في المعنى: هو الله ﷻ، ويحتمل أن يكون الشيطان. إلا أن القراءة بالبناء للمفعول تفيد تسهيل حدوث الفعل في إطالة العمر وإسباغ النعم عليهم وتسهيل الأماني والأحلام، عن المعالجة بالنقم، حتى اغتروا، وهي موافقة لقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(٤٤)</sup> وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدَ مَبِينٌ ﴿٤٥﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥]<sup>(٩٧٤)</sup>، وعلى القراءتين السابقتين يجوز المعنيان أي: يملي الشيطان ويملي الله تعالى، والله أعلم.

وأما قراءة (وَأَمْلَى لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، وتسكين الياء على البناء للفاعل، والفعل مضارع مسند إلى الله تعالى، فالله تعالى يخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك<sup>(٩٧٥)</sup>، أي: أنه يمهل لهم في العذاب، وإسناد الفعل إلى الله مباشرة فيه مزيد تهديد ووعد لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدَ مَبِينٌ﴾<sup>(٤٦)</sup> [الأعراف: ١٨٣]، قال ابن عاشور: «قرأ يعقوب بضم الهمزة، وكسر اللام وسكون التحتية على أنه مُسند إلى المتكلم، فالضمير عائد إلى الله تعالى، أي: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ، وأنا أملي لهم فيكون الكلام وعيداً، أي: أنا أؤخرهم قليلاً ثم أعاقبهم»<sup>(٩٧٦)</sup>.

(٩٧١) انظر معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٦٣.

(٩٧٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٩.

(٩٧٣) المصدر السابق ص ٦٦٩.

(٩٧٤) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ١٧١.

(٩٧٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٥٣٢، إعراب القراءات السبع وعللها ج ٢ ص ٣٢٥.

(٩٧٦) التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٦ ص ١١٦.

## الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يَتَبَيَّنُ أَنَّ الله تعالى يخبر عن الشيطان ويخبر عن نفسه، أن الذين ارتدوا عن الإيمان بالله تعالى وعادوا إلى الكفر من بعد ما عرفوا الحق، الشيطان سَوَّلَ لهم كفرهم وارتدادهم عن دين الله تعالى، وأَمَلَى لهم بأن شغل قلوبهم بالمعاصي عن الإيمان وأملهم بطول البقاء في الدنيا، وتحقيق الأماني، والله تعالى أَمَلَى لهم بأن أمهلهم ولم يعجل العقوبة لهم في الدنيا حتى إذا أخذهم لم يفلتهم الله تعالى، ويعذبهم عذاباً شديداً كما يستحقون بما عملوا وارتدوا عن دينه.

٥ - قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

## القراءات:

- ١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.
- ٢ - قرأ الباقون (أَسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة (٩٧٧).

## المعنى اللغوي للقراءات:

الإِسْرَارُ: نقيض الإعلان، ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسُّرُ: من الأسرار التي تُكْتَم، والسُّرُّ هو الحديث المُكْتَم في النَّفْس، ويقال: أَسْرَزْتُ إلى فلان حديثاً: أي: أفضيت إليه خفيةً، وأَسَّرَ الشيء كتمه (٩٧٨).

## التفسير:

بعد أن ذكر الله ﷻ حال الكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وتغريير الشيطان بهم، بيَّن في هذه الآية الكريمة سبب إضلال الشيطان لهم،

(٩٧٧) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٤.

(٩٧٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٤.

واستيلائه عليهم بالتسويل والإملاء، «أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ قَالُوا لِلَّذِينَ أَبْغَضُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي قُرْآنِهِ، وَهُمْ الْمَشْرُكُونَ أَوْ يَهُودُ بَنِي قَرِيطَةَ وَالنَّضِيرِ، مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، كَعَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخَالَفَةِ مَا جَاءَ بِهِ، وَالْقُعُودَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، أَي: إِنَّهُمْ مَالُوهُمْ وَتَأَمَّرُوا مَعَهُمْ سِرّاً أَوْ فِي الْبَاطِنِ، وَهَكَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ يَظْهَرُونَ خِلَافَ مَا يَبْتَغُونَ، لَذَا كَشَفَهُمْ لَهُ وَأَبَانَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ [النساء: ٨١]» (٩٧٩).

يقول المراغي: «ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد وشديد التهديد» (٩٨٠).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿إِسْرَارُهُمْ﴾ بكسر الهمزة، بالقراءة على المصدر وهي اسم جنس من أَسْرَزْتُ إِسْرَاراً، أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ إِخْفَاءَهُمْ وَهُوَ مَا أَسْرُوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا قَالُوهُ لِلْيَهُودِ فِي الْخِفَاءِ ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

وأما قراءة (أَسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة بالقراءة على الجمع من سر، فقد أفادت أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَسْرَارِهِمُ الَّتِي أَخْفَوْهَا وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ هَذَا الَّذِي أَظْهَرَهُ اللَّهُ لِفُضْحِهِمْ (٩٨١)، وَالْجَمْعُ لاختلاف ضروب الإسرار من بني آدم (٩٨٢).

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْبِرُ عَلَى سَبِيلِ التَّهْدِيدِ

(٩٧٩) التفسير المنير ج ٢٦ ص ١٢٤.

(٩٨٠) تفسير المراغي ج ٩ ص ٢٦.

(٩٨١) انظر روح المعاني ج ٢٦ ص ٧٥.

(٩٨٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٨، الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٥٣٢.



والوعيد للمنافقين، أنه يعلم جميع ما يسر هؤلاء المنافقون من أقوال وأسرار ومن جملتها أسرارهم لليهود بعداوة النبي ﷺ، وطاعتهم في بعض الأمور من مخالفة ما جاء به النبي ﷺ، والعودة عن الجهاد.

٦ - قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ [محمد: ٢٨].

### القراءات:

- ١ - قرأ شعبة (رُضْوَانَهُ) بضم الراء.
- ٢ - قرأ الباقر ﴿رِضْوَانَهُ﴾ بكسر الراء (٩٨٣).

### المعنى اللغوي للقراءات:

الرُّضَى: ضد السخط، ويقال: رضي يرضى رضى، فهو مرضى ومرضو، وأرضاه: أعطاه ما يرضيه، واسترضاه وترضاه طلب رضاه ورُضيَّته (٩٨٤).

ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره، ومنتهياً عن نهيه، والرضوان: الرضا الكثير (٩٨٥).

### التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن سبب العذاب الذي يصيب المنافقين والكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى عند قبض أرواحهم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ [محمد: ٢٧]،

(٩٨٣) انظر البدور الزاهرة ص ٤١٢، غيث النفع ص ٤٨٩.

(٩٨٤) انظر القاموس المحيط ص ١١٦٠.

(٩٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٥٦.

فَبَيَّنَ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ سَبَبَ ذَلِكَ الضَّرْبِ عِنْدَ التَّوْفِي فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَي: «ذَلِكَ التَّوْفِي عَلَى الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِمْ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَتَأْمَرِهِمْ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَلَى مَعَادَاةٍ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَرَاهِيَتِهِمْ مَا يَرْضِي اللَّهَ مِنَ الْإِيمَانِ الْحَقِّ، وَالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، فَأَبْطَلَ أَعْمَالَهُمُ الْخَيْرِيَّةَ بِهَذَا السَّبَبِ، وَمِنْهَا مَا عَمِلُوا مِنَ الْخَيْرِ قَبْلَ الرُّدَّةِ» (٩٨٦).

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب معظم العلماء إلى أن العلاقة بين القراءتين علاقة لغوية، ومعناها واحد.

قال السمرقندي: «قرأ عاصم في رواية أبي بكر (رُضْوَانَهُ) بضم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحد» (٩٨٧).

وقال مكي بن أبي طالب: «قوله ﴿رِضْوَانَهُ﴾ قرأه أبو بكر بضم الراء حيث وقع، إلا في المائدة: ﴿رِضْوَانَكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦] فإنه كسر كالجماعة، وقرأ الباقر بالكسر حيث وقع، وهما مصدران بمعنى واحد، فالكسر كالجرمان، والضم كالشكران» (٩٨٨).

وقيل: إنَّ المكسور اسمٌ ومنه: رضوان خازن الجنة، والمضموم مصدر، إلا أن الألوسي نفى صحة هذا القول فقال: «وقيل: المكسور اسمٌ، والمضموم مصدرٌ، وهو قولٌ لا ثبت له» (٩٨٩).

ويحتمل أن يكون لكل قراءة أثرٌ في المعنى حيث إنَّ (رُضْوَان) بالضم

(٩٨٦) التفسير المنير ج ٢٦ ص ١٢٥.

(٩٨٧) بحر العلوم ج ١ ص ٢٥٢، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٣٧، عند حديثه عن: (رُضْوَان)، (رُضْوَان) في الآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٩) روح المعاني ج ٣ ص ١٠١، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

فيها تفخيمٌ للراء ممّا يدل على تفخيم وتعظيم ذلك الرضوان الذي كرهه هؤلاء المرتدون عن دين الله تعالى، فاستعمال المصدر من الرضى وهو (الرضوان) فيه مبالغة في معنى الرضى، وتفخيم الراء بالضم فيه زيادة مبالغة في معنى الرضى، ليدل على أن سبب عذابهم وضربهم عند توقيهم هو بسبب كراحتهم أعظم أسباب رضا الله وهو الإيمان، والجهاد في سبيل الله تعالى.

وأما قراءة (رضوان) بالكسر وترقيق الراء فتدل على أن سبب عذابهم هو بسبب كراحتهم لسائر الطاعات المؤدية إلى رضوانه تعالى وهي أخف ما يكون على النفس، وأقل ما يؤدي إلى رضوانه.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن هؤلاء المرتدين كرهوا جميع ما يؤدي إلى رضوانه ﷻ، فهم كرهوا أعظم أسباب رضاه، وهو الإيمان بالله تعالى وطاعة رسوله، والجهاد في سبيله، وهم لما دونه بالعود عن سائر الطاعات أكره<sup>(٩٩٠)</sup>، والله تعالى أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

### القراءات:

- ١ - قرأ أبو بكرٍ (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ - يَغْلَمَ - يَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ - ﴿نَعْلَمَ﴾ بالنون.
- ٣ - قرأ رويس (نَبْلُوا) بإسكان الواو.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿وَبَلُّوا﴾ بفتح الواو<sup>(٩٩١)</sup>.

(٩٩٠) انظر نظم الدرر ج ٧ ص ١٧٣.

(٩٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧٥، تحبير التيسير ص ٢٠٨.

## المعنى اللغوي للقراءات:

١ - «البلاء: المحنة تنزل بالمرء ليُختبر بها، والغم والحزن، والجهد الشديد في الأمر»<sup>(٩٩٢)</sup>. يقال: بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلَوًا وَبَلَاءً، وابتليته: اختبرته، وبلاءه: إذا جَرَّبَهُ واختبره، وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء يكون في الخير والشر<sup>(٩٩٣)</sup>.

٢ - يعلم: سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى<sup>(٩٩٤)</sup>.

## التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين قائلاً لهم: «ولنختبرنكم بالأمر والجهاد، وسائر التكاليف الشاقة حتى يُمَيِّزَ المجاهد الصابر من غيره، ويُعَرِّفَ ذو البصيرة في دينه من ذي الشك والحيرة فيه، والمؤمن من المنافق، ونبلوا أخباركم، فنعرف الصادق منكم في إيمانه من الكاذب»<sup>(٩٩٥)</sup>.

## العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ - يَعْلَمَ - يَنْلُو) بياء الغيبة، الإخبار من النبي ﷺ عن الله ﷻ، على معنى: ليختبرنكم الله، على رأي بعض العلماء، قال ابن خالويه: «ولنبلونكم حتى نعلم، (ونبلوا أخباركم) يقرأ أن بالياء والنون، فالحجة لمن قرأ بالياء: أنه جعله من إخبار النبي عن الله ﷻ، والحجة لمن قرأه بالنون: أنه جعله من إخبار الله ﷻ عن نفسه»<sup>(٩٩٦)</sup>. أو هي إخبار

(٩٩٢) المعجم الوسيط ص ٩١.

(٩٩٣) انظر لسان العرب ج ١٤ ص ٨٣.

(٩٩٤) انظر ص ١٤٣ من هذا البحث.

(٩٩٥) تفسير المراغي ٩م ج ٢٦ ص ٧٢.

(٩٩٦) الحجة في القراءات السبع ص ٣٢٩.

من الله تعالى بياء الغيبية عن نفسه، وذلك على نسق قوله تعالى في الآية التي سبقتها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠] (٩٩٧).

وأما قراءة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ - ﴿فَعَلَّمْ﴾ - ﴿وَنَبْلُوَنَّ﴾ بالنون، فقد أفادت أن الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة على معنى: «لنختبرنكم بالحرب حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين لأمر الله» (٩٩٨). وحجتهم في ذلك أنها جاءت بعد إخبار من الله تعالى بالنون أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَأَرْسَلْنَاكُمْ﴾ [محمد: ٣٠] (٩٩٩)، وفي هذه القراءة التفات من الغيبية إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى، وبيان قدرته الواسعة على ابتلاء جميع الناس بالأوامر الشديدة على النفوس بما له من صفات العظمة.

وأما قراءة (نبلوا) بتسكين الواو، فهي استثناء بعد انقطاع عما قبله، والمعنى: (سنبلوا أخباركم) (١٠٠٠).

قال ابن عطية: «وروى رويس عن يعقوب: (ويبلوا) بالرفع على القطع، والإعلام بأن ابتلاءه دائم» (١٠٠١).

### الجمع بين القراءات:

القراءات جميعها أفادت أن الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيبلي المؤمنين حتى يظهر المجاهدين في سبيله والصابرين على مشاق الجهاد، من غيرهم، إلا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تأكيد على حقيقة الابتلاء بما هو شاق على نفوس المؤمنين جميعهم دون استثناء،

(٩٩٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٨، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ١٠٤.

(٩٩٨) معاني القراءات ج ٢ ص ٢٨٩.

(٩٩٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٨، مجمع البيان م ٦ ج ٢٦ ص ٤٥.

(١٠٠٠) انظر معاني القراءات ج ٢ ص ٢٨٩.

(١٠٠١) المحرر الوجيز ج ٥ ص ١٢١.

وعلى الدوام، بما تفيده قراءة الفعل (ويبْلُؤُوا) بالرفع، ليميز الله تعالى الخيـث من الطيب، مع تعظيم ذلك الابتلاء، كما أنَّ في هذه القراءة مزيد تشريف وتعظيم لهؤلاء المؤمنين الذين يتليهم الله تعالى بنفسه.

٨ - قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَإِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَتَمَلَّكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

### القراءات:

١ - قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكرٍ (السُّلَم) بكسر السين.

٢ - قرأ الباقون ﴿السَّلَإِ﴾ بفتح السين<sup>(١٠٠٢)</sup>.

### المعنى اللغوي للقراءات:

السُّلَم والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والسَّلام والسُّلَم والصلح، وقيل: السُّلَم اسم بإزاء حرب، والإسلام: الدخول في السُّلَم، وهو أن يَسْلَمَ كل واحدٍ منهما أن يناله من أَلَم صاحبه<sup>(١٠٠٣)</sup>، «والسُّلَم: الاستسلام والتسليم، والأسر من غير حرب»<sup>(١٠٠٤)</sup>.

### التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى المؤمنين أن يضعفوا عن مقاتلة المشركين، ويدعوهم إلى الصلح والمسالمة على سبيل الخوف منهم، ما دامت كفة المؤمنين راجحة في الحرب ولهم الغلبة على عدوهم، ويبشِّر المؤمنين بأنَّه معهم بالنصر والتمكين ولن ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئاً.

قال ابن كثير: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وَتَدْعُوا إِلَى

(١٠٠٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٨، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٥١.

(١٠٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٢٣.

(١٠٠٤) المعجم الوسيط ص ٤٧٢.

الْأَسْلَمِ أَي: المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم، وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عدديكم، وَعَدِدْكُمْ، ولهذا قال ﴿فَلَا تَهْتَوْا وَتَدْعُوا إِلَى الْأَسْلَمِ وَأَسْتُرْ الْأَعْلُونَ﴾ أَي: في حال غلوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة، وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ إلى ذلك، وقوله جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَنْ يَزِيَّزَكُمُ أَعْمَلُكُمْ﴾ أَي: ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفّيكم ثوابها، ولا ينقصكم منها شيئاً، والله أعلم»<sup>(١٠٠٥)</sup>.

### العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين (السُّلَم والسُّلْم) بمعنى واحد وهما لغتان ومعناها: الصلح والمسالمة، قال مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿وَتَدْعُوا إِلَى الْأَسْلَمِ﴾ قرأه أبو بكر، وحمزة بكسر السين، وفتحها، وهما لغتان يُراد بها الصلح»<sup>(١٠٠٦)</sup>.

وقال حقي: «(السُّلْم) بفتح السين وكسرهما لغتان بمعنى الصلح، أي: ولا تدعوا الكفار إلى الصلح فوراً فإنّ ذلك فيه ذلة»<sup>(١٠٠٧)</sup>.

وذهب البعض إلى أن (السُّلْم) بالكسر بمعنى الاستسلام، قال السمرقندي: «قرأ حمزة في رواية أبي بكر: إلى السُّلْم، بكسر السين، والباقون: بالنصب، قال بعضهم: وهما لغتان وقال بعضهم: أحدهما صلح، والآخر استسلام»<sup>(١٠٠٨)</sup>.

(١٠٠٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٨٤.

(١٠٠٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٩، انظر الحجة للقراء السبعة ج ٣ ص ٤٠٧.

(١٠٠٧) روح البيان ج ٨ ص ٥٤٧.

(١٠٠٨) بحر العلوم ج ٣ ص ٢٤٧.

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءة (السُّلَم) بالفتح بمعنى الصلح والمسالمة، وأمَّا قراءة (السُّلَم) بالكسر فهي بمعنى الإسلام<sup>(١٠٠٩)</sup>.  
قال ابن عطية: «وفرقه ممن كسر السين إنَّه بمعنى الإسلام، أي: لا تهنوا وتكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون مقاتلين بسببه»<sup>(١٠١٠)</sup>.  
وقال ابن زنجلة: «(السُّلَم بالكسر: الإسلام، كقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ [الأنفال: ٦١] أي: الإسلام، وبالفتح: الصلح»<sup>(١٠١١)</sup>.  
ويشير ابن عباس إلى هذا المعنى بقوله: «﴿وَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ إلى الصلح، ويُقال: إلى الإسلام قبل القتال»<sup>(١٠١٢)</sup>.  
وبناءً على ما تقدم يمكن أن يكون معنى قراءة ﴿السَّلَامِ﴾ بالفتح: المصالحة والمسالمة، وقراءة (السُّلَم) بالكسر الإسلام.

### الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: الله تعالى ينهى المؤمنين أن يضعفوا ويكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون أن يقاتلوا بسببه، أو أن يدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة ابتداءً خوفاً منهم، في حال أنَّهم أعلنوا ولهم الغلبة على عدوهم، لأنَّ في ذلك ذلَّةٌ للمؤمنين.

قال سيد طنطاوي: «قالوا: ومحل النهي عن الدعوة إلى صلح الكفار ومسالمتهم، إذا كان هذا الصلح أو تلك المسالمة تؤدي إلى إذلال المسلمين، أو إظهارهم بمظهر الضعيف القابل لشروط أعدائه، أمَّا إذا كانت الدعوة إلى السُّلَم لا تضر بمصلحة المسلمين فلا بأس من قبولها، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]»<sup>(١٠١٣)</sup>.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١٠٠٩) انظر جامع البيان ج ٢ ص ٣٢٣، عند تفسيره للآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(١٠١٠) المحرر الوجيز ج ٥ ص ١٢٢.

(١٠١١) حجة القراءات ص ٦٧٠.

(١٠١٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٤٣٠.

(١٠١٣) التفسير الوسيط م ١٣ ج ٢٦ ص ١٠١.



## الفهارس العامة

- \* - فهرس المصادر والمراجع.
- \* - فهرس الموضوعات.



## فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الإبانة عن معاني القراءات/ لأبي محمد مكى بن أبي طالب القيسى - تحقيق: د. محى الدين رمضان - دار المأمون للتراث - دمشق - ط١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٢ - أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية/ للدكتورة نجاه عبدالعظيم الكوفى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٩م.
- ٣ - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر/ للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغنى الدمياطى، الشهير بالبنا - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط٢ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/ لحسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٥ - الاختلاف بين القراءات/ لأحمد البيلى - دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦ - الاختلاف فى القراءات القرآنية وأثره فى اتساع المعاني/ لإياد السامرائى (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www.tafsir.net](http://www.tafsir.net)).
- ٧ - الأساس فى التفسير/ لسعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٨ - أسباب النزول/ لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٣م.
- ٩ - أسباب النزول/ للإمام السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق حامد أحمد الطاهر - القاهرة - دار الفجر للتراث - ط١ - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٠ - إعراب القراءات السبع وعللها/ لأبى عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذانى الشافعى - تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجى - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ١١ - إعراب القرآن الكريم وبيانه/ لمحي الدين الدرويش - اليمامة للطباعة والنشر - دمشق - بيروت - ط٤ - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٢ - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل/ لبهجت عبدالواحد صالح - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط٢ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٣ - الأعلام - قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين من العرب، والمستعربين والمستشرقين/ لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ط٥ - ١٩٨٠ م.
- ١٤ - الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته/ للدكتور عبدالحميد مصطفى السيد - دار الحامد للنشر والتوزيع - ط١ - ٢٠٠٤ م.
- ١٥ - الإقناع في القراءات السبع/ للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفى سنة ٥٤٠ هـ - تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٦ - البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي - دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٧ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة/ للشيخ عبدالفتاح عبدالغني القاضي - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - ط١ - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٨ - البرهان في علوم القرآن/ لمحمد بن عبدالله الزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٩ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ لفاضل صالح السامرائي - شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط٢ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٢٠ - تاج العروس من جوهر القاموس/ للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق: د. حسين نصار - دار الهداية، للطباعة والنشر والتوزيع - ط١٣٦٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٢١ - التبيان في إعراب القرآن/ لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العبكري: دار الفكر - ١٤٢١ هـ.
- ٢٢ - التبيان في تفسير غريب القرآن/ لشهاب الدين المصري - تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي - دار الصحابة للتراث - طنطا - القاهرة - ١٩٩٢ م.
- ٢٣ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة/ للإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري المتوفى سنة ٨٣٢ هـ - دار الصحابة للتراث - ٢٠٠٤ م.

- ٢٤ - التعبير القرآني / للدكتور فاضل صالح السامرائي - مطابع جامعة الموصل - ١٩٨٩ م.
- ٢٥ - تفسير أبي السعود - المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي - تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٢٦ - تفسير البيضاوي - المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للإمام ناصر الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - مكتبة البحوث والدراسات - دار الفكر - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٧ - تفسير التحرير والتنوير/ للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - دار سُحُوت للنشر والتوزيع - تونس.
- ٢٨ - تفسير الثعالبي المسمى (الحسان في تفسير القرآن) لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ٢٩ - تفسير السعدي - المسمى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط جديدة - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٣٠ - تفسير السمرقندي - المسمى بحر العلوم/ لأبي الليث ناصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض - والشيخ عادل عبدالمجود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٣١ - تفسير الشعراوي/ لمحمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم - قطاع الثقافة.
- ٣٢ - تفسير القاسمي - المسمى بمحاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣٣ - تفسير القرآن العظيم/ للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي - المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - دار الحديث - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٣٤ - تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاطحة - البقرة - آل عمران) رسالة ماجستير/ إعداد الباحث: عبدالله الملاحي - إشراف الدكتور مروان أبو راس - ٢٠٠٢ م - الجامعة الإسلامية.
- ٣٥ - تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء - الكهف - مريم) رسالة ماجستير إعداد الباحثة آمال خميس حماد - إشراف الدكتور عبدالرحمن الجمل - ٢٠٠٦ م - الجامعة الإسلامية.

## تفسير القرآن بالقرآن العشر

- ٣٦ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ للإمام محمد الرازي المسمّى بالفخر الرازي - دار الفكر للطباعة والنشر - ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٣٧ - تفسير المراغي/ للأستاذ أحمد مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم - دار الفكر.
- ٣٨ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ لوهبي الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط ٢ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٩ - تفسير النسفي/ لأبي البركات النسفي - مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.
- ٤٠ - تفسير النيسابوري - المسمّى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان / لنظام الدين الحسن النيسابوري - القاهرة - دار الصفوة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م.
- ٤١ - التفسير الواضح/ للدكتور: محمد محمود حجازي - دار التفسير للطبع والنشر - الزقازيق - ط ١٠ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٤٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ تأليف د. محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٣ - تفسير زاد المسير في علم التفسير/ لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ - تحقيق: زهير الشاويش - دار بن حزم للطباعة والنشر - بيروت - ط ١ جديدة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٤ - تقريب النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري - تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوة عوض - دار الحديث - القاهرة - ط ٣ - ١٤١٦هـ.
- ٤٥ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي - دار الفكر.
- ٤٦ - توجيه اللمع/ للعلامة أحمد بن الحسين بن الخباز - شرح كتاب اللمع/ لأبي الفتح ابن جني، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٧ - جامع البيان عن تأويل القرآن/ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٤٨ - الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - راجعه وعلق عليه، الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي - وخرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان - دار الحديث - القاهرة - ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٩ - حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي/ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ٥٠ - حجة القراءات/ للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٥ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٥١ - الحجة في القراءات السبع/ للإمام ابن خالويه - تحقيق وشرح: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٦ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٢ - الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي - المتوفى سنة ٣٧٧هـ - وضع حاشيته: كامل مصطفى الهنداوي - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٣ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ - تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط - دار القلم بدمشق.
- ٥٤ - روح البيان في تفسير القرآن/ للشيخ إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفي المتوفى سنة ١١٢٧هـ - ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن عبدالرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٥٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ - دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٥٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة/ لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط ١ - سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٧ - سنن البيهقي الكبرى/ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٨ - سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - المتوفى سنة ٢٧٩هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٥٩ - السنن الكبرى/ لأحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ - تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداوي، سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٦٠ - سير أعلام النبلاء/ لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، المتوفى سنة ٧٤٨هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي - دار الرسالة - بيروت - ط ٩ - ١٤١٣هـ.

## تفسير القرآن بالفراغات القرآنية العشر

- ٦١ - الشامل في القراءات المتواترة/ للدكتور محمد حبش - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط ١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٦٢ - شذا العرف في فن الصرف/ للأستاذ الدكتور أحمد الحملوي - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان.
- ٦٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ عبدالحى بن أحمد العكري الدمشقي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٦٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ لمحمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث - القاهرة - طبعة جديدة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٦٥ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦٦ - صحيح بخاري/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الحنفي المتوفى سنة ٢٥٦هـ - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٧ - صحيح مسلم/ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٦٨ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) / لمحمد ناصر الدين الألباني - بيروت - المكتب الإسلامي - ط ٣ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٦٩ - الطبقات الكبرى/ لمحمد بن سعيد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المتوفى سنة ٢٣٠هـ - دار صادر - بيروت.
- ٧٠ - طبقات المفسرين/ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ - ١٣٩٦هـ.
- ٧١ - علوم القرآن - مدخل إلى تفسير القرآن وبيانه وإعجازه/ الدكتور عدنان محمد زرزور - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٧٢ - غاية النهاية في طبقات القراء/ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - دار الكتب العملية - بيروت - ط ٣ - ١٩٨٢م.
- ٧٣ - غيث النفع في القراءات السبع/ لعلّي النوري الصفاقسي - ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.



- ٧٤ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري/ لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، بيروت - دار المعرفة - سنة النشر ١٣٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب.
- ٧٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ - حققه وخرج أحاديثه: سيد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - ط ٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٦ - في ظلال القرآن/ لسيد قطب - دار الشروق - القاهرة - ط ١٥ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٧٧ - القاموس المحيط/ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٧٨ - القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي/ للدكتور محمود أحمد الصغير - دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٩٩م.
- ٧٩ - القراءات وأثرها في علوم اللغة/ للدكتور محمد سالم محيس: دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٩٩٨م.
- ٨٠ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل/ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ - دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٨١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٨٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/ لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ - تحقيق: د. محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٥ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٨٣ - لباب النقول في أسباب النزول/ لجلال الدين السيوطي - خرج أحاديثه: محمود بن جميل - مكتبة الصفا - القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٢م.
- ٨٤ - اللباب في علوم الكتاب/ للإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود - الشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٨٥ - لسان العرب/ للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفى سنة ٧١١هـ - دار الفكر - بيروت.

## تفسير القرآن بالقرآن بالقرآن العشر

- ٨٦ - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ للدكتور فاضل صالح السامرائي - القاهرة - شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط ٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٨٧ - المبسوط في القراءات العشر/ لأبي بكر محمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١هـ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ٢٠٠٣م.
- ٨٨ - مجمع البيان في تفسير القرآن/ للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.
- ٨٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٣م.
- ٩٠ - المستنير في القراءات العشر/ للإمام أبي ظاهر سوار المتوفى سنة ٤٩٦هـ - علق عليه: جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر.
- ٩١ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة - الإعراب - التفسير/ للدكتور محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٩٢ - مسند أحمد/ لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ - مؤسسة قرطبة - مصر.
- ٩٣ - مسند الإمام الشافعي/ لمحمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٩٤ - مشاهير علماء الأمصار/ لمحمد بن حيان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م.
- ٩٥ - مصنف ابن أبي شيبة/ لأبي بكر عبدالله محمد بن أبي شيبة الكوفي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، الرياض - مكتبة الرشد - ط ١ - سنة ١٤٠٩هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت.
- ٩٦ - معالم التنزيل المسمى بتفسير البغوي/ لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٩٧ - معاني الأنبياء في العربية/ لفاضل السامرائي - ط ١ - ١٩٨١م.
- ٩٨ - معاني القراءات/ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠هـ - تحقيق: د. مصطفى درويش - د. عوض بن حمد القوزي.
- ٩٩ - معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج - أبي اسحق إبراهيم بن السري المتوفى سنة ٣١١هـ - شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي - عالم الكتب - بيروت - ط ١ - ١٤٠٨هـ.

- ١٠٠ - معاني القرآن/ لأبي بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠١ - معاني النحو/ للدكتور فاضل السامرائي - القاهرة - شركة العاتك لصناعة الكتاب ط ٢ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٠٢ - المعجم الأوسط/ لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ - تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥هـ.
- ١٠٣ - المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ - تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - ط ٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠٤ - المعجم الوسيط/ للدكتور إبراهيم أنيس - وآخرون.
- ١٠٥ - معجم مفردات ألفاظ القرآن/ لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٦ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: طيار آلتى قولاج - ط ١ - استانبول - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠٧ - المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات/ للدكتور أحمد سعيد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www.tafsir.net](http://www.tafsir.net)).
- ١٠٨ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني/ لأبي العلاء الكرمي المتوفى سنة ٥٦٣هـ - دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج - دار بن حزم - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠٩ - مناهل العرفان في علوم القرآن/ للأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١١٠ - منجد الطلاب في اللغة والأعلام/ عن منجد معلوف اليسوعي - نظر فيه ووقف على ضبطه: فؤاد إفرايم البستاني - ط ٣٨ - دار المشرق - بيروت - لبنان.
- ١١١ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ لابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١١٢ - منهج الإمام الطبري في تفسيره (رسالة ماجستير) / للدكتور عبدالرحمن يوسف الجمل بإشراف: د. فضل عباس - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١١٣ - موسوعة الحروف في اللغة العربية/ للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل - بيروت - ط ١ سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ١١٤ - النشر في القراءات العشر/ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١١٥ - نظم الدرر في تناسب الآيات والصور/ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١١٦ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان/ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٨هـ - تحقيق: الدكتور إحسان عباسي/ دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨م.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير .....	٥
الفصل الأول: تفسير القرآن من خلال سور: الزمر - غافر - فصلت .....	٧
المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزمر .....	٩
المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة غافر .....	٥٤
المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة فصلت .....	٩٠
الفصل الثاني: تفسير القرآن من خلال سور: الشورى - الزخرف - الدخان ..	١١٩
المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى .....	١٢١
المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزخرف .....	١٥٢
المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان .....	٢١٠
الفصل الثالث: تفسير القرآن من خلال سور: الجاثية - الأحقاف - محمد ..	٢٢٩
المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الجاثية .....	٢٣١
المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الأحقاف .....	٢٥٤
المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة محمد .....	٢٨٠
الفهارس العامة .....	٣٠١
فهرس المصادر والمراجع .....	٣٠٣
فهرس الموضوعات .....	٣١٣















